

قصة الوحدة العربية

بقلم

أنور السادات

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

مقدمة

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطاب ألقاه فى ذكرى 62 يوليو " أننا حينما ننادى بالقومية العربية والتضامن العربى ، إنما نهدف إلى قومية عربية حقيقية ، القومية الحرة المستقلة التى تنبعث من المنطقة ، وتنبعث من ضمير أبنائها ومن أهداف أبنائها ، ولكننا لن نقبل أبداً بأى حال من الأحوال أن نشترك فى أى تضامن عربى لنخدم خطط الاستعمار أو لتحقيق أهداف الاستعمار ، ولهذا فسنبقى لمدة بدون تحقيق التضامن العربى ، لأننا لم نتضامن مع الخونة ، ولن نتضامن مع المنحرفين ولن نتضامن مع الذين فراطوا فى بلادهم ، ومع الذين باعوا بلادهم للاستعمار .

" أننا بهذا نعبر عن القومية العربية كلها فى بلد عربى ، ونعبر عن الروح العربية التى قاتلت دائماً من أجل الاستقلال " " لقد قاتلت الشعوب العربية ، وقاتلت القيادات العربية الحرة ، وأنا بهذا نعبر عن هذه الروح ، روح مقاومة الاستعمار ومقاومة مناطق النفوذ " .

لقد عبر الرئيس جمال بهذا عن مخاوف كل عربى ، بعد أن استخدم الاستعمار دائماً التضامن العربى وسيلة يخدم بها أهدافه ومصالحه ، فالاستعمار يعرف مدى استجابة العرب وإيمانهم بالتضامن والوحدة ، ومن هنا أخذ يدفع بأعدائه لى يحققوا أهدافه تحت ستار التضامن والوحدة !

ولم ينخدع العرب أبداً ، حتى فى أحلك الساعات ... فقد كشف العرب خداع التضامن الذى كان ينادى به الملك عبد الله لسبب بسيط لم يفطن له الاستعمار ، وهو أن جميع الشعوب العربية تؤمن عن يقين بأن الملك عبد الله ليس إلا أداة فى يد الاستعمار لتنفيذ أغراض ومشينة الاستعمار !

وكشف العرب رياء الوحدة التى كان ينادى بها ثورى السعيد من أول لحظة لسبب بسيط أيضاً تعرفه الشعوب العربية ، وهو أن ثورى السعيد ليس إلا عميلاً لبريطانيا يحقق لها السيطرة ويحافظ لها على مناطق النفوذ !

كان العرب يعلمون ، وكانوا يسكتون أيضاً من أجل أمل يتشبثون به ، هو التضامن العربى ، حتى جاءت اللحظة التى أوشك فيها الاستعمار أن يأخذ برقاب البلاد العربية كلها بواسطة أعوانه . هنا جأر العرب ووقفوا يحاربون من أجل حياتهم وحريرتهم ومقدراتهم .

وهنا صرخ العرب صرخة مدوية ، فهم لن يرضوا بخدمة أهداف الاستعمار تحت اسم التضامن العربى .

فالملك حسين ملك الأردن - مثلا - كان يرفض الانضمام أول الأمر إلى الجبهة العربية المتحررة ، ولكنه عاد فجأة وانضم إلى مصر والسعودية ، ليس أيمانا منه بالقومية العربية ، وإنما كوسيلة يستتر خلفها ويسلم نفسه وبلاده لاستعمار الدولار الجديد تحت ستار التضامن العربى ، كما كان يعمل جده الملك عبد الله من قبل خداعاً وتضليلاً .

لقد كان الملك حسين يعلن عن حماسه للتضامن العربى وينادى بالوطنية الفوارة ، فى نفس الوقت الذى كان يتآمر فيه مع أمريكا ضد شعب الأردن وضد حرية الأردن ، وضد التضامن العربى ، وضد الدول العربية المتحررة .

ان انضمام الملك حسين إلى الجهة المتحررة ، لم يكن أيماناً منه بالتححرر ولا لأقامة التضامن العربى ، وإنما من أجل تفتيت الجبهة العربية المتحررة لحساب أمريكا .

فقد رضى أن يقوم بدور صنيسة أمريكا ليفسد ما بين السعودية وسوريا ومصر .

وتطوع بحماس لى يشترك مع أمريكا فى الخطة التى تقول بعزل مصر .

كل ذلك نظير تعهد أمريكا بحمايته واعطائه الأموال التى يطلبها لينفقها على أهوائه وملذاته .

وأكثر من ذلك فقد حقق حسين أهداف بن جوريون ، حينما خرج على التضامن العربى الحر وأخذ يكيل الاتهامات لمصر وسوريا ، وقد اصبح واضحاً اليوم لكل عربى أن أهداف أمريكا هى نفس أهداف إسرائيل .

وهكذا أصبح الملك حسين ليس صنيسة لأمريكا فقط ، وإنما صنيسة لأمريكا وإسرائيل فى نفس الوقت !
وهكذا تتحقق حكمة الأجداد والأبناء !

ففى سنة 1950 كان سمير الرفاعى هو رسول الملك عبد الله فى مفاوضات الصلح مع إسرائيل ، هذه المفاوضات التى لم تتم بسبب مقتل الملك عبد الله ، ويشاء القدر أن يلعب سمير الرفاعى

دور الخيانة نفسه سنة 1957 مع الملك حسين حفيد الملك عبد الله
فى المفاوضات مع أمريكا خالفة إسرائيل وصاحبة الاستعمار الجديد
فى الشرق الأوسط .

إن العرب لن يسكتوا اليوم كما كانوا يسكتون فى الماضى ، بعد
أن تيقظت القومية العربية وفرضت وجودها فى هذا العالم .

ولن يقبل العرب أن تستخدم القومية العربية ستاراً لأعوان
الاستعمار يحققون من خلفه أهداف الاستعمار .

ولن نعود نحن العرب أبداً إلى الوراء .

ولن ننكص فى سيرنا نحو أهدافنا ، ولن نجامل ولن نخادع ،
وأنما سنمضى فى الطريق الوحيد الذى صنعه قوميتنا العربية
وسنظل نكشف خيانات أعوان الاستعمار ووسائلهم حتى تحين
الساعة . . .

وعندئذ سيلاقون الحساب .

أنور السادات

الفصل الأول

الوطنية المصرية

والقومية العربية

صوت مصر

صادر من أعماق شعوب العرب

مصر وشقيقات مصر يواجهون جميعاً - اليوم - خطراً واحداً
ومصر - اليوم - حين ترفع صوتها منادية شقيقاتها بالتكتل
والتعاون ، والوقوف جنباً إلى جنب لمواجهة ذلك الخطر ، إنما
تفعل ذلك لأنها حريصة على أن تمنع - فى هذه المرة - المأساة
الكبرى التى ظلت تعصف بالعرب منذ أطل عليهم النفوذ الأجنبى ،
ومنذ تحكم فى مصائرهم ذلك النفوذ

أن مصر بموقعها الراهن من الخطر الذى يهدد كيان الأمة
العربية إنما تناضل نضالاً تاريخياً ، لتخليص منطقة الشرق الأوسط
من كل نفوذ أجنبى ، فتصبح منطقة يسودها الرخاء والسلام والأمن
يملك أبنائها على اختلافهم مواردها ويسطرون - كأصحاب كل
الحقوق فى ديارهم - على سياستها ، ويوجهون - كأصحاب كل
الحقوق - دفة أمورهم بما يتفق ومصالحهم لا مصالح ذلك الأجنبى
الدخيل الذى يتعامل مع العرب باعتباره سيداً والعربى واحداً من
أتباعه

لقد ولى ذلك العصر الذى كنا فيه نحن العرب ذيلاً للأقوياء
نمضى خلف موكبهم بلا أرادة وبلا هدف ، كأننا قطيع من الأغنام
نساق إلى حيث يشاء ذلك القوى المتطفل على بلادنا ، العامل دواماً
على تحقيق مصالحه هو ، واستغلال مواردها وإمكانياتنا وكل ما
نملك ، كما أراد مستغلاً ضعفنا وتفككنا وعدم قدرتنا على مقاومته ،

ومستغلاً أيضاً ضعف ذلك الجيل من السياسيين العرب المتحالفين معه والمتآمرين على مصالح مواطنيهم ، سواء عن عمد أو عن جهل وربما حباً في الخنوع ورغبة في الاستسلام وكان يمكن ألا تقف حكومة مصر بعد ذلك الموقف التاريخي المجيد من كل خطر يهدد وحدة الأمة العربية ، ويعصف بمصائر الخمسين مليوناً من أبناء هذه الأمة في منطقة الشرق الأوسط ، لو لم تقم في مصر ثورة ويتولى زمام الأمر فيها جيل سياسى جديد واقعى يؤمن بالقومية العربية والوطنية المصرية ، ويعمل ليله ونهاره منتهجاً سياسة لا تخرج عن هذين الإطارين !

أقول : كان يمكن أن تتهاوى مصر وتستسلم وتسمح بتحطيم القومية العربية ، أو كان يحكمها ذلك الجيل من السياسيين المستضعفين الذين ترهبهم وتفزعهم رؤية قبعة ذلك الأجنبي الرابض في أراضيهم !

لكن مصر – اليوم – بعد أن تحررت من عوامل الضعف فى داخلها وبدأت تبنى أسساً جديدة لسياستها الداخلية والخارجية ، أصبح من المحال عليها أن تضعف أو تستسلم ، لأنها لوضعفت أو تهادنت كما كانت تضعف وتتهادن دواما فى الماضى فأن الخطر لن يعصف بها وحدها بل بالشقيقات العزيزات أيضاً .

فنحن هنا فى هذه المنطقة الهامة جداً من العالم . . . منطقة الشرق الأوسط – قد ارتبطت مصائرنا تماماً كأمة واحدة تربط بيننا اللغة والدين والتقاليد والحدود المتشابكة ، فمصيرنا أذن واحد فى النهاية !

واريد أن أقول أن مصر قد درست فى اهتمام زائد - أخيراً -
السياسة العربية فى هذه المنطقة من الشرق الأوسط . . .
وكانت دراسة شاملة عميقة اعتمدت على الواقع والتاريخ فاستمدت
اتجاهاتها من مآسى الماضى ودروس الماضى ومحن الماضى !
درست مصر - أذن - السياسة العربية وعلاقتها بالعالم
العربى ، بواقعه وبظروفه ، وبأهدافه ومصالحه .
ثم درست أيضاً علاقات هذا العالم العربى بالكتل المختلفة وذلك
بعد أن درست ميثاق الضمان الاجتماعى ، واستعرضت مصر خلال
دراستها هذه كل المآسى التى حلت بالعرب كأمة نتيجة للسياسات
المتناقضة ، لا تستمد أصولها من الواقع والتاريخ والتجارب
العديدة على مر السنين !
ثم أقول أن مصر بعد أن أتمت دراستها تلك قررت أن تبلور
سياستها هى ، وتحددها تحديداً واقعياً واضحاً ، وانتهت - أى
مصر - الى جعل تلك السياسة داخل إطارين لا تخرج عنهما :
الوطنية المصرية ، والقومية العربية ، بحيث لا يظهر تناقض
بينهما ، وبحيث لا تكون مصلحة مصر وسلامتها ومصالحها عاملاً
من عوامل إلحاق الضرر بمصالح وسلامة دولة عربية أخرى .
على هذا الأساس الذى شرحته رسمت مصر سياستها العربية ،
ثم قررت أن تعمل فى الحال وعلى المكشوف فى حدود تلك
السياسة الجديدة التى قررتها حكومتها الوطنية الثائرة .

وكان السجل الكامل لسياسة مصر والذي وضعته بين أيدي حكومات العرب يتلخص فى هذه النقط :

أن الأمة العربية خرجت من الحرب العالمية الأولى بحفنة من الوعود حصلت عليها من بريطانيا ، وسرعان ما نسيت بريطانيا وعودها بعد انتصارها .

وبدلاً من أن تحصل الدول العربية على حريتها واستقلالها وكل حقوقها كما كان متوقعاً بعد تلم الوعود ، بقيت قوات بريطانيا تحتل مصر والعراق والأردن وفلسطين ، وأعطت بريطانيا سوريا ولبنان لصديقاتها وحليفاتها فرنسا .

وجاهد العرب وكافح العرب وقتل العرب وبقي الاحتلال !
ثم جاءت الحرب العالمية الثانية . . . وتعاون العرب مع دول الغرب كما هو معروف ، تعاونوا بكل ما يملكون من موارد وخرج العرب من الحرب المذكورة بنفس الحفنة من الوعود ، ومرة ثانية كافح العرب وناضل العرب وقتل العرب وبقي الاحتلال .

الغرب يريد تحقيق مصالحه

واليوم والعرب فى طريقهم إلى تحقيق أمانيهم ومطالبهم المشروعة والتي كافح من أجلها آباؤهم وأجدادهم ، ليتخلصوا من الاحتلال الذى يعطل نهضتهم ، يجب علينا أن نرجع إلى الوراء لنستعرض - جميعاً - المأسى التاريخية التى مرت ببلادنا حتى يمكننا وضع خطوط عريضة سليمة واضحة للمستقبل ومن أجل ذلك دعت مصر إلى التمسك بميثاق الجامعة العربية روحاً قبل التمسك به نصاً .

ودعت مصر كل العرب إلى التثبيت بميثاق الضمان الجماعى
روحاً ونصاً أيضاً ، وبهذا فقط يكون للأمة العربية القوة والقيمة
والرهبة فلا تكون مجرد مجموعة من الدويلات الصغرى المتنازعة
المتنافرة المنقسمة على نفسها .

فأننا وهذا حالنا – اليوم – يمكن ابتلاعنا دويلة فى أثر الأخرى
، ومصر تدعو العرب أن يمضوا – جميعاً – فى طريق واحد ،
فينتهجوا سياسة خارجية واحدة ، لأن المعسكر الغربى يهمله أن
يسطير على شعوب هذه المنطقة ليحقق مصالحه ، أما مصالحننا ،
فلنرجع إلى سجل مآسينا التاريخية لنعرف أنها بعد أن تسطير دول
الغرب على شعوبنا سوف تتحول هذه المصالح إلى حفنة من
الوعد المعسولة البراقة !

وذلك سيحدث إذا ما واجهنا الغرب متفرقين منقسمين على
بعضنا !

كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى ، وبعد الثانية أيضا ، فأن
الغرب أستغل انقسامنا وتفرقنا وتنافسنا ليضرب ضربته فيصرعنا ،
وقد كان ، وابتلع الغرب دولة فى أثر الأخرى ، ووزع على بعضه
الغنيمة . . . أى أمتنا !

أما إذا تكتلنا وانتهجنا سياسة خارجية موحدة واضحة مستمدة
من واقعنا وتجاربنا وتاريخنا ، فأننا كأمة عربية متحدة نستطيع
مواجهة الغرب ، ونحن كتلة واحدة ، فيعجز – فى هذه الحالة –
عن ابتلاعنا دولة وراء الأخرى ، ولا يمكنه أبداً السيطرة والبطش
بمصالحنا !

أن مصر تعلم أن هناك ضغطاً واقعاً على حكومات بعض الدول العربية ، وتعلم أيضاً أن هناك تهديدات لتلك الدول وأيضاً تعلم أن هناك وعوداً براءة وترغيباً ملحاً لكى تخضع كل دولة منها على حدة .

فإذا استمعت الدول العربية إلى نداء مصر للتكتل وتوحيد السياسة والتشبث بميثاق الضمان الجماعى وميثاق جامعة الدول العربية ، إذا استمعت هذه الدول لذلك النداء الصادر من أعماق الشعوب ومن قلوبها فإن أى تهديد أو ضغط أو وعد معسول براق ، لا يمكن أبداً أن تكون له قيمة ما ، إلا قيمة الورقة التى سطر عليها !

لن نسلم للغرب أو للشرق

أن العرب الأشقاء يقفون – اليوم – بين الشرق والغرب لسنا مع هذا المعسكر أو ذاك ، ومن المحال أن نسلم فى سيادتنا فنفقده قوميتنا ومصالحنا ، إذا ما قررنا التكتل وانتهاج سياسة عربية خارجية موحدة .

لكن ما دمنا منقسمين ومختلفين ومفككين فإن الكتلة العربية تصبح خيالاً لا ظل له من الحقيقة ، وفى هذه الحالة ستسلم الدول العربية برغبتها أو رغماً عنها بما يملئ عليها .

وعلى هذا الأساس نادى مصر كل الحكومات العربية وقالت مصر لهم : انسوا الماضى وخلافات الماضى وابدعوا عهداً جديداً

فى تطبيق ميثاق الجامعة العربية حتى لا تتكرر مآسيكم العديدة
التي حدثت فى الماضى .

وابدءوا عهداً جديداً وطبقوا ميثاق الضمان الجماعى العربى
كما وضعتموه فإنه لا يزال - حتى اليوم - حبراً على ورق ، فأذا
فعلنا هذا فسيثق كل منا فى نفسه ، ثم فى الآخرين ، وستفشل كل
المحاولات التى يبذلها الغرب للسيطرة علينا ، وجرنا إلى شبكة
أحلافه ، دولة وراء الأخرى ، فلدينا ميثاقنا الجماعى ، لدينا السلاح
الذى ندافع به عن أنفسنا وعن قوميتنا ومصالحنا، فلماذا نلجأ إلى
غيرنا ، وهذا الغير كما هو واضح لكل شعوبنا تتعارض مصالحه
مع مصالحنا ؟

أن مصر عندما تقف فى وجه هذا الخطر الداهم هذا الموقف
التاريخى المجيد ، أنما تعبر عن أرادة شعوب العرب وعن رغبات
تلك الشعوب ، فلماذا لا يلتزم المسئولون العرب - جميعاً - نفس
الموقف ، فلا تتحدى أرادة شعوبنا ، ونمزق شمل وحدتها من أجل
مصالح الغير ، وهى - كما قلت - تتعارض مع مصالح شعوبنا ؟
وقد اجتمع رؤساء حكومات العرب فى القاهرة ليحددوا موقفهم
من شعوبهم ، وهل هم مع الشعوب أم مع أعداء تلك الشعوب ؟
أن مصر فى خلال تلك الاجتماعات كانت تضع قدميها على
أرض صلبة ثابتة ، كان موقفها واضحاً جداً .

كان صوت مصر يدوى فى تلك الاجتماعات معلنا أن لا أحلاف
عسكرية مع تركيا التى لا تملك هى نفسها مصيرها والتى تتبادل
المعونة مع إسرائيل . . . عدوة العرب والحجر المغروس فى قلب الشرق
الأوسط .

ومضى صوت مصر يعلن الحقائق فى تلك الاجتماعات ، ومضى صوت مصر يشرح الموقف ، وكل كلمة قالتها مصر أنما هى صدى لما يتردد فى أعماق كل الشعوب العربية ، ومصر أنما حددت موقفها هذا من الأحلاف وهى تؤمن أن كل عربى فى كل قطر من أقطار العرب يقف نفس الموقف . فلماذا – أذن – تقف بعض حكومات العرب موقفاً يخالف موقف شعوبها ، ولحساب من تتخذ تلك الحكومات هذا الموقف وما هى نتيجة تحدى مشاعر الخمسين مليون مواطن فى هذه المنطقة ؟

أننى أقول للملايين العربية أن مصر تناشدكم الوقوف كما أنتم ، صفاً واحداً لمواجهة الخطر الدايم الذى أطل على الشرق الأوسط .

مهزلة المهازل

قلت أن مصر حددت سياستها العربية حددت سياستها العربية
داخل إطارين ومن المحال إخراجها - أي هذه السياسة - منها .
أولاً - الوطنية المصرية .
ثانياً - القومية العربية .
ووضعت مصر - كما قلت - السجل الكامل لهذه السياسة
الواقعية الجديدة بين يدي حكومات الدول الشقيقة .
وقالت مصر للشقيقات : " لا أحلاف أجنبية فعندنا ميثاق
الضمان الجماعي ، وما علينا إلا أن ننفذ نصوصه بالتحديد فوراً
فنتحرر من سيطرة الأجنبي علينا فوراً أيضاً " وكنا ملتزمين حدود
الصراحة التامة في توضيح الموقف هنا في الشرق الأوسط ،
وعرفت حكومات العرب ألف باء السياسة المصرية العربية في عهد
ما بعد فاروق .
عرفت - مثلاً - أن مصر ناضلت منذ قامت الثورة نضالاً
مستمراً وصمدت عند موقفها وهي في سبيل حل قضية البلاد
الوطنية ، فرفضت الأحلاف العسكرية كثمان لحل القضية ، ولم تقف
جهود دول الغرب عند حد ، فمضت تلح على الثورة لكي تقبل هذا
الوضع . . . قالوا " لتوقع حكمة مصر حلف الشرق الأوسط ، وإلا
فلن يتم الجلاء عن قنال السويس " ولم توقعه حكومة الثورة ، بل
كان ردها على هذه المساومة قاطعاً وحاسماً .

وفوجئ الغرب بهذا الموقف العجيب من حكومة عربية لا تملك القوة التي تجعلها تتحدى الغرب وترفض التعاون العسكى معه ، بل تهدد بإثارة حرب عصابات فى منطقة قنال السويس هنا ظهرت حقيقة كبرى على المسرح السياسى فى منطقة الشرق الأوسط ، وهى أن دول الغرب لما تأكد لها أ،ه قد ظهرت فى الشرق الأوسط حكومة تقف إلى جوار شعبها وتعدده بخوض معركة مسلحة يشترك فيها الجيش جنباً إلى جنب مع الشعب ، بل وتستعد فعلاً وتعد الجيش والشعب لهذه المعركة – أقول – هنا تراجع الغرب ، لا لأنه خاف من حرب القنال الوطنية فقط بل لخوفه من امتداد تلك المعركة الوطنية المسلحة إلى عمان وبغداد وكل قطر متاخم للقنال فيه قوات محتلة !

فأى انتصار للشعوب العربية أقوى من هذا ؟ وأى تغيير هائل هذا الذى طرأ على الموقف السياسى فى الشرق الأوسط ؟ أنه وعى الشعوب العربية التى وقفت فى وجه الأحلاف منذ أطلت بشبحها عليهم ثم خاضت معارك عديدة فى سبيل تحطيمها ، وموقف الشعب المصرى من مشروع صدقى – بيفن – الذى نص على الدفاع المشترك ، أن موقف الشعب المصرى من ذلك المشروع كان صارماً وحاسماً فلم توقعه حكومة صدقى خوفاً من ثورة الشعب وكان قد تحرك فعلاً ليثور فى ذلك الوقت . وفى العراق وقف الشعب العراقى الباسل نفس الموقف من اتفاقية جبر – بيفن – فلم تتم المساومة .

وفى كل بلد عربى كان الشعب يلعب الأحلاف ، ويهتف من أعماقه بسقوطها ، وبسقوط كل حكومة تتحرك لتوقع حلفاً عسكرياً .

وفى لبنان وسوريا والعراق وقفت الشعوب العربية بكل
عواطفها مع شعب مصر أيام محنة صدقى - بيفن .
وكذلك قامت شعوب العرب بنفس التأييد لشعب العراق الباسل
وهو يناضل ليحطم مشروع جبر - بيفن فكيف انبعث - أذن - هذا
الوعى العظيم فى أعماقنا نحن الشعوب العربية ؟
أنى لا أريد أن أدخل فى تفاصيل - عليمه - لأرد على هذا
السؤال . فالمسألة ببساطة هى أن الشعوب العربية أحست بعد
الحرب العالمية الثانية مباشرة بالخدعة الكبرى التى اكننت هذه
الشعوب ضحية لها طوال أعوام الحرب ، وذلك عندما رفضت
بريطانيا الجلاء عن بلاد العرب المحتلة ، تنفيذاً لوعود الحلفاء
المتعددة للعرب أثناء الحرب .

بل أن الموقف كان واحداً فى كل البلاد المستعمرة فى هذا العالم
، وفى آسيا خدع الحلفاء الشعوب بوعودهم ، فوقفت تلك الشعوب
إلى جانبهم ، وهى تأمل أن تتحرر بعد النصر ، فتجلوا قوات
الحلفاء عن أوطانهم ، فحاربت جنباً إلى جنب معهم وأستشهد
الملايين من أبناء آسيا من أجل الحلفاء ، ثم انتصر الغرب وأبقى
قواته فى أماكنها ، ليستأنف سيطرته على آسيا لكن الوضع
الجغرافى للبلاد هناك ، لوجود أحراش وغابات وجبال ، ولبقاء
السلاح فى أيدي الشعوب الآسيوية حتى بعد انتهاء الحرب -
لوجود كل تلك العوامل - قامت معارك مسلحة ضد المحتلين كلل
معظمها بالنجاح .

وهكذا لم تحقق شعوب آسيا استقلالها إلا بالدم ، لأنها انسافت
وراء وعود الغرب حتى انتصر وهنا أنكر وعوده .

المسألة أذن أصبحت واضحة المعالم تماماً أمام شعوب العرب ،
فقد عرفوا أن التحالف بين الضعفاء والأقوياء مهزلة وخدعة
يستغل بها القوى الضعيف ويسوقه إلى حيث يشاء بلا ثمن ومن
أجل هذا رفضت الشعوب العربية الارتباط بأحلاف ، لأنها شعرت أن
مصالحها لن تتحقق على هذا الأساس .

ثم قامت في مصر ثورة لتحقيق إرادة الشعب المصري ،
فاكتسحت في طريقها العرش والإقطاع والأحلاف ، وبالرغم من
حدوث هذا التغيير الضخم في ميزان القوى في الشرق الأوسط ، أى
بالرغم من وضوح موقف مصر حكومة وشعباً تجاه الأحلاف لم
يبأس الغرب ، ولم يكف عن محاولاته لفرض الأحلاف على
حكومات العرب ، وكانت آخر محاولة هي محاولته عزل الدول
العربية بعضها بدخول واحدة وراء الأخرى في حلف : العراق -
تركيا - باكستان - إيران - إنجلترا - أمريكا وأخيراً إسرائيل .
هل شهد أحد ، أو سمع أحد في بلاد العرب أعجب من هذا ،
فنحن العرب مطلوب منا أن نوقع حلفاً مع إسرائيل ، بإرادتنا
وباختيارنا !

وماذا أيضاً ؟

أن مهزلة المهازل قد ظهرت أخيراً في بلاد العرب .
أن العرب ربما كتب عليهم أن يشردوا ويجوعوا ويموتوا ،
وتمتهن وطنيتهم وادميتهم ويطردوا إلى الكهوف والعراء ،
باختيارهم وعن رغبة منهم .

وماذا أيضاً ؟

ماذا وراء الحدود هناك فى العراق ، أن لم تكن مهزلة
المهازل؟

وأى عون ضخم للنفوذ الاجنبى فى الشرق الأوسط يمكن أن
يناله الغرب أكثر مما أعطاه اتفاق نورى – مندريس ؟
أن الغرب لم يكن يأمل فى أكثر من هذا ، فى دق أول مسمار
فى كيان الأمة العربية ، ثم تتوالى بعد ذلك المسامير .
وهنا يتحقق للغرب هدفه باختيارنا وعن طواعية وكرم حاتمى
جدا !

ويكون الحلف الذى رفضته مصر وأصرت على رفضه ،
حكومة وشعباً ، وقد حاز القبول لدى دولة عربية فيها قوات محتلة
، أى خطر قائم فعلاً داخل الحدود ، وليس وراء الحدود وفى هذه
الحالة تعزل الدول العربية التى ارتبطت بميثاق جامعتها ، عن
شقيقتها واحدة وراء الأخرى ، فينهار البناء الذى تريد مصر أن
تجعل منه قوة فعالة ظاهرة لها قيمتها وكيانها القومى الموحد .
وهذا البناء الذى لا يريده الغرب أن يتم هو ميثاق الضمان
الجماعى ، فمصر قد أعلنت شقيقاتها بالخطأ كاملة داخل إطارين لا
ثالث لهما : الوطنية المصرية ، والقومية العربية .
وبشرط ألا تكون الوطنية المصرية عاملاً من عوامل أضعاف
قضية شعب عربى آخر .

قالت مصر للشقيقات : " أننا – جميعاً نكون أمة عربية تشترك
فى الحدود واللغة والظروف والدين والمصالح ، فإذا أصبح لهذه
الأمة قوة ظاهرة مستقلة وسط المنظمات العالمية على اختلافها ،
وهذه القوة غير خاضعة لأى نفوذ أجنبى على الإطلاق ، مثل ميثاق

الضمان الجماعى الموجود فعلاً على الورق ، والذي يمكن – فعلاً – أن يصبح حقيقة واقعة فى الحال ، إذا أصبح للأمم العربية هذه القوة المستقلة التى نتحكم نحن العرب فيها لا الأجنبى ، استطعنا حماية مصالحنا من كل نفوذ أجنبى بدلا من أن يفرض الاجنبى مصالحه علينا ، ويتدخل فى شئوننا ، ويمنع كل محاولة للقفز بشعوبنا نحو التقدم ، فمصالحه تتعارض مع تقدم الشعوب .

فالحكومة العربية – أذن – التى تنسلخ عن شقيقاتها وترتبط بحلف من هذه الأحلاف ، لا يكون هدفها الدفاع عن مصالح دولتها كما تدعى ، بل هى – فى هذه الحالة – تعمل على تهديد مصالح شعبها ، متآمرة على هذه المصالح مع الأجنبى الذى ارتبطت به ! هذا هو الموقف الآن فى الشرق الأوسط ، وليس هناك موقف ثان .

أنا لا يصح أن نسمح – شعوباً وحكومات – للذين يعملون على هدم أمتنا العربية ، وتفكيك وحدتها بارتكاب هذا الوزر العظيم . ولنستفيد بما يجرى – الآن – فى العالم داخل المنظمات والتكتلات الدولية .

ولا توجد منظمة فى أى مكان فى العالم تربط بين دولها روابط حقيقية فى اللغة والدين والحدود والظروف مثل دول منطقة الشرق الأوسط ، وبالرغم من هذا فإن عوامل الانهيار قد بدأت تظهر فى بنائها ، فى الوقت الذى نرى فيه – مثلاً – موقف دول غرب أوروبا التى أرادت تكوين الجيش الأوروبى ، فتلك الدول لا تربط بينها مثل هذه الروابط التى تربط بيننا نحن العرب ! وبالرغم من هذا فإن دول غرب أوروبا لم تنسلخ إحداها عن باقى الدول وترتبط

فى حلف خارجى آخر رغم أرادة باقى زميلاتها ، بالرغم من أنها تختلف دواماً ولا تقف موقفاً موحداً من تكوين ذلك الجيش الأوربى فهو – أى الجيش – لم يتكون حتى الآن ، لكن تلك الدول المطلوب منها أن تخلق الجيش الأوربى لم يصبها اليأس ، ولم تلجأ إحداها إلى جهة أخرى أو تنفصل عن بعضها .

ونحن العرب إذا كنا لم نضع ميثاق الضمان الجماعى موضع التنفيذ حتى اليوم ، فأن اللوم يقع علينا ، حكومات وشعوباً ! وكما – قلت – فأن مصر قد حددت الموقف أمام العرب بصراحة ، ورسمت أمام شعوبهم وحكوماتهم الطريق الذى يحقق كل مصالحهم .

ولكى تضع مصر هذه السياسة القومية موضع التنفيذ رفضت بحزم وفى إصرار الدخول فى حلف مع الغرب ، حتى لا تكون – أى مصر – عاملاً من عوامل تحطيم كيان الأمة العربية ! مصر – أذن – حريصة على خلق هذا الكيان العربى ، لا بالكلام والخطب والحفلات ، وإنما بالعمل السريع الحاسم ، وبالواقع الملموس .

أن مصر قد حصلت رغم موقفها الوطنى الصريح على حقها فى الجلاء ، لأن الغرب عرف أنه المحال – إطلاقاً – فرض حلف عسكرى على حكومة الثورة ، خارج نطاق الجامعة العربية ، كما عرف أنه من المحال إقناع مصر بتحطيم كيان العرب وأعطاء دول الشرق الأوسط فريسة للأجنبى ، فأن مصر لم تقم ثورتها ألا للقضاء على كل نفوذ أجنبى يعطل تطور شعوب العرب التى تشترك

مع مصر فى اللغة والحدود والدين والظروف والمصالح الواحدة المتشابهة .

فأنا نحن العرب كما قلت أمة واحدة ، لنا قومية واحدة ، وهدف واحد مشترك ، هو الخلاص من السيطرة الأجنبية ولا توجد قوة فى الوجود يمكنها أن تفرض على حكومة الثورة حلفاً أجنبياً غير ميثاق الضمان الجماعى العربى ، لأن حكومة الثورة تؤمن بأن هذا الميثاق هو السبيل الوحيد لخلق القوة المنبعثة من خارج حدود هذه الأمة !

وبين الساسة العرب اليوم من يدعى أن الدول العربية لن تحصل على حاجتها من السلاح لتدافع عن نفسها إلا إذا قبلت شروط الغرب ، أى تدخل معه فى حلف خارج نطاق الضمان الجماعى ، وهذا الذى يقوله بعض الساسة العرب أن دل على شئ فعلى الخاطئ للموقف فى هذه المنطقة .

فالغرب إذا ما حقق هدفه عندما توقع الدول العربية حلف الشرق الأوسط ، سوف يبدأ فى انتهاج سياسة مع العرب ، ونفس السياسة سيتبعها مع إسرائيل فهى أيضاً حليفة له فمثلاً إذا أعطى الغرب لإسرائيل مدفعاً فسيعطى العرب جميعاً أى الخمسين مليوناً مدفعاً واحداً من نفس النوع ، وأذا سمح الأجنبى الذى ارتبطنا به - مثلاً - لنا نحن العرب بطائرة فسيعطى إسرائيل نفس الطائرة .

أى أن الأجنبى الذى يعمل بعض ساسة العرب على الارتباط به ، سوف يضعنا نحن العرب جميعاً فى كفة ، ويضع إسرائيل فى الكفة الأخرى .

فانظروا أذن يا رجال العرب ويا ساسة العرب هذا الشرق الأوسط النهاية التي تريدون أن تضعوها لشعوبكم ، انظروا كيف أنكم تسلمون مصائر هذه الشعوب لجلاديكم .

أنكم تجعلون من إسرائيل نداً لكم في هذا الشرق الأوسط ، وإسرائيل هي عدوتكم الأولى هنا في الشرق الأوسط .

أنكم تحكمون بالإعدام على القومية العربية ، أنكم تدوسون مقدساتكم بالنعال ، أنكم تتاجرون بمصائر الملايين المشردة في الشرق الأوسط والملايين التي ستشرد فيما بعد ، عندما يصبح حلف الشرق الأوسط حقيقة واقعة .

وعندما لا يصبح لكم كيان عربي وعندما تتفتت الوحدة العربية ويدفن ميثاق الضمان الجماعي العربي في قبور بغداد !

فسلام على موتاكم في فلسطين ، و سلام على شعوبكم المريضة الجاهلة العارية ، و سلام على المستقبل كله .

المسار الأول

شرحت موقف مصر بالتحديد تجاه الأحلاف الأجنبية ، وتحدثت عن سياسة مصر العربية ، وقلت أن مصر تؤمن بأن السبيل أمام دول العرب للتخلص من السيطرة الأجنبية هو فى ميثاق التضامن الجماعى العربى ، وليس فى غيره على الإطلاق ففى ذلك الميثاق ضمانات لنا نحن العرب ، لا توجد فى أى منظمة أخرى خارج منطقة الشرق الأوسط العربى .

فى ذلك الميثاق ضمان لنا من السيطرة الأجنبية ، وبداية للاستقلال بالرأى فى سياستنا الموحدة ، حتى إذا شعرنا نحن العرب بخطر يهد مصالح شعوبنا استطعنا – ونحن كتلة واحدة لها كيانها المستقل – أن نحدد فى الحال موقفنا من ذلك الخطر فنواجهه ونمحقه ، بدلاً من التهاوى أمامه والاستسلام له كما يحدث – قطعاً – عندما نرتبط بحلف أجنبى يسيطر عليه الغرب وإسرائيل !

وأقو – هنا – أن بعث القوة فى ربوع الأمة العربية الموحدة المرتبطة مصالحها والموحدة أهدافها ، هو ما تكافح مصر من أجله منذ قامت ثورتها .

أن ما أصابنا فى الماضى من جراء سياستنا العربية المتناقضة ، والضعف الذى كان طابعنا كلما أطل علينا خطر يهدد مصائرنا ، وعدم وجود كيان عربى قوى يرهب كل الأعداء ، أى ميثاق موحد خاضع فى نصوصه لمصالح شعوب العرب أولاً وقبل كل شئ ، وأيضاً ما أصابنا من وجود ساسة عرب من الجيل أدنى تعود الاتحناء أمام الخواجات والسير فى ركابهم ، كل هذا وغيره من

عوامل الانهيار والذل والخنوع الظاهرة فى كياننا العربى قد جعل الأجنبى يعمل دوماً على إبقائنا كما نحن بلا كيان موحد قوى ، حتى نسهل عليه عملية افتراسنا ، وسلب حقوقنا بل أبادتنا ، بإحلال شعوب أخرى مكان شعوبنا العربية كما حدث عندما جاءوا إلى فلسطين بشرذمة من الأفاقيين المغامرين ، وفرضوهم فرضاً على الوطن العربى ، ثم استولوا على ذلك الوطن ليعيش فيه شعب غريب دخيل طارئ على الشرق الأوسط ، أما الشعب الأصيل صاحب الأرض وصاحب كل الحقوق فأين هو الآن يا عرب ؟

أن إسرائيل لم تخلق صدفة ، إنما خلقت لتهدد كيان الأمة العربية وتمهد لتمزيق تلك الأمة ، وتشريد أبنائها ، وسلب أرزاقهم وإفساح الطريق أمام النفوذ الأجنبى ليمضى كما هى العادة فى السيطرة على المنطقة كلها .

أنهم خلقوا إسرائيل لهذا السبب فقط ، لتكون رأس الرمح الذى يسدد إلى قلب الأمة العربية ليحطم وحدتها ويمزق رقعتها ويشيع فيها الاضطراب ، والخلافات والتناحر ، فيظل العرب كما هم — مشغولين — بخلافاتهم وتنازحهم وتناحرهم ، فلا يعملون على بعث قواهم لمواجهة الأخطار والسيطرة الأجنبية .

وكما قلت إسرائيل لم تخلق صدفة ، ففى الوقت الذى أنكر فيه الغرب وعوده للعرب بعد الحرب العالمية الأولى ، فلم نحصل نحن العرب على حقوقنا ، كما كان معلوماً أثناء قيام تلك الحرب ، وبعد وقوف دول العرب إلى جانب الغرب ، فى نفس الوقت نجد الغرب

قد منح الصهيونية وعداً قاطعاً عام 1917 لقيام دولة إسرائيل ،
وهو المعروف بوعده بلفور !
وتحقق الوعد – فعلا – وقامت إسرائيل فوق جماجم أبناء
الشعوب العربية والمصالح العربية ، والقومية العربية .
هذا والعرب هم الذين وقفوا إلى جانب بريطانيا وساعدوها على
النصر فكافأتهم بخلق إسرائيل . . . !
نحن العرب – أذن – لا قيمة لنا على الإطلاق في نظر هؤلاء
الأجانب .

أنهم يعدوننا فقط ، أما ما بقي أى تنفيذ الوعد ، فبين سياسة
العرب وزعماء العرب أقطاب تعودوا أن يخضعوا وينحنوا أمام كلمة
الأجنبي وأوامره ، وفى هؤلاء السياسة العرب الخاضعين المتآمرين
على شعوبهم الكفاية ، ليظل الأجنبي فارضاً نفسه علينا ، مقدماً
مصالحه على مصالحنا ، ناهياً أرزاقنا ومستغلاً مواردنا .
وبعد هذا ، عندما تقول مصر لحكومات العرب – بصراحة –
أن مأساتنا – جميعاً – واحدة ، وأن عدونا واحد هو النفوذ
الأجنبي فتعالوا نتكتل أمام المصيبة الواحدة لنخرج من نطاقها ،
وعندما تقول مصر لحكومات العرب أن السبيل إلى هذا هو القوة
المنبعثة من كياننا كأمة واحدة ، وعندما تقول مصر لحكومات
العرب ، عندنا ميثاق الضمان الجماعى تعالوا نحوله من حبر على
ورق إلى حقيقة واقعة ، ولدينا كل الإمكانيات ، وعندما تقول مصر
لحكومات العرب تعالوا نحدد سياستنا الخارجية على أساس
مصالحنا كعرب ، كأمة ، عندما لا تخفى مصر شيئاً من الحقائق
والخطط المنبعثة من واقع حياة العرب يفسر بعض أقطاب العروبة

هذا الكلام بأن يتحالفوا مع تركيا وإسرائيل ويرتموا فى أحضان الغرب .

وحيثما اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى 10 ديسمبر 1954 ، قابل الرئيس جمال عبد الناصر وزراء خارجية الدول الشقيقة ، كل وزير منهم على حده .

وقال الرئيس جمال لهم ، أن سياسة مصر العربية تنحصر فى أن وطنيتنا المصرية لا يصح أن تلحق الضرر أو تطفى على القومية العربية ، وقال لهم أن مصلحة مصر لا تتعارض - إطلاقاً - فى أية ناحية مع مصلحة شقيقتها ، بل أننا نعمل - الآن - ونحن نؤمن أن المصلحة الوطنية لشعب مصر يجب أن تسير جنباً إلى جنب مع القومية العربية نفسها ، ثم قال لهم : " أن الخلاف الوحيد الذى يمكن أن يؤثر على كياننا العربى الموحد والذى يمكن أن يضعف من مقوماتنا ، ينحصر فى وجود خلاف - أى خلاف - بيننا فى السياسة الخارجية " .

وأهى الرئيس جمال حديثه - الصريح - مع وزراء الخارجية العرب أن طلب أن تتفق الدول العربية على سياسة واحدة محددة تواجه بها العالم كله كتلة واحدة فيصعب تمزيق شملها وعقد وزراء الخارجية تسع جلسات ، ثم اتفقوا على السياسة الخارجية وكان الاتفاق على ما يأتى : -

أ - تركز السياسة الخارجية للدول العربية على ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية وعلى ميثاق الأمم المتحدة ولا تفر عقد أحلاف غير ذلك .

ب - التعاون مع الدول الغربية على الأسس التالية من غير
الدخول فى أحلاف عسكرية : -

1 - حل القضايا العربية حلاً عادلاً .

2 - إتاحة القوة اللازمة للبلاد العربية كي تحافظ على سلامتها
وكيانها من أى عدوان بدون أن يكون فى ذلك انتقاص من سيادتها

ثم تحفظ العراق التحفظ الأتى : -

أن العراق يحتفظ لنفسه بحق تعديل المعاهدة العراقية
البريطانية على غرار ما فعلته مصر مع بريطانيا مع إضافة إيران
وتركيا فى حق عودة القوات البريطانية إلى العراق .

ووافق وزراء الخارجية على هذا التحفظ .

والمفهوم من تحفظ العراق أنه سيتفق مع بريطانيا على إجلاء
جنودها من " الحبانية والشيبية " .

ثم أتفق وزراء خارجية العرب على أن يجتمعوا فى يناير
1955 ، تمهيداً لاجتماع رؤساء الحكومات العربية ، وذلك لتنسيق
هذه السياسة وتدعيمها اقتصادياً وعسكرياً .

لقد خرج وزراء خارجية دول العرب من تلك الاجتماعات وهم
يشعرون بالاطمئنان الشديد على الخطة العملية التى وصلوا إليها ،
شعروا يومها أن القومية العربية فى طريقها - أخيراً - إلى أن
تصبح حقيقة واقعة ، بعد أن كانت مجرد خيال .

ثم بعد أن اطمأن العرب على مستقبلهم الذى حددوا برنامجه
ورسموا خطوطه العريضة الواضحة ، حمل الأثير إلى أذان العرب

حكومات وشعوب بيان حكومة العراق الذى أعلنت عنه اتفاقية نوري – مندريس يوم 12 يناير سنة 1955 .

كانت مفاجأة للشعوب العربية كلها ولحكومات تلك الشعوب ،
فها هو المسمار الأول فى كيان القومية العربية تدقه دولة شقيقة ،
وليس إسرائيل أو إنجلترا أو أمريكا ، دولة شقيقة هى التى تحاول
القضاء على هذه القومية وتبدد شمل العرب لمصالح النفوذ الأجنبي
!

أن حكومة العراق لم تؤمن بمصالح الشعوب العربية فقررت أن
تسلخ عن كيان الأمة العربية ، متحدية مشاعر كل شقيقتها ،
ومتحدية أيضاً مصالح شعب العراق نفسه .

وأنا أتحدث هنا كمواطن عربى فأقول ما فائدة ميثاق الضمان
الجماعى أذن ؟ بل لماذا يبقى هذا الميثاق المظلوم ما دامت هناك
حكومة عربية ، وربما حكومات أخرى غيرها لا تعترف بنصومه
أو حتى بوجوده فتلجأ إلى غيره من المواثيق التى يسيطر عليها
الأجانب وإسرائيل

ولماذا لا يلغى هذا الميثاق العربى – فى الحال – ما دام لا
يساوى فى نظر بغداد وغيرها من عواصم العرب قيمة الورقة التى
سطر عليها ؟

أننى كما أقول أتساءل كمواطن عربى فقط لأنى أريد أن أعرف
– كمواطن عربى – الموقف بالتحديد ، فالمسألة لا تخص العراق
أو بيروت أو دمشق أو القاهرة ، بل تخص خمسين مليوناً أنا واحد
منهم ، يعيشون فى منطقة الشرق الأوسط ، ويتكلمون لغة واحدة

ويعتقون ديننا واحداً ، ومصيرهم فى الحاضر والمستقبل واحد ،
لأن لهم قومية واحدة .

أن كل واحد من الخمسين مليون عربى هنا فى الشرق الأوسط ،
يتساءل مثلى عن سر بقاء ميثاق الضمان الجماعى – حتى الآن
– على الورق . ، ولماذا لا يصبح حقيقة واقعة – فى الحال – أو
يلغى فى الحال ، فيتحدد بعد ذلك موقف كل حكومة عربية من
مصالح شعبها ومن مستقبله ؟

أما مصر فأن موقفها لن يتغير ، فهى ستقف كالعملاق هنا فى
الشرق الأوسط لتقاوم بكل ما تملك من قوة وأيمان الأحلاف ، حتى
لا يتمكن الأجنبى منا مرة ثانية ويجعلنا عبيداً له وهو السيد المطاع
.

أن مصر ستصمد ولن تغير من موقفها كما صمدت أمام الغرب
عندما أراد فرض حلف الشرق الأوسط على حكومة الثورة كثنم
للجلاء .

وكان النصر فى النهاية لحكومة الثورة ، لأنها كانت تستمد
موقفها ذلك من أرادة الشعب المصرى .

وكل حكومة عربية أصبح يتحتم عليها أن تضع أمامها مصلحة
شعبها أولاً ، قبل أن تضع فى حسابها مصلحة إسرائيل وتركيا
وباكستان وإيران وإنجلترا وأمريكا إلى آخر القائمة التى لا تتضمن
– إطلاقاً – مصلحة واحدة لأى عربى فى الشرق الأوسط .

فإذا أرادت حكومة من حكومات هذه الدول العربية ، أن تتخلى
عن شعبها ، وترتمى فى أحضان الغرب ، فلتحدد موقفها – أذن –
فى الحال هل هى مع العرب أم مع إسرائيل ؟ ثم ليمزق ميثاق

الضمان الجماعى العربى فى الحال أيضاً ويترك المر بعد ذلك
للشعوب العربية نفسها ، فهى فى هذه الحالة تصبح مسئولة عن
حماية مصالحها ، بعد أن تخلت الحكومات عنها .
وبعد ذلك سلام على شهداء فلسطين وسلام على القومية
العربية ، وسلام على مصالح العرب وأرزاق العرب ومستقبل
العرب !

مدرسة الخيانة

منذ بدأت تفوح فى الجو رائحة الخيانة التى أقدم عليها نوزى السعيد بجرأة هذه المرة لأنه أعلنها ، وكان من قبل يرتكب خيانتة ولا يعلنها بمثل هذه الجرأة ، أقول منذ فاحت هذه الخيانة وأنا أتحرق لكى أعود مواطناً غير مسئول حتى أستطيع أن أقول كلمتى بصراحة من غير أن أخرج أحداً أو أسئ إلى وضع ، ولكن شاء السيد نورى السعيد أن يعفبنى من هذا الحرج بتصميمه على المضى فى خيانتته إلى آخر الشوط لقد نكبت شعوبنا بالاستعمار والانتقام والاختلاف وشهوات الأتانية ، وحب الذات وعشرات الشهوات الأخرى بفعل مدارس الخيانة التى قامت فى داخل شعوبنا على يد أبناء من هذه الشعوب ، قامت هذه المدارس أساساً على أيدى أبناء من شعوبنا كما قلت يصفون أنفسهم تارة بالواقعية وطورا بالأفق الواسع لكى يبشروا بين مواطنيهم بمبادئ جديدة للوطنية هى الخضوع والتسليم للمستعمر الغاضب لأننا ضعفاء ولن نستطيع أن نصل إلى قوة هذا الغاضب وأذن فلا بد من مصادقته ولكى يبرروا هذه الصداقة لا يمنع الأمر أن يصفوها فى تبجح صداقة " الند للند " لكى يضللوا الشعوب بالألفاظ فى الوقت الذى يقتلون فيهم كل روح للمقاومة أو العزة أو الكرامة ، لقد بلونا هذه المدارس فى مصر هنا قديماً وحديثاً .

فلم تزل خيانة توفيق " خديو مصر المشهور " ترن فى كتب

التاريخ وعلى أرض هذا البلد الأمين .

استمع معى إلى البيان الذى أصدره توفيق لكى يستدعى أعداء البلاد على أبنائها ، وينذر بشديد العقاب كل من يقاوم الإنجليز فى احتلالهم أرض الوطن .

أنه يقول بالنص فى منشوره :

" ليكن معلوماً عند السلطات الملكية والعسكرية فى منطقة قناة السويس أن أميرال الأسطول الإنجليزى وقائد الجيوش البريطانية العام إنما أتيا إلى مصر لإعادة الأمن والنظام إليها ، ومن ثم سمحنا لهما باحتلال جميع الأمكنة التى يريان فى احتلالها ما يساعد على قمع العصيان ، ومن خالف أمرنا هذا ينزل به اشد العقاب " .

وتبع هذا البيان أن قام مواطنون مصريون من مدرسة توفيق الخائنة بالتقدم أمام الجيوش البريطانية الظافرة لكى يبشروا فى الناس برسالة هذه الجيوش التى باركها أفندينا ولى النعم ، وأنها إنما جاءت لكى تنشر الأمن والعمران فى ربوع البلد الأمين .

نعم . . . كان الذين يبشرون بهذه الخيانة أمام الجيش الإنجليزى المغتصب مواطنون مصريون بل ومن الريف وأعيانه الذين ما لبثوا بعد ذلك أن قبضوا ثمن هذه الخيانة من زعيم مدرستهم توفيق آلاف الأفدنة لكل واحد منهم ، أما بقية الشعب فقد تركوا لمصيرهم الأسود أثنين وسبعين عاما كاملة قتل فيهم من قتل وشرد من شرد ، وجاعوا وتعروا وجهلوا وأصبح رجال مدرسة الخيانة وأبنائهم من بعدهم هم السادة الأغنياء الذين ينعمون بخيرات الأرض والجاه والسلطان فى ظل أفندينا ومن توارثوا ملكه من بعده .

كان ذلك مثلاً من أمثلة مدرسة الخيانة فى الماضى التى جلبت على هذا الشعب لعنة ظلت تطارده اثنين وسبعين عاماً .
وحدثاً وقف رجل ومواطن مصرى هو القتل أمين عثمان يخطب فى حفل كلية فيكتوريا الإنجليزية سنة 1940 حينما كانت كل البلاد تصرخ من أقصاها إلى أقصاها بالكراهية لإجترا وترفض دخول الحرب معها وتصر على سياسة تجنيد مصر ويلات الحرب ، أقول وقف أمين عثمان وسط كل هذا يخطب فى حفل كلية فيكتوريا ويقول فى بجاجة أنه يشبه إجترا ومصر بالزوجين و شاء له خياله الخائن أن يصف هذا الزواج بأنه زواج كاثوليكي لا أنفصام له أبد الدهر ، ثم أمعن فى الخيانة فقال : " حتى لو تركتنا إجترا وهى الزوج فلن تتخلى عنها مصر وهى الزوجة بل تسير وراء إجترا إلى آخر الأرض . . . "

لم يكتف بهذا بل قام يبشر علناً وعلى رءوس الأشهاد بهذه الخيانة فيما أسماه " رابطة النهضة " التى أسسها لتكون حزباً ينادى بهذه المبادئ ويبشر بين المواطنين بها بمنطق عجيب هو المنطق الأزلى لمدرسة الخيانة التى تقول أننا ضعفاء وأنى لنا بالأساطيل والدبابات والمدافع التى لبريطانيا أننا لن نستطيع أن نملكها ، وأذن فمن الخير لنا أن نصادق بريطانيا . . . وفى بجاجة أيضاً الند للند " . . . "

كنت اسرح بخيالى فى هذا التاريخ البعيد القريب وأنا أستعرض كلام نورى السعيد على لسان مندوبه الذى أرسله بعد أن جبن عن مواجهة المجتمعين من رؤساء حكومات الدول العربية .

قال هذا المندوب وهو الدكتور فاضل الجمالى فى أول جلسة حضرها وهى الجلسة الثامنة بعد أن سمع تلخيص ما دار فى الجلسات السابقة والقرارات التى تم الاتفاق عليها : " أن سياسة العراق تتلخص فى ثلاث نقاط :

" الأولى تحرير العرب ووحدتهم .

" والثانية : سلامة العراق والمحافظة على صداقتنا مع جيراننا

" والثالثة : وهى التى تتعلق بسياستنا الدولية فقد كانت

سياستنا دائماً إيجابية مع الغرب وهذه هى سياستنا المثالية " ثم

تابع كلامه ، واستمع معى جيداً إلى ما يقول :

" وأن العراق مستعد للمساهمة فى معاهدة الدفاع المشترك

العربى على الدوام ، ولكن علينا أن نكون واقعيين فهذه المعاهدة لا

تفيدنا فى الدفاع عن حدود العراق الشمالية الشرقية ، ولذلك فأننا

ملزمون بالتفاهم مع الغرب للحصول على العتاد وكذلك التفاهم مع

جيراننا لتنسيق الخطط .

" وقد اتصلنا بأمريكا منذ سنتين لطلب سلاح ولكن الضغط

الصهيونى حال دون ذلك . وعندما سافرت فى العام الماضى

لأمريكا جددت الطلب وكدنا نصل إلى اتفاق ولكن الصهيونية نجحت

فى تعطيله وعندئذ أرسلت خطاباً إلى مستر دالاس وذكرت فيه أن

العراق حريصة على أن تقف مع العرب ضد الشيوعية "

ثم يمضى بعد ذلك فى صراحة غريبة قائلاً :

" وبعد ذلك رأينا ضرورة تنظيم الدفاع عن بلادنا خاصة وأن

المعاهدة العراقية البريطانية ستنتهى قريباً وبموجب المعاهدة

الحالية فأن بريطانيا عليها أن تساعدنا فى الدفاع عن حدودنا ولكن إذا انتهت هذه المعاهدة فسنكون وحدنا للدفاع عن بلادنا " ثم تأتى بعد ذلك روعة الخيانة سافرة مجلجلة فقد سأل دولة توفيق أبو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن - فى ذلك الوقت - الدكتور فاضل الجمالى بعد أن امتدت المناقشة .

" ورد فى البيان (والمقصود بالبيان هذا هو البيان الذى صدر فى بغداد وأنقرة عن حلف نورى - مندريس) نص التعاون بين البلدين لصد العدوان من الداخل أو الخارج أو أى جهة كانت والآن تفضلتم بذكر أن الاتفاق لا يخرج عن تبادل المعلومات ومرور العتاد ، وقد ذكرت تركيا للبنان أن المقصود من صد الاعتداء من الداخل هو إسرائيل فهل يعنى ذلك أن تركيا ستقف ضد أى عدوان من إسرائيل على أى بلد عربى أم أن واجبهم يقتصر على تبادل المعلومات ومرور القوات والعتاد ؟ "

فرد السيد برهان الدين باش أعيان وزير خارجية العراق بالنيابة حينذاك قائلاً :

" كان الأتراك مستعدين للتعاون العسكرى إلى أبعد حد ولكن نظراً لارتباطنا بالدول العربية وعدم رغبتنا فى قبول أى التزامات عسكرية قد تتعارض مع التزاماتنا مع البلاد العربية رأينا الاكتفاء بهذا المشروع المبسط واستبعدنا تبادل الجيوش فإذا شئتم التوسع يمكننا أن نفعل ذلك "

وهنا سئل :

" أفهم من ذلك أن اشتراك تركيا فى صد عدوان إسرائيل يعتبر نظرياً "

وهاكم الرد يا شعوب العرب ويا شباب العرب ويا أرواح شهداء العرب .

لقد رد السيد برهان باش أعيان بالحرف الواحد :
" نعم فهو يعتبر نظرياً وغير قائم بخلاف ما جاء فى البيان المشترك "

أى أن وزير خارجية العراق لا يؤكد فقط أن اشتراك تركيا فى صد عدوان إسرائيل إذا هاجمت دولة عربية ليس نظرياً فقط ، وإنما هو يكذب أيضاً ما أصدره رئيسه نورى السعيد فى هذا البيان المشترك الذى بشر العرب باتفاق نورى - مندريس ويقرر أن الحقيقة خلاف ما جاء فى هذا البيان .

أو بصريح العبارة يقرر سلامة إسرائيل ومجدها الذى لن يمس بعد أن أصبح نورى حليف حليفة إسرائيل .

دعونى أتكلم بصراحة يا أخواتى العرب أن أخطر ما نواجهه اليوم ليس الاستعمار وليس الفقر ، وليس الجهل ، وليس المرض وإنما أخطر ما نواجهه اليوم هى مدرسة الخيانة فى كل شعب من شعوبنا .

لقد قضينا عليها نهائياً فى مصر وأدعو الله أن توفقوا فى القضاء عليها فى أوطانكم لكى تتطهر أرضنا ومياهنا وتنمو زروعنا بعدما أصابنا التلف وخربتنا الخيانة .

الفصل الثانى

الوحدة المظلومة

الميثاق الثنائى والضمان الجماعى

لم كان الاتفاق الثنائى بين مصر وسوريا . . .
وبإمضائه اجتاحت الشعوب العربية موجة فرح طاغية أذهلت
الغرب والشرق وأوقعت الرعب فى قلب إسرائيل .
فقد أحس العرب لأول مرة منذ أم طويل بالتفاؤل فى مستقبل
أيامهم ، وأحس العرب لأول مرة بإرادة شعوبهم تتحقق فى شكل
عملى عربى خالص لا تأتية السيطرة من حلف أجنبى ولا يأتية
النفوذ الاستعمارى .

ولم تلبث إنجلترا وفرنسا أن أعلنتا معارضتهما لقيام هذا الحلف
فكان انتصارا آخر للعرب وتأكيداً لمغزاه الذى طالما نادى به شعوب
العرب ولم تكن تجد إلى تحقيقه سبيلاً .

ومن بين هذه الفرحة الطاغية ، نادى مناد من العرب وقال :
" مهلاً يا قوم ، أن هذا الميثاق سيقسم العرب على أنفسهم ،
وأنه إذا كان ولا بد من عمل اتفاقات ، فلتكن اتفاقات تجمع الدول
العربية كلها حرصاً على الوحدة العربية "

قول فى ظاهره الوحدة والعاطفة الأخوية ، وفى باطنه قصة
ماساة طويلة بدأها المستر أيدن فى مجلس العموم البريطانى سنة
1942 يوم أن أوعز بقيام جامعة للدول العربية فقامت .

القصة كاملة

وليعذرني أخوتي من العرب فنحن فى مجال الجد ، وسأكون صريحاً بقدر ما عانت شعوبنا من آلام ، وسأكون صريحاً كما أعلننا فى سياستنا العربية بعد الثورة وقلنا فيها أننا قررنا إلا نناق أو نخادع أو نضل .

نعم قررنا إلا نناق أو نخادع أو نضل فخير للشعوب العربية ألف مرة أن نقول لهم أن حكامكم اجتمعوا واختلفوا من أن نقول لهم أن حكامكم اجتمعوا واتفقوا وهم أبعد ما يكونون عن الاتفاق . فما هى أذن الجامعة العربية والوحدة العربية وميثاق الضمان الجماعى العربى المسكين وأخيراً ما هى قصة ميثاق سوريا ومصر ، على ضوء ما أسلفت من مبادئ !

تبدأ القصة كما قلت سابقاً بتصريح من المستر أيدين سنة 1942 الذى أوعز فيه بقيام جامعة الدول العربية فقامت وكانت الدول العربية جميعاً وقت ذاك أما تحت النفوذ البريطانى ومنها مصر ، وأما تحت النفوذ الفرنسى ومنها سوريا فيما عدا المملكة العربية السعودية واليمن .

الانقسام

وكانت سياسة هذه الدول الخاضعة للنفوذ البريطانى والفرنسى تسير دائماً فى خط يلتقى مع رغبات بريطانيا وفرنسا ، ولذلك كانت بريطانيا سعيدة بالجامعة العربية وفرنسا راضية عنها ، ولا يمكن أن ينكر أنها أدت للعرب خدمات معينة ، ولكنها كانت دائماً فى مجالات ضيقة محدودة .

ثم انتهت الحرب العالمية الثانية .
وهبت شعوب العرب تطالب بالحرية . وبالتخلص من الاستعمار
ومن سيطرته ومن نفوذه .

واستجابت حكومات وتخاذلت حكومات .
وظهر الانقسام داخل الجامعة العربية ، ورغم ذلك كانت
الجامعة تصدر قراراتها دائماً بالإجماع !
لقد كان الاختلاف دائماً واضحاً ، بل أن خطورته كانت تتمثل
فى أنه اختلاف فى التفكير والأهداف .

ورغم ذلك كانت الجامعة تصدر قراراتها دائماً بالإجماع !

سبب الكارثة

وهنا لابد لى أن أقف قليلاً وأقول :

— أن هذا الخداع الذى مثلته الجامعة على مسرح الشعوب
العربية بقراراتها الإجماعية فى الظاهر واختلاف وجهات نظر دولها
فى الباطن كان ولا يزال موطن الداء ، والكارثة التى حلت بكيان
الأمة العربية تحت مسميات بريئة هى الوحدة العربية ، والجامعة
العربية ، وهى نفس المسميات التى ينادى بها المنادى اليوم لكى
يشغل العرب عن فرحتهم الطاغية الشاملة بالسلاح والميثاق
السورى المصرى .

أننى أريد أن أذكر العرب كيف ضاعت فلسطين تحت اسم
الوحدة العربية .

وأريد أن أذكر العرب كيف ضاعت فلسطين تحت سمع وبصر
الجامعة العربية .

أريد أن أذكر العرب كيف هزمت جيوشهم السبعة أمام العصابات الصهيونية .

أريد أن أذكر العرب أن أتدفعنا - نحن العرب - وراء العواطف وتخرجنا من مصارحة بعضنا البعض وأصدانا قرارات إجماعية لا نؤمن بها ، كل هذا قد قضى على شعب عربي بأكمله بطريقة لم تحدث عبر التاريخ .

وهكذا قضت سياسة المجاملة والعواطف ودفن الرعوس فى الرمال ، أقول قضت على شعب عربي بأكمله وأورثت بقيت العرب الضعف وعدم الثقة فى النفس .
وأعود إلى حديثي .

صراع عجيب

ضلت الجامعة السبيل أذن بعد أن اتخذت لنفسها سياسة تقوم على خداع شعوبها بالقرارات الإجماعية ، والمجاملة والخوف من أن يقال أن هناك انقساماً .

إلى أن كانت حرب فلسطين . وكم توالى اجتماعات الجامعة قبل الحرب وفى أثناءها وبعدها وكم كانت قراراتها أيضاً تثرى باتفاق دولها فى كل شئ ! والتاريخ والحقيقة يقولان أن هذه الدول لم تتفق على شئ كانت الحقيقة أن فى الجامعة قيادات متعددة ، ومصالح متعارضة ، ووجهات نظر متنافرة .

ثم بدأ صراع عجيب ، لم يكن ضد إسرائيل وحدها ولكنه كان صراعاً ذا شعبتين .

الشعبة الأولى صراع ضد إسرائيل .

والشعبة الثانية صراع بين الدول الأعضاء بعضهم ضد بعض .
ومن هنا ، من الشعبة الثانية ، نفذ الاستعمار بين الدول
الأعضاء المتباغضة ، واستغلت الصهيونية الفرصة فاستطاعت أن
تنزل بالعرب هزيمة ساحقة .

ترى هل ما أقوله اليوم جديد على العرب ؟ أن كل عربي يشهد
عليه .

ثم انتهت حرب إسرائيل .

وحاولنا أن نوراي هزيمتنا التراب لكي نبدأ صفحة جديدة
نصحح بها الماضي وما فيه من أخطاء .

فماذا حدث ؟

لقد بدأ صراع جديد ، لم يكن هدفه في هذه المرة إسرائيل وإنما
كان هدفه بعضنا البعض .

وفي قاعة الجامعة بدأت المهزلة من جديد .

لا بد أن نخرج على الشعوب بقرارات إجماعية !

أو بمعنى أصح . إلى الخداع من جديد ونسينا فلسطين وكارثة
أهلينا اللاجئين ، وحتى لو أدى الخداع إل أن تصبح الأمة العربية
كلها من اللاجئين !

المهزلة

وراحت تتتابع فصول المهزلة من جديد .

واجتمعت الدول العربية عام 1950 وعقدت فيما بينها ميثاق للضمان الجماعى .

وقعت عليه الدول بالإجماع كما تقضى سياسة العواطف والمجاملة ودفن الرعوس فى الرمال .

وقعوا جميعاً لا من أجل دوافع عسكرية ، ولا من أجل أمن العرب ولا من أجل الدفاع عن مقدسات الوطن العربى ولا من أجل الحيلولة أن تلاقى أى دولة عربية أخرى مصير الشقيقة فلسطين .
ولا من أجل خلافهم مع إسرائيل .

وأما وقوعه ليقال أنهم متفقون ثم وضعوه على الرف ساعة أن انتهوا من توقيعه بدلا من تنفيذه !

أليست هذه هى الحقيقة التى يعرفها كل عربى !

أن العرب لم يتفقوا فى جامعتهم على شىء إلا على العواطف الجذابة والأمانى الرقيقة والخيال الخلاب .

وهكذا بدأت الشعوب العربية تحس الخطر .

وكنا نحس نحن مثل هذا الشعور كما يحسه كل عربى كنا نشعر أن هناك حاجزاً يحول بين الدول العربية وبين تنظيمها لدفاعها ضد إسرائيل .

وكنا نشعر أكثر من ذلك أن إسرائيل قد أمنت واطمأنت إلى أن العرب فى أمورهم لاهون وأن العرب وقد لحقتهم الهزيمة لن يفكروا فى أنهم قد تلحقهم فى المستقبل هزيمة أخرى ، فقد نسى

العرب كارثة فلسطين ، ونسوا أكثر من ذلك عدوهم الأساسي الذي
اغتصب فلسطين .

وأنهم مشغولون بمشاحناتهم وخلافاتهم وأحقادهم !

الثورة

وقامت الثورة المصرية .

وقلنا للعرب أننا لن نناقى ولن نخادع ولن نضل .

وقلنا لهم أيضا يجب أن ننبه الأمة العربية إلى ما هى فيه من

خطر داهم وقلنا :

– يجب أن يوضع ميثاق الضمان الجماعى العربى موضع

التنفيذ فى الحال إذا أريد لنا أن نحيا أو نعيش فى سلام وبدأنا

باتصالات عدة .

وتبيننا – ويا لسوء ما تبيننا – بعد هذه الاتصالات أن هناك

خلافاً أصيلاً خطيراً فى وجهات النظر .

وجدنا من يؤمن أن العرب لن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم إلا

إذا اعتمدوا على دولة كبرى تقوم بواجب الحماية لهم وعليهم فى

حين أن أيماننا منذ البداية هو فى التحرر من كل ألوان الحماية

والوصاية التى كان يفرضها علينا من فرضوا إسرائيل وثبتوها

ومزقوا فلسطين ومن عليها .

وأيماننا أيضا هو أن العرب باتحادهم يكونون قوة تستطيع أن

ترغم الدول الكبرى على أن تحس بقيمتهم وقوتهم وقدرتهم على

الدفاع عن أنفسهم ، فتتغير الموازين وتصبح الثمانون تساوى

ثمانين لا كما هى اليوم فى موازين الغرب ، أن مليوناً من اليهود

الأفارقة يساوى ثمانين مليوناً من العرب المساكين ! واجتمع العرب

وتداولوا ، وتباحثوا ، ثم تداولوا وتباحثوا ، ثم انفضوا ، ثم

اجتمعوا مرة أخرى لينفضوا .

وظل ميثاق الضمان الجماعى حبراً على ورق .

صرخة جمال

وأصبح جلياً أن صراخ جمال وهو ينبه للخطر الداهم قد ذهب
فى واد . لقد صرخ جمال :

— هل ستنتظرون حتى تأخذ إسرائيل المباداة ؟

— هل ستنتظرون حتى تقع الواقعة ؟

— هل ستنتظرون حتى تبدأ إسرائيل عملياتها للتوسع ضدنا

فنعود حينئذ إلى الاجتماع لكى نتداول ونتباحث ثم نناقش ونتفق ؟

أن هذا هو القضاء على الأمة العربية والقومية العربية .

أن الزمن لن ينتظرنا حتى نقرر ، فستكون إسرائيل قد قررت

ثم حققت كل ما تريد من أهداف وأطماع .

أن الخطر الذى يجابهنا أكبر مما نتصور ، وسيعيد التاريخ

نفسه مرة أخرى .

ستكون هناك سبع قيادات عربية أمام قيادة يهودية واحدة

وستهزم القيادة الواحدة القيادات السبع مرة أخرى .

أننا بعملنا هذا نساعد إسرائيل على أن تنفرد بنا واحد بعد

الأخر ، وسنظل نتنافس ثم نتنافس ، ونتداول ثم نتباحث وأسدل

الستار على مأساة التداول ثم التباحث .

التهديد

وظل ميثاق الضمان الجماعى العربى حبراً على ورق كما أراد له موقعوه ورأت إسرائيل وسمعت ، واندفعت تقوى نفسها وجيشها وتحفزت ، فالقوم فى سبات الخلاف والضغينة والانقسام .
وهددت إسرائيل وتبجحت .

فقال بن جوريون : " سنجبر العرب على قبول شروطنا "
وقال مناحم بيجين :

" أن إسرائيل الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات ويجب أن
نعمل لذلك "

وهكذا كانت نهاية الضمان الجماعى والدفاع المشترك العربى !
لم نتفق ، ولم نستطع أن نقرر وكان علينا نحن الذين نحس
بالخطر المباشر من إسرائيل أن نبحث عن حل آخر فقد داهمنا
خطر جديد .

الضغط

أن الدول التى تدعى لنفسها حق النفوذ فى هذه المنطقة أخذت
تضغط بوسائل متعددة ، فقد منعت عنا السلاح الذى نطالب به
لنحمى أنفسنا من إسرائيل .

كانت تقول لنا أن الخطر الاساسى هو خطر هجوم شيوعى
روسى ، ثم اشترطت فى صراحة أنه لكى تعطينا كميات محدودة
جداً من الأسلحة يجب أن تنضم الدول العربية فى حلف للدفاع تحت
سيطرتها ضد الخطر الشيوعى الخارجى ، وإسرائيل فى داخل
المنطقة تستعد للتوسع والعدوان .

ومرة أخرى انقسم العرب على أنفسهم أكثر مما هم فيه من انقسام .

فاستجابت دولة عربية لهذا الضغط ووقعت حلفاً مع مؤسسى إسرائيل .

وترددت دولة أخرى ، وقاومت الثالثة ، إلى آخر ما يعلمه كل الناس من الماضى القريب .

كان الغرب يعتقد أن خطته هذه هى بداية انهيار العرب لكى يعودوا إلى أحضان الواحدة تلو الأخرى طلباً للحماية فاقدين بذلك قوميتهم ومنتكرين لأهدافهم ومذعنين لسياسته ورغباته .

الاعتداء

ثم تحركت إسرائيل .

وفى يوم 28 فبراير سنة 1955 اعتدت إسرائيل على الحدود المصرية اعتداءً مديراً أقره مجلس الوزراء الإسرائيلى . وكان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر الذى أفاقت عليه بقية الدول العربية بعد أن تخلفت واحدة .

لم تخاذل هذه البقية ، ولم تترتم تحت أقدام الغرب لتطلب حمايته ، ولكنها على العكس أفاقت وتبعت .

وبرغم ذلك أستمر ميثاق الضمان الجماعى حبراً على ورق وبدأت الدسائس والضغط ، وأصبح واضحاً أن هدف هذه الدسائس أن ييأس العرب ولا يجدوا لهم من سبيل للدفاع عن كيانهم وحماية حدودهم سوى طريق التحالف مع دولة كبرى تتولى واجب الدفاع عنهم .

نهاية الضمان

وبدأنا نؤمن أيماناً لا يتطرق إليه شك أن ميثاق الضمان الجماعى العربى لن يوضع فى يوم موضع التنفيذ ، وسيبقى دائماً حبراً على ورق .

وأصبح من المحتم على الدول العربية التى تشعر بالخطر اليهودى والطمع الصهيونى أن تجد الوسيلة الناجحة لتنسيق الدفاع بينها ، فكان أن اتفقت سوريا ومصر اتفاقاً عملياً ينص على قيادة موحد لجيش سوريا وجيش مصر .

وبذلك تحقق – لأول مرة – أحد الأهداف الكبرى التى طالما نادى بها شعوب العرب .

وبذلك اصبح على إسرائيل اليوم أن تفهم أنها إذا فكرت فى العدوان فإن مصر وسوريا لن تتشاورا ثم تتناقشا ثم تتداولوا وأخيراً تتباحثان ، ولكنهما ستعملان .

ستعملان لا بقيادتين ، وإنما بقيادة واحدة ستجابه قيادتها الواحدة .

قيادة واحدة تعمل فى شمال إسرائيل فى نفس الوقت الذى تعمل فيه فى جنوب إسرائيل .

قيادة واحدة كان مجرد الإعلان عنها فزعاً فى إسرائيل ، وسيعلم كل مت تحدثه نفسه بالعدوان كيف تكون الرهبة وكيف يكون القتال .

فإلى هؤلاء الذين يقولون أن ميثاق سوريا ومصر قد يقسم
الدول العربية على نفسها أقو :

— أنكم تنتكرون لتاريخ الأمة العربية ومآسيه ، وتكفرون
بالوطن العربى وما يشقيه ، وتنسون فلسطين وما دهاها وشرذ
أهلها وسود ضحاها .

أن الأمة العربية لن تتفرق أبداً لأنها أمة واحدة .
وإذا لم تستطع قيادتها أن تجمع قيادتان فيها على هذا الأمر
بدلاً من أن يتفرق الكل طرائق قديداً .

لقد شعرت إسرائيل بخطر هذا الميثاق ودلالته ، فقامت لتتقم
من سوريا بعمل كمين فى الظلام لجنود سوريا الشجعان أن
إسرائيل لن تستطيع أن تواجه سوريا فى النهار بعد اليوم ، لأنها
تعلم أن هذا يعنى أن عليها أن تواجه فى نفس الوقت مصر وجيش
مصر وإمكانيات مصر .

وأخيراً ، أن إنجلترا عارضت هذا الميثاق لأنه سيكون آخر
مسمار فى نعش الوصاية التى تدعيها علينا .
وعارضته فرنسا لأنها تعتبره تصفية نهائية لنفوذها الذى
تفترض وجوده على بعضنا .

وبعد

أليس خيراً لنا ولشعبونا الطيبة أ، يتحد جزء منا ليواجه الخطر
بميثاق ثنائى أو بمواثيق ثنائية ، من أن ننادى بوحدة العرب ونحن
نعمل فى الحقيقة لأذكاء الفرقة والاحن والأحقاد !
أتنى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق قادة العرب إلى ما فيه
خير الشعوب .

فصل ومخرج وأبطال

كنت قد ظننت فى وقت من الأوقات أن هذه القصة قد وضحت مواقفها وانفكت عقدها الأثرية التى لازمت سطورها ، بعد أن تغير مجرى الحوادث ، وأصبح الأسلوب هو المصارحة لا المجاملة . وهو الكشف عن موطن الداء لا التماس العذر وخداع الشعوب بالوافق الوهمى والعبارات المعسولة الجوفاء .

كنت أظن أن هذه القصة قد خرجت على شعوب العرب بنهايتها ، ولكن يشاء القدر إلا أن يخرج علينا فصل جديد ولقد لجأ كاتبوا الفصل الجديد إلى ما لجأ إليه الأبطال القدامى لسبك أدوارهم فنادوا بالنداء الخالد الذى تهفو له كل النفوس نداء الوحدة العربية ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف .

وليس أحب إلى قلب كل عربى من أن تحقق هذه الوحدة وأن تجتمع الكلمة وأن يتوحد الصف .

أقولها وقد لمستها من كل مواطن عربى فى لبنان وفى سوريا وفى الأردن وفى بغداد وفى المملكة العربية السعودية وفى مصر بل وفى كل مكان يعيش تحت سمائه عربى واحد من المحيط الأطلسى إلى الخليج الفارسى .

ولكن . . .

أن الفصل الجديد يحوى مفاجأة مذهلة . . .

ففى نفس الوقت الذى أذاع فيه راديو عمان متعمداً تشويه الحقيقة لحاجة فى نفس أبطال الفصل الجديد ، تجد أن جريدة التيمس الوقورة تنبرى لكى تعلق وتحلل قلب أن تسمع كلمة مصر . وفوجئنا لأول مرة بالتميس تبكى على الوحدة العربية تماماً بنفس النغم الذى يردده أبطال الفصل الجديد .

أن التيمس تقول بالحرف الواحد :

" أن الرئيس المصرى يرى نفسه الزعيم الذى لا منازع له فى العالم العربى .

" وأن لبنان ومن المحتمل سوريا أيضاً قد لا تتقبلان رفض الرئيس جمال الاجتماع بالارتياح "

ثم قالت :

— الرئيس الأردنى سمير الرفاعى فشل فى التقريب بين مصر والعراق وأنه إذا عقد هذا المؤتمر فأن واجبه الأول هو تقرير سياسة بشأن إسرائيل يكون فيها الرئيس المصرى أحد الأعضاء المشتركين وليس الممثل للدور الأول .

ثم تابعت التيمس تعليقها قائلة :

— أن الحركة التى قامت بها الأردن كانت مؤيدة تماماً من جانب لبنان وأنها قوبلت بالترحيب فى بغداد حيث تكرر الرأى بأن حلف بغداد لا يحتاج لأن يكون مانعاً للوحدة العربية

ثم عادت التيمس تقول :

— أن لبنان ومن المحتمل سوريا أيضاً قد لا تتقبلان رفض الرئيس المصرى بالارتياح وأنهما قد تفكران فى أن الرئيس جمال عبد الناصر ليس هو البطل العربى فى كل الأمور .

وأنه إذا كانت هناك تسوية مع إسرائيل فانهما تفضلان أن تكون لهما يد فيها أو أنهما لا تريان أن حلف بغداد هو حجر العثرة الذى كشف عنه الرئيس المصرى .

أن هاتين الدولتين (أى سوريا ولبنان) ستظلان تتساءلان .
ثم قالت التيمس فى النهاية :

— إلى مدى ستتأثر مصالح الدول العربية بوجهة النظر المصرية ؟

انتهى كلام التيمس

وهكذا بدأ الفصل الجديد يكشف عن شخصية كاتبه ومصممه ومخرجه . . .

أن المادة فى هذا الفصل ليست جديدة .

نحن نعرفها والعرب يعرفونها أيضاً ويعرفون مصدرها على سبيل التأكيد .

فهو نفس المخرج الذى سعى إلى رؤساء الحكومات العربية حينما وجه إليهم الرئيس جمال الدعوة للاجتماع فى القاهرة عقب الإعلان عن الحلف التركى العراقى سنة 1955 ، وقال المخرج لرؤساء هذه الحكومات :

كيف تقبلون الدعوة وتتوجهون إلى القاهرة ، أنكم أن فعلتم هذا فأنكم تكونون كالعساكر تصدر إليكم الأوامر فتقبلونها .

" أن جمال عبد الناصر يفعل معكم كما كان يفعل هتلر مع رؤساء الحكومات الأوربية يوم أن كان يأمر فيطاع وكما فعل هتلر على وجه التحديد مع رئيس وزراء بلغاريا ، هل تقبلون على

كرامتكم أن تكونوا كرئيس حكومة بلغاريا فى عهد هتلر ؟ أن
كرامتك تأبى ولا شك "

ولما لم يجد هذا اللون من الدس والوقية لجأ المخرج إلى
الوعد بالمساعدات الاقتصادية والفنية والعسكرية .

أظنه وضع الآن المخرج ؟

من هو المخرج الذى يملك المساعدات الاقتصادية والفنية
والعسكرية يوزعها على عباد الله الذين يسرون فى ركابه .

كان المخرج يتكلم دائما على لسان عميله نورى السعيد
ومساعديه من العملاء الذين أرسلهم إلى كل مكان . د

ومع ذلك عقد الاجتماع ، وكان فشله أكبر نصر للقضية العربية
، إذ أنتقل بها من طور النفاق والمجاملات إلى مرحلة الصراحة
والعلاج .

وكان النصر الحقيقى هو تحطيم القناع المزيف الذى حجب
الحقائق عن رجل الشارع العربى ، وظهر لأول مرة وعى عربى
حقيقى جعل من القضية العربية قضية كل عربى بعد أن كانت قضية
نفر من الحكام الذين يتلقون التوجيه من خارج المنطقة العربية بل
ومن أعداء العرب لينفذوها مشيئة لا ترد كما حدث فى كارثة
فلسطين .

وأعود إلى حديثى .

أن النعمة لم تتغير .

ففى سنة 1955 قالوا لحكام العرب أن جمال عبد الناصر
يأمركم ويسفه أحلامكم وأنتم الشيوخ والرجال الذين يجب أن
يستمع جمال لنصحكم وخبرتكم . . .

واليوم فى سنة 1956 تخرج التيمس مؤيدة أبطال الفصل
الجديد بنفس النغمة .

أن التيمس تتحدث عن جمال لكى تساعد الأبطال الجدد ولكن
بلسان المخرج الأسمى فهى تصور جمال بنفس الصورة التى يريد
المخرج أن يثير بها النفوس فتقول : " أنه يرى نفسه الزعيم الذى
لا منازع له فى العالم العربى ، وأن لبنان وربما سوريا قد لا
تتقبلان هذا الوضع ، إلى آخر ما أوردته على لسان التيمس فى
هذا المقال .

وهنا أريد أن أقف قليلاً .

ليس لأن مثل هذه الدعاية الرخيصة تستحق أن أقف أو أن
أناقشها ، وإنما أريد أن أقف لكى أعود بذاكرتى إلى الورااء يوم أن
زرت بغداد وقابلت نورى السعيد فى منزله مقابلة دامت زهاء
الساعتين ، تحدثت فى أولها عن مهمتى الأساسية .

وهى المؤتمر الإسلامى ، حديثاً لم يستغرق أكثر من ربع ساعة
ثم أنفقنا الوقت الباقى فى حديث عن السياسة العربية .
وأرانى مضطراً أن أورد ما جرى فى هذا الحديث لكى أوضح
للأبطال الجدد .

1 – رأى نورى السعيد فى الأردن وهو أرض أبطال الفصل
الجديد .

2 – أن الخلاف بين مصر ونورى السعيد ليس خلافاً شخصياً
كما صورته لنا نورى السعيد بتوجيه من المخرج الأسمى كما هو
الحال دائماً .

3 – ماذا طلب منى نورى السعيد أن أبلغه لجمال .

ولا يهمنى فى ذلك أن ينكر نورى السعيد ، فقد سجلت عقب
المقابلة فى مفكرتى كل ما دار ، وأكثر من ذلك ، فأن أكثر من
واحد من رجالات العراق سمع منى كل هذا الذى سأروييه عقب
مقابلتى لنورى السعيد فى بغداد .
وأظن أن هذا الحديث الذى أروييه فى الصفحات التالية ليس
بخاف اليوم فى العراق .

سمعت فى بغداد

تذكر يا أختى ما كتبته عقب عودتى من رحلتى فى بلادى العربية عن الأردن ، وقد أعلن أرادته على تلك الصورة البطولية الرائعة فى أول مقال صدر لى يوم 24 ديسمبر سنة 1955 .

وقلت فيه بالحرف الواحد :

شهدت أحداث الأردن .

نعم شهدت أحداث الأردن عشت فيها من قبل أن تقع ومن قبل أن أزور الأردن تلك الزيارة الخاطفة .

شهدت أحداث الأردن وعشت فيها من يوم أن وطئت قدمائى أرض لبنان الشقيق .

ومن بعد أن عشت يومين فى سورية الحبيبة .

ويوم أن وصلت إلى عمان حاضرة الأردن المكافح .

و حين زرت الظهران عاصمة الزيت على الخليج العربى وجلست أستمع إلى شيوخ القبائل اللاجئين من منطقة البورى اكتملت لدى خيوط أخطر مؤامرة شهدها تاريخ هذه المنطقة من العالم .

أن المسألة ليست انضمام الأردن إلى حلف بغداد الإنجليزى كما أنها ليست محاولة التأثير على لبنان لدخول هذا الحلف الشقى .

وأنما هى حرب يائسة تشنها بريطانيا وتعد لها منذ أمد طويل فى ميدان يمتد من حدود تركيا الجنوبية شمالا ، إلى شواطئ المحميات على بحر العرب جنوباً .

وهدف هذه الحرب هو القضاء على الوعي العربى بعزل شعوب الأمة العربية بعضها عن بعض كخطوة أولى ثم إرغامها على الدخول تحت النفوذ والاستعمار البريطانى بعد أن تصبح كل مقدراتها وأرزاقها وسلامتها تحت رحمة إنجلترا وجنود إنجلترا ونفوذ إنجلترا .

وتحدثت فى ذلك المقال عن الدعاية البريطانية الخبيثة وكيف أنها كادت تقنع رأى العام اللبنانى أن هناك انتقاما لا بد سيقع على سورية من أجل السياسة الاستقلالية التى انتهجتها وكيف أن الناس فى لبنان صدقوا لدرجة أن أصبحوا مشفقين مما سيقع وكأنه حقيقة واقعة أو واقع لا مفر منه ، وكيف أن سياسيا لبنانيا كبيرا كشف لى عن مخاوفه فى قالب أتراح يتلخص فى ضم سورية إلى العراق للأسباب الأربعة الآتية :

1 – التخلص من أطماع تركيا فى سورية والعراق .

2 – مواجهة الخطر الإسرائيلى بدولة كبرى تعدادها حوالى

العشرة ملايين .

3 – التخلص من نورى السعيد

4 – (وهو الأهم) الراحة نهائيا من خوف انتقام إنجلترا من

سوريه .

وذكرت فى مقالى يوم ذاك ما قاله ذلك السياسى ردا على سؤال

لى من أنه يرى أن لا مانع لديه من أن يمتد النفوذ البريطانى من

العراق إلى سوريه حتى تنتهى مشكلة إسرائيل

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أريد أن أبصرك أيها الأخ

العربى أيضا بظروف زيارتى لبغداد .

فيوم أن وصلت إلى بغداد يوم 19 ديسمبر 1955 كنت قد غادرت عمان عاصمة الأردن المكافح ، قبل ذلك بخمسة أيام .
وكنت قد أمضيت زيارتي أثناء وجود الجنرال تمبلر في عمان الذي كان قد سبقني إليها بأكثر من خمسة أيام ولم يسافر إلا عقب أن سافرت منها بيومين .

ويوم أن وصلت بغداد لم يكن الأردن قد هب هبته المشهورة بعد ، وإنما كانت وزارة المفتى قد استقالت وهزاع المجالى يجرى استشاراته لتأليف وزارة جديدة ، من أجل ذلك كان يداعب خيال نورى السعيد وأنا جالس إليه أمل كبير فى أن تنضم الأردن إلى حلفه ثم يأتى دور لبنان كما كان يتعشم وبذلك تتحكم الحلقة حول سوريه وتعود الأمة العربية ثانياً إلى حظيرة إنجلترا بفضل جهود رجلها نورى السعيد .

أن الأردن دولة مصطنعة دولة لا دخل لها ولا أيراد ، ومن مصلحتها أن تدخل الحلف لتأخذ معونة .

هذا هو رأى نورى السعيد الصريح فى الأردن .

فما هو رأى أبطال الفصل الجديد وهم من هذا الأردن الذى يصفه نورى السعيد بأنه مصطنع ؟

وما جدوى هذا الفصل البطولى فى التوفيق بين مصر ونورى

السعيد وهذا هو رأى نورى السعيد فى وطن الأبطال .

الحقيقة أننى أريد أن أقولها كلمة مخلصه لأبطال الفصل

الجديد .

أن مصر قد حددت سياستها واضحة صريحة ونصت عليها فى

دستورها ، والخاص والعام فى الأمة العربية يستطيع أن يعرفها

ويشرحه ، سياسة استقلالية تؤمن بالوطن العربي ككل لا يتجزأ ،
وتحارب الاستعمار وأعوان الاستعمار وأساليب الاستعمار .
ونورى السعيد هو الآخر حدد سياسته واضحة صريحة فربط
مصيره بالغرب حلفا ومعاهدة وتاريخا ومصالح .
فأين أنتم يا حضرات الأبطال الجدد من هذين الخطين ؟
وما هي حقيقة الدور الجديد الذى ترغبون تمثيله ؟
أن ألفاظ الوحدة العربية وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ألفاظ
جميلة براقة مطاطة فقولوا لى بربكم كيف ستجمعون بين الخطين ،
خط مصر الواضح وخط نورى السعيد الواضح أيضا وهما ضدان لا
يلتقيان ؟
الأجدر بالفصل الجديد لكى تكون فيه جدوى أو بطولية أن
تخرجوا لشعوبكم بقرار واضح صريح كما خرج جمال فى مصر
وكما يفرض نورى السعيد فى العراق .
وساعتها ستقول شعوبكم كلمتها ، وستكونون على أية حال
جديرين بالاحترام لأنكم صارحتم شعوبكم وناديتهم بما تؤمن به
أنفسكم .
أما أن يخرج من آن لآخر بطل يريد أن يمثل فصلاً جديدا تحت
اسم الوحدة وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف طلباً للتصفيق وتعمية
للشعوب عن حقيقة المأساة فهذا لم يعد أحد يقبله أو يأبه له .
أن هذه البطولية تضليل طالما ساق هذه الأمة العربية إلى
الهلاك .

أن سياسة مصر لا تختلف فى شىء على الإطلاق مع ما يريده
شعب العراق ، وما يريده شعب الأردن وما يريده لبنان وجميع
شعوب العرب .

ولكنها تختلف مائة فى المائة مع ما يريده نورى السعيد .
ونحن نؤمن هنا أن نورى السعيد ليس العراق ، فالعراق
العربى نعرفه عبر التاريخ فى ثوارته واحداها يذكرها نورى السعيد
جيدا وتذكرونها معه أيها الأبطال الجدد وتذكرون أنه يرفض
السيطرة البريطانية ويرفض الاستعمار وتذكرون أيضا يا حضرات
الأبطال أن شعب العراق ثار فى القريب لمجرد تعديل معاهدة فما
بالكم بحلف أجنبى تدخل فيه إنجلترا عدوة هذا الشعب وصانعة
إسرائيل والجلاد الذى قتل أبناء هذا الشعب .

اذكروا هذا جيدا ووفروا على أنفسكم الدور البطولى الجديد ،
فإن الشعوب قد تيقظت ، وهيا بنا نتصارع ونصارع شعوبنا بدلا
من هذا الدجل وذلك التضليل .

والآن ، أنتقل بك أيها الأخ العربى إلى الجزء الثانى من حديث
نورى السعيد لأذكر لك رأيه فى السياسة العربية صريحا واضحا ،
وكيف يريد حل مشكلة إسرائيل بنص حديثه .

الفصل الثالث

حكاية الزعامة المزعومة

سياسة مصر وسياسة نوري

مهما بلغت قوتك ، وأنت تعتمد على غيرك ، فأنت ضعيف . . .
وأيا كانت قوتك ، وأنت تعتمد على نفسك فأنت قوى . . . أننا نحن
العرب أقوياء بقوميتنا وموقعنا ومصادرنا " جمال عبد الناصر "
كانت الدعاية التي يروجها نوري السعيد ومن خلفه بريطانيا ،
لحلفه في البلاد العربية قبل عقد صفقة الأسلحة المصرية تعتمد
على أمرين اثنين :

الأول : هو أن سياسة مصر شبان قليلو الخبرة (وكان المصدر
الاساسى لهذا الترويج ولا يزال هو صحف إنجلترا وعلى رأسها
التيمس) وأن الرئيس جمال عبد الناصر رجل لا يزال يفكر بعقلية
الضابط : يمين يمين شمال شمال .

الثانى : أن حصول العراق على الأسلحة كسب ضخم جداً ،
ونصر للقضية العربية ضد إسرائيل ، وأنه مهما كان ثمن الأسلحة
من حلف أو خلافه فأن هذا لا يقاس على الإطلاق بالحصول على
الأسلحة من أجل الخطر الإسرائيلى .

وكانت هذه الدعاية تجد لها عوناً من سياسة البلاد العربية
وخاصة أن فيها كلمة إسرائيل وأسلحة ضد إسرائيل ، لذلك لم يكن
يجد هؤلاء السياسة غضاضة فى أن يصارحوا الناس برأيهم هذا .

وبينما الدعاية للحلف تسير على هذه الخطوط ، وعلى أن فى
مصر ديكتاتورية عسكرية ، وعلى أن مصر لن تحصل على قطعة
واحدة من السلاح لموقفها الذى تقفه من الحلف ، بينما تعقد

التي تمس مقارنة بين جيوش الدول العربية . وتنتهي إلى أن جيش العراق سيصبح بفضل الفنيين البريطانيين والأسلحة البريطانية التي حصل عليها ، الجيش الأول في البلاد العربية ، وبينما تعمدت التيمس في هذه المقارنة أن تحط من قدر جيش مصر .

وبينما كان كل هذا يحدث وبينما كانت إنجلترا ونوري مطمئنين كل الاطمئنان إلى حلفهما وإلى سير الدعاية له .

انفجرت قنبلة صفقة الأسلحة المصرية التشيكية .

وكان دوى الانفجار عاليا مروعا بحيث لمس شغاف قلوب الشعوب العربية جميعا ، فهبت ثلاثة برلمانات تؤيد الرئيس جمال في سورية ولبنان وفي الأردن .

وانكشفت الدعاية التي تروجها إنجلترا ونوري .

فأما جمال عبد الناصر قليل الخبرة في السياسة فهذا ما أثبتت الحوادث عكسه بشكل مفزع أبسط مظاهره أن أمريكا وإنجلترا ظلتا شهورا طويلة في هذيان مروع على لسان ساستها وصحافتها .

وأما أن نوري قد نجح بحلفه في أن يحصل على السلاح اللازم للوقف في وجه إسرائيل فقد اتضح أن كميات الأسلحة التي حصل عليها لم تتعد عربات إسعاف وأسلحة مضادة للدبابات والطائرات ووعدا بعشر دبابات !

بينما حصلت مصر بموجب اتفاق تجارى بحت لا قيود فيه ولا التزامات على أسلحة لم تصب إسرائيل وحدها بالذعر بل أصابت أيضا أمريكا وإنجلترا .

وأكثر منذ لك حصل تحول غريب في منطق إسرائيل .

فبعد أن كان بن جوريون يقيم حملته الانتخابية فى الصيف
الماضى على الجملة الخالدة "
" سنفرض الصلح على العرب بالقوة "
تراه فى ديسمبر الماضى يعلن إفلاس إسرائيل وعدم تسديدها
ديونها لأنه يتوقع تصفية الموقف فى الصيف .
لم يبق لدعاية إنجلترا ونورى إلا شئ واحد .
لقد انطلقوا يذيعون أن الخلاف بين سياسة مصر وسياسة
نورى هو خلاف شخصى مرده إلى الزعامة .
أى أن جمال يريد أن يحقق لنفسه الزعامة على العرب ولذلك
فهو مختلف مع سياسة نورى السعيد .
ومن هنا بدأ الفصل البطولى الجديد الذى دفعت إنجلترا بأبطاله
إلى الميدان ليتولوا التوفيق وجمع الكلمة وتوحيد الصف .
وأندفعت إنجلترا فى نفس الوقت تولول فى التيمس على الوحدة
العربية وجمع الكلمة وأن حلف بغداد لا يمنع من الوحدة العربية
لولا الرئيس جمال عبد الناصر الذى يريد أن يكون زعيما للعرب !
فما هى سياسة مصر وما هى سياسة نورى السعيد ؟
حين وضعت مصر سياستها كان جمال عبد الناصر يفعل بعدة
عوامل .
الأول : أن الشعب المصرى رفض الأحلاف منذ 1951 بطريقة
قاطعة .
الثانى : أن الدفاع عن العرب يجب أن ينبثق من المنطقة
معتمدا على الضمان الجماعى العربى بدون إشراك دولة أجنبية عن
المنطقة .

الثالث : التعاون مع الغرب على أساس إتاحة القوة للعرب وحل القضايا العربية حلولا عادلة .

الرابع : آن مأساة فلسطين القريبة والدرس الذى تلقيناه بالدم على أيدي إنجلترا وأمريكا اللتين صنعنا إسرائيل لابد وأن يكون لهما تقدير عميق ، خاصة وأن إسرائيل لابد وأن يكون لهما تقدير عميق ، خاصة وأن إسرائيل خطر يهدد الأمة العربية كافة ، وإن إنجلترا وأمريكا ظلتا دائما من خلفها حتى فى العدوان .

الخامس : أنك مهما بلغت قوتك وأنت تعتمد على غيرك فأنت ضعيف ، وأيأ كانت قوتك وأنت تعتمد على نفسك فأنت قوى وأننا نحن العرب أقوياء بقوميتنا وموقعنا ومصادرنا .

ومعلى هذه الاعتبارات والأسس قامت سياسة مصر صريحة واضحة بسيطة .

فحين عرض الغرب على مصر الأحلاف رفض الرئيس جمال لان معناها أن تعتمد على غيرنا ، وقد جربنا خلال سبعين سنة معنى هذا الاعتماد .

وأمر آخر أشد خطورة ، وعجبا . . . أننا بدخولنا حلفا مع إنجلترا وأمريكا سنكل أمرنا إذا ما اعتدت إسرائيل إلى صانعى إسرائيل !

فأى منطق أو عقل أو سياسة أو كرامة فى هذا ؟ وهكذا قامت سياسة مصر على المبادئ الآتية :

- 1 - أن مصر جزء من الكيان العربى الذى لا يتجزأ
- 2 - لا سيطرة ولا استعمار ولا أى قيد من أية ناحية

3 - الذى يدافع عن العرب هم العرب أنفسهم ، ويجب أن تتبعث القوة للدفاع عن هذه المنطقة من داخلها ، لا من خارجها أو اعتمادا على دولة كبرى فى حلف أو ميثاق .

4 - احترام لمن يحترم استقلالنا ومشئتنا .

5 - يد ممدودة بالصدقة للعالم أجمع على قدم المساواة وتستطيع أن تجمل كل هذا فى كلمتين . . . استقلال تام .
أو فى معنى آخر بسيط هو سيادة الشعب سيادة كاملة على أرضه ورزقه ومصيره .

فما هى سياسة نورى السعيد ؟

وأود هنا أن أعيد ما قلته من أن سياسة نورى السعيد ليست سياسة شعب العراق ، فالشعب العراقى يعرف تماما ما يريد ، وما يريده هو ما يريده شعب مصر وما يريده كل شعب عربى .
لقد قلت أن نورى السعيد جري لأنه يجاهر برأيه ، وها هو رأيه كما يعرفه كل عربى :

أن نظرية نورى هى أن البند 15 من ميثاق الأمم المتحدة) وهو الخاص بالاتفاقات الإقليمية (يتيح لنا من خلالها أن نصنع تنظيما للدول العربية ، ونربطه بحلف البلقان من أجل الدفاع ومن رأى نورى أن العرب لا يستطيعون أن يقفوا وحدهم كما يرى فى الوقت ذاته أننا لا نستطيع أن نستغنى عن الغرب ، وأننا إذا استطعنا أن نكسب الغرب إلى جانبنا ضد إسرائيل فأن هذا يكون هو الحلم الذى يراودنا .

ونحن ، فى رأى نورى السعيد ، لا نستطيع أن نكسب الغرب إلى جانبنا بالكلام ، بل نستطيع ذلك بالعمل .

وكانت نظرية " نوري " أن في استطاعتنا نحن العرب أن نتمم العملية على خطوتين : الخطوة الأولى هي أن نمضى مع الغرب ونأخذ أسلحة دفاعية مضادة للطائرات ومضادة للدبابات ، وبعد ذلك تأتي الخطوة الثانية ، وهي أن نطلب من الغرب السلاح الثقيل . ويرى نوري السعيد أننا إذا أخذنا الغرب فى صفنا ، فإن إسرائيل سترتمى من خلال هذا فى أحضان الشيوعية ، والنتيجة التى يراها تبعا لذلك هي أن إسرائيل ستصبح شيوعية ، وعندئذ يكفينا الغرب مؤونة القضاء عليها !

هل هو خلاف شخصى ؟

لقد استعرضت لك أيها الأخ العربى سياسة مصر وأوردت لك سياسة نورى السعيد ، وهى السياسة التى لا يخفيها أو ينكرها نورى السعيد بل أنه كما قلت شجاع لأنه يجاهر بها برغم أن شعب العراق لا يؤمن بها .

وهنا يحق لى ولك أيها الأخ العربى أن نتساءل :

ما هى حكاية الوساطة بين مصر والعراق وكيف تكون هذه الوساطة ، أى إلى أى هدف يجب أن تهدف ، وهل استعمال الكلمات البراقة كالوحدة العربية وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف حقيقة أريد بها وجه الله أم حقيقة أريد بها باطل ؟

حين ذهبت إلى لبنان فى شهر ديسمبر 1955 سمعت البعض يردد أن الخلاف بين مصر والعراق خلاف شخصى على الزعامة وحين أتى على العرب حين من الدهر هبوا ليستنكروا فيه الحلف العراقى التركى البريطانى على أساس أنه طعنة قاتلة للقومية العربية لأن صانعيه هم صانعو إسرائيل ، لم تجد إنجلترا وأمريكا وتابعهم نورى السعيد خيرا من أن يلقوا بين صفوف شعوب العرب وحكامهم بحكاية الزعامة هذه ولكن معارضة مصر فى نظرهم لم تكن إلا للزعامة لا للقضية التى تخان ، ولا الوحدة التى تمزق ، ولا للأسلوب الذى يراد به قيام إسرائيل ووجودها وجودا شرعيا ، فالخطة كانت أن يدخل العرب مع إنجلترا وأمريكا هذا الحلف ، ثم تدخل إنجلترا وأمريكا من الناحية الأخرى فى اتفاق مع إسرائيل

تحت ستار الدفاع عن المنطقة ، وإسرائيل طبعاً عضو فى هذه المنطقة ! وحين أراد الإنجليز فى صحفهم أن يعلقوا لم يجدوا خيراً من هذا التعليق يثيرون به النفوس ويبذرون به بذور الفتنة فقالوا أن مصر تريد الزعامة وأن جمال عبد الناصر يصر على ان يكون الزعيم الأوحده .

ونحن هنا فى مصر نعتبر هذه الدعاية تسفيهاً للعقول ، لسبب بسيط جداً هو ما عانى منه هذا البلد ويعانى منه كثير من شعوب العرب اليوم بسبب التناحر الذى يقوم بين الرجالات فى البلد الواحد لأسباب شخصية بحتة لا تمت إلى الصالح العام بسبب .

ومن جهة أخرى فأنى أريد أن أناقش موضوعياً هذه الزعامة إذا صح أن وجدت فإنه يقال مثلاً أن أمريكا وإنجلترا تتنافسان على الزعامة فى الشرق الأوسط أو فى منطقة كذا من العالم فماذا يعنى التنافس على الزعامة ؟

أن الرجل العادى يستطيع أن يدرك فى غير صعوبة ولا تعقيد أن التنافس على الزعامة يكون مرده دائماً إلى المصالح ، بمعنى أنه إذا قيل أن أمريكا وبريطانيا تتنافسان على الزعامة فى الشرق الأوسط وهو صحيح إلى حد ما ، فإن ذلك يعنى أن لكل من أمريكا وبريطانيا مصالح تريد أن تحافظ عليها عن طريق فرض زعامتها وبالتالي كلمتها حتى تستطيع أن تأمن على مصالحها فى هذه المنطقة وحتى تستطيع أن تحقق أكبر كسب ممكن لصالحها فى هذه المنطقة .

والمحافظة على هذه المصالح تحتم على الدولة الزعيمة أن توجد لها فى كل بلد من بلاد هذه المنطقة حكماً ورجالاً من أهل

البلد نفسه يتولون رعاية مصالح هذه الدولة الزعيمة لهم سواء فى شكل ثروة يقيدها ، أو سلطان يحققه عن طريق البقاء فى الحكم بمساندة هذه الدولة ، وفى الماضى كانت تلجأ إنجلترا مثلا لفرض زعامتها ورعاية مصالحها إلى إبقاء جيش احتلال بريطانى فى البلد الذى تريد أن تستعمره ثم تطورت الفكرة إلى عقد معاهدة تجعل بها الاستعمار شرعيا على أيدى زعماء من هذا البلد مع إبقاء قوات احتلالها ، ثم تطورت الفكرة مرة أخرى إلى آخر ثوب يناسب القرن العشرين وهو أن تسحب قواتها بعد أن أصبحت تكاليفها عالية وتستعوض عنها بما يعوض وجود هذه القوات وقيام المعاهدة وهو الحلف .

أليست هذه هى الحقيقة المرة بنا جميعا أيها الأخ العربى فى كل قطر من أقطارنا ؟ وأليس هذا هو زى الاستعمار الذى غيره كلما صدمه الوعى ؟

أننى أنتزع هذا التفسير من صميم تاريخنا وحياتنا ، فأذا أشاع الإنجليز والأمريكان والسيد نورى السعيد عميلهم ومساعدوه اليوم أن جمال عبد الناصر يريد أن يكون الزعيم الأوحد للعرب وأنه لذلك يعارض سياسة إنجلترا وأمريكا فى الوطن العربى فأن هدف هذه الإشاعة يكون واضحا ومفهوما كالشمس ، فإجلترا لا تريد أن يقوم من بين العرب رجل يبصرهم بماضيهم وحاضرهم ولا أن يذكرهم بمأساة فلسطين ، ولا أن يصارح الشعوب العربية بحقيقة ما هى فيه ، ولا أن تبلغ به الجرأة فلا يستمع لأوامرهم أو يخضع لمشورتهم ، لأن معنى هذا كله أن زعامتهم ستتلاشى أو بمعنى آخر أن مصالحهم التى يرغبون الشعوب على تحقيقها لهم ستصبح

مهدة لأن الوعي العربي القومي الشعبي سيجرفها شاء الحكام أم لم يشاءوا .

ورب سائل يسأل : وما هي هذه المصالح التي لبريطانيا ؟
فأقول :

1 - الزيت فى العراق وفى الخليج الفارسى وفى البورىمى وفى المحميات ، ودخل الحكومة البريطانية من هذا الزيت الذى يخرج من الخليج الفارسى وحده يشكل رقماً يقدر بحوالى الستائة مليون دولار ، هذا بخلاف تأثر دخل الحكومة البريطانية من زيت عىدان إذا ما فقدت سيطرتها وزعامتها فى المنطقة العربية وهذا أمر يطول شرحه .

2 - الأمة العربية والشرق الأوسط سوق تجارية لمنتجات بريطانيا الصناعية وبريطانيا تقوم حياتها على الصناعة ، وليس فى هذه المنطقة صناعة على الإطلاق ومن مصلحة بريطانيا أن لا تقوم فيها صناعة إلى يوم القيامة - وفى الكتب المدرسية التى صنعها الإنجليز لنا كانوا يعلموننا أن مصر بلد زراعى وأنها لن تصلح لأن تكون بلداً صناعية لعدم وجود الفحم والحديد اللذين يوجدان فى بريطانيا وحدها .

3 - تحتل الأمة العربية رقعة ذات موقع استراتيجى خطير من العالم .

ويكفى لكى تدرك ذلك أن تعلم أن إنجلترا انتصرت فى حربين عالميتين جبارتين بميادين التدريب الفسيحة فى مصر وقواعدها فى الشرق الأوسط التى كانت تمد جميع ميادين القتال بالجند المدربين والسلاح والعتاد والمؤن لأنها فى مركز متوسط فى العالم كله .

4 – يكمن فى باطن أرض العرب ثلثا البترول فى العالم أو أكثر ،
والبترول علاوة على دخل الحكومة البريطانية منه يشكل العصب
الحاسم لصناعاتها وللحرب وللسلم على السواء .
هذه بعض مصالح بريطانيا التى تدعوها إلى الاحتفاظ بالزعامة
والتي تدعو أمريكا إلى منافستها على الزعامة .
فما هى المصالح التى يريد جمال عبد الناصر أن يحققها بفرض
زعامته الوحيدة على هذه المنطقة كما تقول إنجلترا وأمريكا
وعميلهم نورى السعيد ؟

ماذا يريد جمال ؟

كلنا فى الهم شرق . . . وهمنا فى الشرق

كان ولا يزال فى داء الزعامة ، وفى محنة

الأحقاد . . . وجمال أبدا لن يداوى الداء

بالدء . . . وأما شرعه الحسم بشافى الدواء

ما هى المصالح التى يريد جمال عبد الناصر أن يحققها بفرض زعامته الوحيدة على هذه المنطقة كما تقول إنجلترا وأمريكا ونورى السعيد وأدياله ؟

هل طفح الإنتاج الصناعى فى مصر لدرجة أن أصبح ينافس إنتاج بريطانيا وأمريكا . ولذلك يريد جمال أن يطردهم جميعا ليحقق مصالح فى هذه الناحية ؟

وهل يريد جمال عبد الناصر أن يعد قواعد فى البلاد العربية لكى يثب منها على أوروبا ؟

أم هل يريد جمال عبد الناصر أن يكمل ميزانيته من بترول الخليج الفارسى وبترول العراق ؟

وهل يريد جمال عبد الناصر أن تحتل جيوشه هذه البلاد العربية ليفرض زعامته الوحيدة لأن له أطماعا إقليمية فى هذه البلاد ؟

أم هل يريد جمال عبد الناصر أن يؤمن نفسه ضد الحرب الباردة وضد الكتلة الشرقية ولذلك يلجأ إلى فرض الأحلاف عن طريق الزعامة ؟

ما هى المصلحة التى يسعى إليها جمال عبد الناصر عن طريق فرض الزعامة الوحيدة المزعومة ؟

أن الأمر لا يعدو أن يكون تخريفاً وهراء تريد إنجلترا وأمريكا بهما بلبلة الأفكار خصوصاً وأن في الأمة العربية إلى اليوم من لا يزالون يؤمنون بالزعامات والأطماع الشخصية ويؤمنون فوق كل شئ وقبل كل شئ بالولاء الأعمى للغرب والإخلاص لبريطانيا وحليفتها أمريكا حتى ولو كان هذا الولاء ضد أمانى الأمة العربية وحتى لو كان هذا الولاء لصانعى إسرائيل .

بعد كل هذا سأقول لإنجلترا وأمريكا وأبطال الفصل الجديد فى قصة الوحدة العربية الذين أكتب من أجلهم هذه السطور سأقول لهم جميعاً :

– إذا كانت زعامة جمال عبد الناصر تعنى أن يستقل العرب عن كل سيطرة أو قيد أجنبى فأن رجل الشارع العربى يرحب بها كما سمعتم بأذانكم ورأيتم بعيونكم .

وإذا كانت زعامة جمال عبد الناصر تعنى أن يسيطر العرب فى وطنهم على أرضهم وسمائهم ومقدارتهم ويختاروا لأنفسهم بمحض مشيئتهم مصيرهم الذى يرغبون ، فأن رجل الشارع العربى يرحب بهذه الزعامة .

وإذا كانت زعامة جمال عبد الناصر تعنى أن مستقبلاً كريماً ينتظر هذه الأمة العربية عليها أن تسطره بمداد من الكرامة كما سطرت تاريخاً نظيفاً مضيئاً للعالم كله من قبل فإن رجل الشارع العربى يؤمن بزعامة جمال ويهتف من كل قلبه لجمال وأقول لكم جميعاً يا إنجلترا ويا أمريكا ويا أعوان الاستعمار – وأنا أعرف جمالا كما أعرف نفسى – أن جمالا يريد هذا كله بل وأكثر منه . ولكنه لم يفكر لحظة واحدة فى مسألة الزعامة .

أن جمالا صاحب دعوة ، وهو يؤمن أن مسألة الزعامة كانت من تقاليد عهد الانحلال يوم أن كان المستعمر يحطم فى رجائنا كل روح إنشائية ببناءة بشغل نفوسهم بالزعامة والأحقاد والمجد الشخصى !

وما يعمله جمال اليوم هو أنه يدعو بما يحسه فى نفسه نتيجة لآلام الماضى ومآسيه ، لذلك تستجيب له الشعوب قبل الحكام ثم لا يلبث أن يستجيب الحكام لأن الإرادة هى أرادة الشعوب لا الحكام . وأمر آخر يحسه جمال يا حضرات الزعماء والاقبال هو أننا كلنا فى الهم شرق .

وهمنا فى الشرق كان ولا يزال فى داء الزعامة وفى محنة الأحقاد .

وجمال أبدا لن يداوى الداء بالداء وإنما شرعه الحسم بشافى الدواء .

الفصل الرابع

وحدة العرب والاستعمار

هبة بريطانيا

فى سنة 1904 كان الوفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا وبمقتضى هذا الوفاق أطلقت يد إنجلترا فى مصر ، وأطلقت يد فرنسا فى شعوب شمال أفريقيا تونس والجزائر ومراكش وناضلت مصر إنجلترا حتى أرغمتها على الاعتراف بحقها كاملا فى كفاح مستمر انتهى بتوقيع اتفاقية الجلاء سنة 1954 .

وناضل عرب شمال أفريقيا ولا زالوا يناضلون حتى اليوم لكى تعترف فرنسا لهم بحقهم فى الحياة والحرية كاملا غير منقوص .
ومنذ يومين خرجت جريدة ، " الديلى تلغراف" الإنجليزية بمقال افتتاحى قالت فيه :

" أن مصالح فرنسا وبريطانيا فى العالم العربى ليست متعارضة ، الدولتان تواجهان نفس الخطر وهو خطط العروبة العدوانية بقيادة مصر ، إلى آخر ما جاء فى هذا المقال . . .

أن المقال المذكور يحيى ذكرى الوفاق الودى الهزيل .
فالجريدة الاستعمارية تطلب علنا تنسيق سياسة إنجلترا وفرنسا بحيث تتعاوننا فى العالم العربى على القرصنة من جديد بدلا من أن يمارس كل واحد فنونه وأساليبه الاستعمارية المصاصة فى دماء العرب منفردا لأن خطط العروبة الجديدة تهددهم وتقض مضجعهم .
ولقد أثبت تطور الحوادث فى الشهور الأخيرة أن العقلية البريطانية الاستعمارية التى وصفوها تارة بالدهاء وتارة بالمكر

وتارة بالجبروت ، ما هى إلا عقلية تافهة رتيبة تكرر نفسها فى
غباء مطلق يثير السخرية ويبعث على الإشفاق .

وأثبت تطور الأحداث أيضا فى الشهور الأخيرة أن ذلك الإطار
الوهمى الذى سموه هيبة بريطانيا ما هو إلا أكذوبة كبرى خدعوا
بها أصحاب المصالح من الحكام ، ويا للأسف ما زالوا يخدعون بها
أصحاب المصالح من الحكام ، ويا للأسف ما زالوا يخدعون بها إلى
اليوم زعماء وإقبالا ، لقد كشفت الشعوب العزلاء كل هذه الأوهام .
كشفتها شعب الأردن يوم أن ثار فى وجه تمبلر ، ثم ما لبث أن
طرد جلوب .

وكشفتها شعب البحرين الصغير يوم أن سجن سلوين لويد وزير
خارجية بريطانيا العظمى فى المطار ساعات طوالا وهو يصرخ فى
وجهه أن عد إلى بلادك يا رسول الاستعمار .

ومع كل ذلك فقد اقتضت العقلية البريطانية الجبارة أن تنتقم من
شعب أعزل صغير لتسترد تلك الهيبة المضحكة فلجأت إلى التكيل
بشعب قبرص ونفى الأسقف المكافح إلى سيشل كما فعلت تماما فى
مصر قبل ربع قرن أو يزيد !

أن المكر والدهاء والقوة هى للشعوب المغلوبة اليوم وليست
لعقليات الاستعمار . . .

وأن الهيبة اليوم كل الهيبة هى لأرادة الشعوب .

ألا تتعلمين يا بريطانيا ؟

وأنت يا فرنسا ؟

وأنت أيضا يا أمريكا ، يا من تمولين هذه العقليات ؟

الحزم

لصحافة بريطانيا الوقورة تعبيرات تقليدية تشبه تماما ذلك الشعر المستعار التقليدي الذي يلبسونه فى المناسبات عندهم لاشعار أنفسهم بالوقار ثم محاولة أشعار غيرهم بهذا الوقار وحين أرادت بريطانيا أن تخرج بهذا الوقار المزيف على العالم اصطنعت لنفسها ألفاظاً وكلمات ضخمة رنانة أخذت تخرج بها على العالم بين الحين والحين لكى توهم الناس بقوة بريطانيا ودهاء وعظمة بريطانيا .

وأحد هذه التعبيرات كلمة " الهيبة " .

ولقد تناولت هذه الكلمة وأعدتها إلى أصل معناها فأوضح أن هيبة بريطانيا التى كانت تنادى بها صحفهم ويصرخ بها رجالاتهم ما هى إلا أكذوبة كبرى على النحو الذى أرادوا أن يخوفوا به الشعوب وأن أرادة أى شعب مهما كان صغيراً أعزل كفيلة بنسف تلك الأكذوبة على نحو ما حدث فى الأردن الباسل .

وفجأة أقلعت صحافة بريطانيا عن استعمال ذلك التعبير لتنادى بتعبير آخر من نفس قاموس الاستعمار وهو " الحزم " أن صحافة بريطانيا تنادى منذ أسبوع بضرورة استعمال الحزم فى الشرق الأوسط ضد جمال عبد الناصر .

ولم يقتصر هجومها على مصر وعلى جمال وإنما تعدى ذلك الهجوم الأطنطى إلى أمريكا فخرجت صحافة بريطانيا بالرسوم والمقالات تهاجم أيزنهاور وتهاجم دالاس إلى أن بلغت القمة فى

مقال لمن يدعى هيلشام صدر فى جريدة الديلى جرافيك يقول فيه
بالحرف الواحد :

" لقد سيطر عبد الناصر على الأمريكان تماماً ، وهو يقود
وزارة الخارجية الأمريكية من الألف .

ثم أستطرد قائلاً :

" أن الدكتاتور المصرى يلعب لعبة ضخمة ولن يوقفه شئ عن
محاولة كسب هذه اللعبة .

" وفى الحقيقة لن يوقف عبد الناصر شئ من العمل على تحطيم
إسرائيل وهذا هو ما لا تستطيع وزارة الخارجية الأمريكية أن
تتبينه – وإلى أن تعترف وزارة الخارجية الأمريكية بهذه الحقيقة لا
يمكن أن يقوم السلام "

وأستمر اللورد المذكور فى مقاله يعدد ما جلبته أمريكا على
بريطانيا من كوارث فى الشرق الأوسط إلى أن قال :

" أن علينا الآن أن نكون حازمين مع عبد الناصر ويجب علينا
أن نقتع الدول العربية الأخرى بأنها فى طريقها إلى الدمار . . . "

وفى نفس الوقت خرجت علينا صحف بريطانيا أيضاً تقول :

" أن أيدن أرسل إلى أيزنهاور يطلب منه فيها العمل معه ضد

عبد الناصر ولكن أيزنهاور لم يجب ، ولذلك ثارت ثائرتهم . . . "

وفى نفس الوقت أيضاً هاجمت صحف بريطانيا المستر دالاس

لأنه قال أن جمال عبد الناصر يريد أن يحافظ على استقلال دول

الشرق الأوسط ، وفى كل هذه المقالات والهجمات تستعمل صحافة

بريطانيا دائماً كلمة "الحزم" .

فأما عن الهجوم على جمال من صحافة بريطانيا فأننى فى
حاجة لأن أحكى حكايته .

أنه صراع بين الحق والباطل

بين الحرية والاستبداد

بين استعمار كرية يستنزف دماء الشعوب الصغيرة ويلهب
ظهورها بالسياط ، وبين صرخة الحياة التى ملأت قلوب هؤلاء
العزل المكبوتين فانطلقت تحطم القيود وتنسف السيطرة وتهزأ
بالتحكم .

صراع بين من يطلبون السيجار – على قول صحفهم –
والحياة المرفهة المترفة من جيوب الآخرين وبين من يطلبون
الحياة البسيطة الكريمة من جيوبهم ومن موارد بلادهم .
أما عن هجوم صحافة بريطانيا على أيزنهاور فهو حقيقة أمر
جدير بنا أن نقف عنده ونبحثه .

فى الأصل كانت أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية أمل
الكثيرين من الأحرار الذين يتطلعون إلى مستقبل ينتهى فيه شأن
الاستعمار الذى جلب على البشرية الكوارث والدمار .

كان الأحرار يرون فى أمريكا أملا وخاصة أنها ليس لها تاريخ
استعمارى بل على العكس لها تاريخ فى صراع الاستعمار
البريطانى تكبدت فيه الأهوال والمصائب ، وحين انتصرت أرادة
الشعب الأمريكى خلد هذا الانتصار على رمز يمثل الحرية وينادى
بالمساواة .

ثم حدث أن انحرفت سياسة أمريكا فى عهد ترومان خليفة
روزفلت وتمكن تشر شل من أن يربط أمريكا إلى عجلة الدول

الاستعمارية وجرها من خلفه ووقعت أمريكا وساسة أمريكا تحت سيطرة الصهيونية من جهة كما أراد لها ترومان ، ومن جهة أخرى اندفعت أيضا تؤيد قضايا الاستعمار كما أراد لها أيضا ترومان .

وحين أعلن أيزنهاور عدم جدوى تسليح إسرائيل .
وحين لم يستجب أيزنهاور لنداء أيدن بالوقوف ضد جمال ثارت
ثائرة بريطانيا وصحف بريطانيا .

فإن معنى وقوف أيزنهاور هذا الموقف أن أمريكا تريد أن تنتهج سياسة استقلالية تقدر مصالح أمريكا الحقيقية وليست مصالح بريطانيا الاستعمارية .

أن أيزنهاور رجل عسكري وهو شجاع كما تصفه صحف بريطانيا .

ولقد رأى بعينه وأحس بيديه كيف أن العرب اليوم ليسوا هم العرب الذين عرفتهم بريطانيا بالأمس .

أنا نحن العرب نرحب بكل من يريد أن يتفهم قضيتنا ونمد يدا لنصافح من يحترم حريتنا ومشيتنا .

أنا نرحب بسياسة أمريكية متحررة تقدر مصالح أمريكا الحقيقية ، متحررة من نفوذ الصهيونية ، ومتحررة من مساعدة الاستعمار والسيطرة فهل قدر لايزنهاور أن يضع هذه السياسة بعد كل هذه الدلائل .

أنا نأمل

أما عن " الحزم " البريطاني فليس له عندي إلا ابتسامة لعل فيها إشفاقا ، ولعل فيها سخرية .

الاستعمار والبيان الروسى

قرأت ما أذاعته محطة الشرق الأدنى عن العالم العربى فى أسبوع .

ومحطة الشرق الأدنى محطة بريطانية تصرف عليها وتوجه سياستها بريطانيا .

وهى أداة الدعاية البريطانية الأولى فى العالم العربى .

بدأ الحديث بالتعليق على البيان الروسى ، وحينما أنتهى الحديث تخيلت أن روسيا كانت قد عقدت حلفا مع العرب تعهدت فيه أن تقضى على إسرائيل وأن تقدم فلسطين هدية إلى العرب ، وأنها - أى روسيا - نقضت هذه التعهدات . . .

قالت محطة الشرق الأدنى : " أن البيان الروسى قد بين أن روسيا تتحيز لإسرائيل وإنها تعلن أن إسرائيل باقية " ثم قالت محطة الشرق الأدنى أيضا :

- لقد آن لزعماء العرب الذين اعتقدوا أن روسيا ستساندهم ضد إسرائيل أن روسيا على حقيقتها . . . ثم استطرقت تقول :

- ومن هذا نرى أن مبدأ الحياد الذى نادى به جمال عبد الناصر لا يمكن تطبيقه فأن الدول الصغرى لا يمكن أن تعيش إلا إذا اتفقت مع دولة كبرى . وأن بريطانيا هى راعية العرب ولا بد لهم من أن يتفقوا معها لحمايتهم ضد العدوان .

هذا ما قالته محطة الشرق الأدنى للإذاعة البريطانية . . .

وهو قول لا يقوله إلا من يستخف بعقول العرب وإفهامهم
إننا هنا فى مصر حينما عقدنا صفقة الأسلحة مع
تشيكوسلوفاكيا كنا نعلم تمام العلم أن تشيكوسلوفاكيا لها سفارة فى
إسرائيل وأن روسيا لها أيضا سفارة فى إسرائيل وأنهما تعترفان
بإسرائيل كما تعترف بها بريطانيا وفرنسا وأمريكا والأمم المتحدة .
ونحن لم نشترط على تشكوسلوفاكيا أو روسيا لكى نشترى
منها السلاح أن تقطع علاقاتها بإسرائيل أو أن تغلق سفارتها فى
إسرائيل ، ولكننا كنا نعلم أن إسرائيل تحصل على ما تريد من
السلاح من الدول الغربية .
وأن إسرائيل تحصل على ما تريد من الأموال من معونات
رسمية من الدول الغربية .
وكنا نعلم أننا قضينا ثلاث سنوات فى استجداء السلاح من
بريطانيا ومن أمريكا ومن فرنسا ، ولم نستطع أن نحصل على هذا
السلاح ، برغم أننا بذلنا فى سبيل ذلك كل شئ حتى ماء الوجه .
ثم اتضح لنا أن السلاح كان ثمنا لبيع استقلالنا والتخلى عن
حريتنا ، كان ثمنا لأن نوضع تحت أرادة بريطانيا ، ننفذ أرادتها
ونلبي رغبتها ومشيتها .
وكنا نعلم أن الغرب يحمى إسرائيل ، بل أنه أنشأ إسرائيل . . .
وكنا نشعر أيضا بالتهديد ونشعر بالعدوان وبتجح إسرائيل .
فإن صحافة بريطانيا وأمريكا كانت تقول :
" أن إسرائيل عندها من الأسلحة الحديثة ما يمكنها من
الوصول إلى القاهرة فى أربع ساعات "

وطلبت مصر من تشكوسلوفاكيا أن تبيعها سلاحا ووافقت
تشكوسلوفاكيا . وعقدت صفقة الأسلحة بدون قيد ولا شرط
واحترمت تشكوسلوفاكيا توقيعها فسلمت الأسلحة المطلوبة قبل
الوقت المحدد .

وهنا فقط بدأنا نشعر بالأمن والطمأنينة فنحن قد طلبنا سلاحا
يحمينا من غدر إسرائيل وغدر الاستعمار صانع إسرائيل طلبنا
سلاحا نحمل به استقلالنا وحريتنا لا سلاحا ندفع ثمننا له حرينا
واستقلالنا .

لم نعقد مع روسيا حلفا دفاعيا أو ميثاقا عسكريا كميثاق بغداد
حتى نعمل معها أو تعمل معنا على القضاء على إسرائيل أو أن
تسحب اعترافها بإسرائيل .

أما الحلف الوحيد الذي اشتركت فيه دولة عربية فهو حلف
بغداد البريطاني .

ولم نسمع حتى الآن أن بريطانيا قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل
أو أنها ستعمل مع العرب للقضاء على إسرائيل .

أن بريطانيا صاحبة البيان الثلاثي وصاحبة حلف بغداد أعلنت
وأكدت أنها ستتنضم إلى إسرائيل ضد العرب إذا اعتدى العرب على
خطوط الهدنة .

بل أن بريطانيا امتنعت عن مد العرب بالسلاح ولكنها استمرت
في إمداد إسرائيل بالسلاح . . . فقد قامت سفينة إسرائيل من
بريطانيا اسمها " الجليل " محملة بشحنة من السلاح ليستعمل في
تقتيل العرب وتثريدهم .

هذا ما عملته بريطانيا بعد أن وقعت حلفا مع دولة عربية ،

ولا زالت بريطانيا تعترف بإسرائيل
ولها سفير في إسرائيل .
وأعلنت حمايتها لإسرائيل .
وزادت الطين بلة فمدت إسرائيل بالأسلح والعتاد .
ليس هذا فحسب ، بل أن بريطانيا عملت كل ما في وسعها لمن
تشكوسلوفاكيا من إرسال السلاح إلى مصر حتى تشعر مصر دائما
بالتهديد وتبحث عن دولة كبريطانيا تتولى حمايتها .
هذه هي بريطانيا صديقة العرب .
هذه هي بريطانيا حليفة إحدى دول العرب .
هذه هي بريطانيا التي دعت محطة الشرق الأدنى العرب جميعا
لكي يدخلوا تحت حمايتها . . .
أما تركيا مخلب القط في حلف بغداد والتي تحالفت معها إحدى
الدول العربية أيضا فلم نسمع حتى الآن أنها سحبت اعترافها
بإسرائيل ، أو قيدت تجارتها مع إسرائيل .
فأن لتركيا حتى اليوم سفيرا في إسرائيل .
وهي حريصة على إرضاء إسرائيل
بل أن علاقاتها التجارية قد ازدادت مع إسرائيل بعد توقيع حلف
بغداد .
وفي كل أسبوع نسمع عن بعثة لإسرائيل في تركيا وبعثة لتركيا
من إسرائيل .
بل أن سفينة تركية كانت في إسرائيل ، بادرت فتبرعت لأسبوع
التسلح الإسرائيلي .

هذه هي دول حلف بغداد

هذه هي الدول التي تحالفت معها إحدى الدول العربية فإذا قالت

روسيا في بيانها :

" أن الاتحاد السوفيتي قد وقف موقف العطف والتأييد الحار من جهود بلدانا الشرق الأدنى الموجهة إلى تحقيق وتوطيد الاستقلال الوطني لمصر وسوريا ولبنان وإسرائيل ، وأن الاتحاد السوفيتي يرى أنه من الضروري الاتجاه نحو تسوية للقضية الفلسطينية على أساس مقبول من الجانبين داخل الأمم المتحدة وأن الاتحاد السوفيتي يعارض أى تدخل من خارج الأمم المتحدة . . . "

إذا قالت روسيا هذا فإن الاستعمار يولول ، وأعوان الاستعمار يلطمون الخدود ويذرفون دموع التماسيح على آمال العرب في روسيا وفي مساندة روسيا لهم للقضاء على إسرائيل !

ثم يقدم الاستعمار البريطاني النصيحة للعرب فيقول "

أن روسيا قد اتجهت إلى دعم إسرائيل ، فليس أمامكم إلا أن

تقبلوا الحماية من دولة حرة كبرى هي بريطانيا !

وأن الحياد الذي ينادى به جمال عبد الناصر لا أمل فيه فهل

ينظلي هذا علينا نحن العرب ؟

وهل نعود فنلدغ من بريطانيا الشريفة الكبرى وأخيراً الحرة . ؟

وهل نخدع نحن العرب بدموع التماسيح وولولة الاستعمار ؟

وهل يؤثر هذا في وثبتنا وانتفاضتنا من أجل الحرية

والاستقلال؟

لقد نادينا بالحرية والاستقلال منذ وقت طويل ، ولم تكن روسيا

قد ظهرت بعد في الميدان .

وأعلن جمال عبد الناصر فى باندونج أن السياسة العربية يجب أن تنبثق من داخل الأمة العربية .

وأن الدفاع عن العرب يجب إلا يضم أية دولة من الدول الصغرى إذا تحالفت مع الدول الكبرى أصبحت أعبوة فى يدها ويصبح هذا التحالف وجها جديدا من وجومه الاستعمار .

ولهذا قاومت مصر حلف بغداد لأنها كانت تعرف أغراضه ومراميه ، ولأنها كانت تعلم نوايا بريطانيا فى أن تضع الأمة العربية كلها تحت حمايتها وفى منطقة نفوذها بواسطة حلف بغداد .

أن العرب جميعا يعلمون أن العلاقة بينهم وبين روسيا ليست علاقة أحلاف أو موثيق كميثاق بغداد بين العراق وبريطانيا ، فكيف يمكن لعاقل أن يعجب من بيان روسى يذكر إسرائيل بين دول الشرق الأوسط وفجأة لا يجد أمامه من سبيل إلا أن يضع نفسه تحت الحماية البريطانية ، تحت حماية بريطانيا الحرة الكبرى ؟

أن البيان الروسى حينما يتكلم عن إسرائيل كدولة فى الشرق الأوسط لم يصف جديدا ، فنحن نعلم أن هناك سفيرا إسرائيليا فى موسكو وسفيرا روسيا فى إسرائيل .

ومصر التى اختارت لنفسها الحرية والاستقلال .

ومصر التى رفضت أن تباع الحرية والاستقلال لبريطانيا من أجل السلاح .

ومصر التى طلبت الأسلحة من أمريكا وإنجلترا وفرنسا وروسيا وتشكوسلوفاكيا وهم جميعا يعترفون بإسرائيل .

ومصر التى وافقت على شراء الأسلحة حينما وجدتتها .

مصر هذه لم تكن تنساق وراء الأوهام ولم تكن تضع فى
خطتها أن روسيا ستكون طوع أمرها فتسحب اعترافها بإسرائيل ،
ولكنها كانت تشعر أن هناك تحولا كبيرا لابد أن يقع .

فأن احتكار السلاح قد انتهى .

احتكار السلاح بواسطة بريطانيا .

احتكار السلاح الذى تشتري به بريطانيا استقلال الدول وحرية
الشعوب .

احتكار السلاح الذى يمكن لبريطانيا من أسباب السيطرة
والتحكم فى رقابنا ورقاب العباد فى كل دولة تريد الحرية .

ألم تدخل العراق حلف بغداد من أجل السلاح كما قال نورى
السعيد فأصبح السلاح أداة لضياع الاستقلال وبسط النفوذ البريطانى
وهو فى الأصل أداة لحماية الاستقلال ؟

ألم يصبح السلاح أداة لتمكين الاستعمار البريطانى فى العراق ،
وهو فى الأصل أداة للقضاء على الاستعمار ؟

أن بكاء الاستعمار وأعوان الاستعمار لأن روسيا ذكرت
إسرائيل فى بيانها لن ينطلى علينا ، وإلا فلتسحب بريطانيا وأمريكا
وفرنسا اعترافهما بإسرائيل .

أو على الأقل فلتسحب بريطانيا صاحبة حلف بغداد اعترافها
بإسرائيل وتغلق سفارتها فى إسرائيل .

أن دعاية الاستعمار وأعوان الاستعمار لا تبغى إلا أن تبيث
اليأس فى نفوس العرب وتثبط من همهم وتقضى على انتفاضتهم
التحريرية الكبرى .

أن سياستنا قامت على بعث عربي يعتمد العرب فيه على أنفسهم وعلى قوتهم وعلى عزمته وعلى صبرهم وعلى كشفهم للأعياب الاستعمار .

ولكن هذا لن ينطلي علينا .

فنحن نشعر بقوتنا ونعلم على التحديد أهدافنا .

وقد قال جمال عبد الناصر في فلسفة الثورة :

" أن لنا من قوميتنا ما يمكننا من أن نفرض وجودنا .

" وأن قوتنا في قوميتنا العربية .

" وأن قوتنا في مواردنا الغنية . . .

" وأن قوتنا في موقعنا الإستراتيجي "

ونحن لن نحتاج إلى حماية بريطانيا أو أمريكا أو روسيا أو مساندة أي منها ، ولن نطلب من بريطانيا أو أمريكا أو روسيا أن تحقق لنا استقلالنا أو أن تبعث لنا قوميتنا .

أنا حينما صمنا على القضاء على الاستعمار والفوز بالحرية .

وحينما صمنا على القضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار

، كنا نعلم يقينا أن هذا لن يتحقق إلا بسواعدنا وعرقنا وجهدنا ،

ونحن نسير في هذا السبيل بقوة وعزم . . .

من هم المرتشون ؟

لقد كشف الاستعمار عن نفسه بسرعة عجيبة على غير عادته فأن تخبط بريطانيا وانهيار أعصابها نتيجة لنجاح حركات العرب الوطنية القومية الاستقلالية ، وانهيار خطط الاستعمار ليظهر للعالم أجمع ماذا تبنت بريطانيا للعرب ، وما هي أطماع بريطانيا في السيطرة والتحكم والاستغلال .

أما الفصل الجديد من رواية الاستعمار والعرب ، فهو فصل استغلال البيان الروسى لتضليل العرب وبث روح الهزيمة واليأس في نفوسهم .

فان الاستعمار يعلم أن انطلاق القومية العربية التحريرية وهي تشعر بقيمتها وعزتها وكيانها يمثل الخطر الأكبر على الاستعمار في سبيل تحقيق مشاريعه الفاتكة ، وفي سبيل تحقيق أطماعه وأحلامه الجشعة الاستغلالية .

فأذا ظهرت القومية العربية الوطنية وانطلقت تثق بنفسها وتثق بقوتها فلن يمكن للاستعمار أن يقاوم ولا بد له من الانهيار ، ولن يغنيه أعوان الاستعمار فتيلاً مهما دفع له من مال ومهما ساندتهم بقوته ونفوذه وضغطه ومؤامراته .

لقد صمدت القومية العربية الاستقلالية في مصر وهزمت الاستعمار وأعوان الاستعمار .

كما صمدت القومية العربية الاستقلالية في سورية في وجه الاستعمار ودسائس الاستعمار وضغط الاستعمار وأعوان الاستعمار .

وصمدت القومية العربية الوطنية فى لبنان ضد الاستعمار
وأعوان الاستعمار .

وغيضت القومية العربية فى الأردن فدافعت عن كيانها
ووجودها فأسقطت أعوان الاستعمار ، ثم ما لبثت أن صفت
الاستعمار فأرتد مذعورا منها .

ثم عاجلته القومية العربية بطرد جلوب طرد الكلاب .
ومرغت القومية العربية الاستعمار وخرافة الاستعمار فى الطين
والأوحال .

وخرجت القومية العربية من المعركة تشعر بكيانها وقوتها بل
تشعر أنها أشد قوة وعزما . . .

ووقفة القومية العربية الوطنية - فى المملكة العربية السعودية
ضد عدوان الاستعمار ودسائس الاستعمار وأعوان الاستعمار
و حرب الأعصاب التى شنها الاستعمار فمضت تلك القومية العربية
بعد أن عرفت عدوها الحقيقى الذى دفع أعوانه لاحتلال البوريمى
بدافع الطمع والجشع .

وصمدت القومية العربية فى اليمن ضد أطماع الاستعمار
وشعرت أن درعها هى فى التضامن العربى فصمدت القومية
العربية فى اليمن ضد العدوان البريطانى من محميات عدن وضد
دسائس الإنجليز على حدود اليمن .

وصمدت القومية العربية فى السودان فأختار السودان لنفسه
سياسة استقلالية عربية قومية رغم دسائس الاستعمار وألعيب
الاستعمار .

وانتصرت القومية العربية فى ليبيا فأعلنت أنها لن تسمح باستخدام أراضيها فى أى عدوان ضد العرب .

وانتصرت القومية العربية فى تونس وفى مراكش .

ولم تتن أعمال الإرهاب والتقتيل والإبادة فى الجزائر ، أقول لم تتن هذه الأعمال الوحشية القومية العربية عن أن تدافع عن كيانها ووجودها .

وصمدت القومية العربية فى البحرين رغم الخطة الموضوعة لهجرة الأجانب إليها حتى يقضوا على القومية العربية فيها .

وشعرت القومية العربية بقوتها فأندرت سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا العظمى جدا وسجنته أربع ساعات فى عربته رغم الرصاص ورغم الإرهاب وبينت له أن القومية العربية قوية جارفة فى كل مكان حتى ولو كان فيه مستشار بريطانى كالمستر بيلجريف المشهور .

وصمدت القومية العربية فى عدن رغم التهديد والإرهاب ورغم الرصاص والوعيد ، صمدت وهى تشعر بقوتها وتشعر بكيانها . فأذا أراد الاستعمار أن يخدع العرب ويقتنعهم بأن انطلقتهم التحريرية الكبرى مستمدة من روسيا ، وأنها تستمد وجودها من الخارج وأن بقاؤها معتمد على تأييد روسيا أو من دولة خارجية ، فهو لا يخدع إلا نفسه .

فالقومية العربية التحريرية ليست مستوردة من الخارج ولكنها منبثقة من صميم الأمة العربية ، ومن آمال الأمة العربية ومن كفاح الأمة العربية المتوهج حتى اليوم .

أن القومية العربية تعرف مقاومتها وتعرف طريقها ، فهي
تنبثق من وحى عربى خالص لا من وحى أجنبى .
ونقول أيضا للاستعمار تعال نبين لك الأمور أن كنت تخذع
نفسك ، وتعال نبين لك الأمور أن كنت تريد أن تخذعنا ؟
متى وعدتنا روسيا أنها ستسحب اعترافها بإسرائيل .
وتسلمنا فلسطين على طبق من الذهب ؟
وهل يعتقد الاستعمار أننا كنا من البساطة بحيث نضع هذا فى
حسابنا ؟

أن كل ما كنا ننتظره من روسيا هو أن تتعامل معنا بدون قيد
ولا شرط حتى نقضى على تحكم الاستعمار .
تحكمه فى بيع السلاح الذى طلب استقلالنا وحریتنا ثمنا من
أجل كمية قليلة منه .

تحكم الاستعمار فى بيع السلاح ، والاستعمار الذى رفض أن
يبيعه لنا لنحمى أنفسنا ضد عدوان إسرائيل وتهديد إسرائيل إلا إذا
بعنا له استقلالنا وحریتنا بثمن بخس وسلمنا له رقابنا ، ولبينا
أوامره ونواهيته .

أننا كنا ننتظر من روسيا أن تتعامل معنا بدون قيد ولا شرط فى
الميدان الاقتصادى حتى نتحرر من ضغط الاستعمار الاقتصادى
وحتى نؤمن حریتنا الاقتصادية وحتى نتخلص من سيطرة الاستعمار
الاقتصادى .

فهل كان الاستعمار يريد منا أن نفرض شروطا على روسيا إذا
وافقت على أن تخلصنا من احتكار السلاح والسيطرة الاقتصادية
الاستعمارية فنقول لها :

– لن نقبل أن نتحرر ونشتري السلاح الذى يحمينا من تهديد إسرائيل وعدوان إسرائيل وصحف إسرائيل بدون قيد ولا شرط ؟
أم كان يريد منا أن نقول لروسيا أننا لن نقبل أن نتخلص من احتكار السلاح الاستعماري الذى ندفع من أجله استقلالنا وحریتنا ؟
لعل الاستعمار كان يريد أن نقول لروسيا أننا لن نقبل أن نتعامل اقتصاديا بدون قيد ولا شرط إلا إذا سحبت اعترافك بإسرائيل واستدعيت سفیرك .

يا للسخافة ، ويا للتفاهة ، منطق الاستعمار الذى يعتقد أن نحيبه اليوم وبكائه على فلسطين ينطلى علينا او يؤثر على انتفاضتنا التحريرية موهما إيانا أن كفاحنا مرتبط ببيان يصدر من وزارة الخارجية الروسية تذكر فيه كلمة إسرائيل !
والآن ماذا عمل الاستعمار من أجل فلسطين ؟
وماذا عمل الاستعمار من أجل العرب ؟
وماذا عمل الاستعمار من أجل إسرائيل ؟
أن الاستعمار يحمى حدود إسرائيل المغتصبة الحالية بالتصريح الثلاثى الذى أعلنه سنة 1950 .

فقد أعلن الاستعمار فى هذا التصريح أن إسرائيل باقية كما هى رغم قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم ، هذه القرارات التى يبكى عليها الاستعمار اليوم ويتهم روسيا أنها تنكرت لها .
وأعلن الاستعمار مرات ومرات أنه سينضم إلى إسرائيل ضد أية دولة عربية تحاول الاعتداء على خطوط الهدنة رغم حلف بغداد ، ورغم تحالفه مع العراق الدولة العربية التى جرحت فى فلسطين .

بل تمادى الاستعمار وقال أنه لن يتقيد فى تصرفاته بالأمم المتحدة وأنه يعطى لنفسه الحق فى التدخل محافظة على حدود إسرائيل المغتصبة .

بل أن إنجلترا حينما رأت أن أمريكا لا تحدد موقفها أعلنت أنها تعد خطة للتدخل بمفردها ضد أى دولة عربية تحاول العدوان على إسرائيل .

أن الاستعمار الذى كرر هذا الإعلان منذ صفقة الأسلحة التشكوسلوفاكية لمصر قد كشف نفسه بنفسه وفضح أمره بيده ، فقد كان يعد إسرائيل بالسلح ويضع فى خطته أن إسرائيل لا بد أن تتعادل فى القوة مع الدول العربية مجتمعة ، بل لا بد أن تتفوق عليها .

وكانت إسرائيل تتماهى فى العدوان

اعتدت على الأردن وقتلت من قتلت فى قبية وغير قبية

واعتدت على سورية

واعتدت على مصر

وتمادت فى العدوان والتهديد

وقال بن جوريون أننا سنؤدب العرب ونفرض عليهم إسرائيل

فرضا ، ونفرض عليهم شروطنا فرضا .

وقال زعماء إسرائيل لا بد لإسرائيل أن تتوسع فالوطن الموعود

يمتد من النيل إلى الفرات .

فماذا كان رد فعل الاستعمار ؟

الأسف على العدوان والأسف فقط !

فهل أعلن الاستعمار فى تلك الأوقات كما يعلن اليوم أنه
سيتدخل ضد أى عدوان ؟

بل هل تدخل الاستعمار ليوقف العدوان ؟
أبداً

لم يعلن الاستعمار شيئاً من ذلك لأنه كان يحتكر السلاح وكان
يعلم أن التفوق لإسرائيل ، وأن العدوان وقف على إسرائيل .
وهل أثار الاستعمار كما يهذى اليوم قضية السلام فى الشرق
الأوسط ؟

أن الاستعمار يعتقد أن السلام فى الشرق الأوسط يعنى العدوان
على العرب وحرمان العرب من القوة والسلاح ومد إسرائيل بالقوة
والسلاح .

أما اليوم وبعد أن شعر الاستعمار أن ربييته إسرائيل قد فقدت
التفوق ، وأصبح العرب فى وضع يمكنهم من تأديبها ، وأصبح
العرب يشعرون بقوتهم وبوجودهم واستقلالهم .
حينئذ فقط فقد الاستعمار رشده وقال أن السلام مهدد فى
الشرق الأوسط .

وبكى الاستعمار ولطم الخدود على السلام فى الشرق الأوسط .
وأعلن مستر أيدن أن بريطانيا ستقاوم العدوان وستحمى
إسرائيل .

وأصيب مستر جيتسكيل الصهيونى بالهستيريا ووقف ينادى بأن
إسرائيل لابد ان تبقى وأن بريطانيا لابد أن تحمى إسرائيل .
ووقف نواب بريطانيا عملاء إسرائيل أعضاء الشركات اليهودية
الصهيونية يدافعون عن إسرائيل ويسبون العرب ، وينادون بالويل

والثبور لأية دولة عربية تجرؤ على المساس بإسرائيل أو حتى مجرد الرد على عدوان إسرائيل .

وقف النواب البريطانيون يتهمون الوطنية العربية بأنها نتيجة للرشوة ولا يخجلون من موقفهم ومن حقيقتهم .

تعالوا أذن وردوا أن كانت لديكم شجاعة على ما سأقول .

أنى أتهم هؤلاء النواب البريطانيين الذين يدافعون عن إسرائيل ويهددون العرب

أتهمهم بالرشوة للعمل لصالح دولة إسرائيل .

أتهمهم بالرشوة عن طريق الشركات اليهودية الصهيونية .

أنى أتهم الديمقراطية البريطانية وأطالب الحكومة البريطانية أن تعلن أسماء الشركات التى يعمل بها هؤلاء المحامون عن إسرائيل .

وعندها سيعلم العالم إلى أى درك انحدرت الديمقراطية فى بريطانيا بفعل المال الصهيونى والرشوة الصهيونية .

أنى أتهم مستر جيتسكيل زعيم حزب العمال البريطانى بأنه صنيعة الصهيونية العالمية وأنه أجير عند الصهيونية العالمية والكل يعلم أنه متزوج من يهودية صهيونية متعصبة .

لقد اتهمتنا بريطانيا ونواب بريطانيا وقالوا أن القومية العربية نتيجة للرشوة .

فهل يمكن أن يرتشى مائة مليون عربى من المحيط الأطلسى إلى الخليج الفارسى ؟

لقد قيل هذا فى صحف بريطانيا وفى مجلس العموم فسكتنا وقلنا عسى أن يقلعوا .

ولكن بعد ذلك كررت محطة الإذاعة البريطانية هذا القول فآن لنا أن نعرف من هم المرتشون .

هل هم المائة مليون عربي أم هم صانعي إسرائيل في مجلس العموم ؟

يا لفضيحة الديمقراطية البريطانية العريقة جدا فى القرن العشرين !

هذا هو الاستعمار الذى يرغب منا التحالف معه .

وهذا هو الاستعمار الذى يتباكى اليوم على البيان السوفيتى وأنى لأتساءل :

من الذى أقام إسرائيل ؟

ومن الذى وعد الصهيونيين بفلسطين ؟

وإلى أية جنسية ينتمى بلفور الذى خان العرب حينما وقفوا إلى

جانب بريطانيا فى الحرب الأولى ؟

ولماذا أقام الاستعمار إسرائيل بطريقة لم تحدث أبدا عبر

التاريخ ؟

فلأول مرة فى تاريخ بريطانيا تتخلى عن انتدابها وترحل فى

سكون .

فهل تخلت بريطانيا عن فلسطين لأهل فلسطين وعرب فلسطين؟

أم أن بريطانيا كانت تعلم أن عرب فلسطين سيتركون لمصيرهم

المحتوم بعد أن أباحت لتلك العصابات حمل السلاح وصنعه وشنقت

كل عربى يوجد لديه سلاح .

أن بريطانيا كانت تعلم إن العرب يتركون للإبادة .

ولكنها الخطة الموضوعية لإبادة القومية العربية والقضاء عليها
قضاء كاملا .

هذا هو سبيل الاستعمار

قضاء على القومية العربية

وخلق إسرائيل ، وأمداد إسرائيل بالسلح وحماية إسرائيل ثم
السيطرة على العرب ووضعهم تحت النفوذ الاستعماري تحت اسم
المواثيق الدفاعية .

تحت اسم ميثاق بغداد ، أحدث صورة من صور الاستعمار .

وما هو سبيل العرب لتحقيق حريتهم واستقلالهم ؟

أن العرب يعتمدون على سواعدهم ، وعلى قوميتهم وعلى
حركتهم التحريرية الكبرى .

انهم لا يعتمدون على روسيا ولكنهم يتعاملون معها للقضاء
على احتكار الاستعمار للسلح ، وللقضاء على سيطرة الاستعمار
الاقتصادية .

وان سلح العرب الأول هو قوميتهم فهم يعلمون ان قوتهم في
قوميتهم وليست في بيان دولة أجنبية

فإذا أراد الاستعمار أن يفت في عضدهم أو يبيث في نفوسهم
الهزيمة واليأس مدخلا في روعهم ان قوميتهم وثورتهم التحريرية
الكبرى تعتمدان على عون خارجي ، وان روسيا كانت تمثل هذا
العون الخارجي ، وأنها الآن قد تراجعت عن خطئها وتخلت عن
تأييد العرب فليس أمام العرب من سبيل إلا أن ينضوا تحت حماية
الاستعمار

إذا أرد الاستعمار هذا قلنا له :

أن هذا لن ينطلى علينا فأننا نعرف سبيلنا فى التحرير ونعرف
سبيلنا فى حل قضاياتنا
ونعرف ان حركتنا التحريرية الكبرى لا تستورد من الخارج
ولكننا تنبثق من الداخل
تنبثق من الداخل
ومن وطنية العرب
ومن عزم العرب
ومن وحدة العرب

عدنا يا صلاح الدين

كان ذلك عقب الحرب العالمية الأولى

واجتمع المنتصرون حول مائدة القرصان المشهورة وبدعوا
يوزعون الأسلاب

ومن قبل هذا الاجتماع كانت الأمم الصغيرة قد صدقت مبادئ
الرئيس ولسن رئيس الولايات المتحدة التي نادى بها وقتذاك والتي
تنادى بالحرية والاستقلال وتقرير المصير

وعلى مائدة القرصان خفت صوت الرئيس ولسن رويدا رويدا
إلى أن تلاشى

وفوجئت الأمم الصغيرة بجيوش المنتصرين تقتحم عليها أرضها
بأسم الانتداب تارة ، وتارة أخرى باسم مناطق النفوذ التي اتفق
القراصنة على اقتسامها فى أنحاء كثيرة من العالم
وكان نصيب الأمة العربية أن مزقت أشلاء

فاحتفظت جيوش فرنسا المظفرة جدا سورية ولبنان بعد أن
احتفظت بتونس والجزائر ومراكش

نعم ، اقتحمت جيوش فرنسا المظفرة جدا سورية ، وقاتل
السوريون قتال الأبطال ولم يدخل الفرنسيون دمشق إلا على جثة
آخر مقاتل منهم ، قاتل السوريون دفاعا عن أرض الأباء والأجداد
رغم تفوق القرصان الفرنسى فى العدة والعتاد

وحين دخل الجنرال الفرنسي الأعرج دمشق توجه من فوره إلى
قبر صلاح الدين الايوبى ووقف فى صلف أمام القبر وقال : " لقد
عدنا يا صلاح الدين ... "

ونقلت البرقيات هذه الجملة وقتذاك إلى أوروبا ودول الغرب
فهللوا طربا ونشوة لانهم انتصروا أخيرا على صلاح الدين ...
لم يستطيعوا أن ينتصروا عليه وهو حى لانهم كانوا يجثون
أمامه ، فاحتفلوا بانتصارهم عليه وهو ميت لكى يشبعوا فى
نفوسهم غريزة الحقد والتشفى والصغار

لقد عدنا يا صلاح الدين

عبارة حفظها السوريون جيلا بعد جيل ، وحفظناها نحن العرب
معهم جيلا بعد جيل

عبارة تروى لنا تاريخين وتروى لنا موعظتين

تروى لنا تاريخا مشرقا ناصعا حين كان صلاح الدين يحكم
مصر من سورية ويحكم سورية من مصر ، وكيف ان اتحاد مصر
وسورية كفىل أن يقهر الغزاة حتى ولو كانوا كل أوروبا ...

وتروى لنا تاريخا رائعا لوحدة العروبة وعزتها ومجدها ،
وكيف أن فرسان مصر كانوا هم فرسان سورية وكيف ان أبناء
سورية كانوا هم فرسان مصر

تروى لنا تاريخ الدم المشترك الذى بذلته مصر على جدار
الشام دفاعا عن الحق والخير وأرض الآباء والأجداد
فهل كان صلاح الدين متعصبا ؟

إن أعداءه يشهدون له قبل أصدقائه انه كان قائدا نبيلًا وفارسًا
شهما ، بل ا، الغربيين لا يزالون إلى اليوم يضربون المثل بشهامة
صلاح الدين وخلقه العالى الأشم
كان يقابل تعصب الصليبيين بسماحة المسلم العربي، ولكنه لم
يسمح أبدا بأن تدنس أرض العروبة بأقدام الاجنبي
كان يحارب دفاعا عن مقدسات العرب وشرف العرب ومستقبل
العرب

وانتصر صلاح الدين

ولم يكن كيان مصر فى ذلك الوقت إلا من كيان سورية ، وكيان
سورية إلا من كيان مصر

ودارت الأيام دورتها ومات صلاح الدين ...

وجاء دور الأتراك

وخرجت مصر وسورية لتدفع البلاء فى مرج دابق
واختلطت دماء سورية ومصر جنبا فى تلك المعركة دفاعا عن
وطن العروبة ومقدسات الأجداد

ان اتحاد مصر وسورية حقيقة تاريخية يحتمها التطور ،
فالأصل هو ان الشعبين شعب واحد امتزجت عروقه وواجه المحن
والانتصارات جنبا الى جنب ...

فالدارس يرى عبر التاريخ ان آمال الشعبين كانت دائما واحدة
، وان المعارك التى خاضها الشعبان كانت واحدة ، وان أعداء وأن
أعداء سورية كانوا دائما أعداء مصر ، وأن لغة الشعبين واحدة

وحضارة الشعبين ومقوماتهما واحدة ، وتاريخ الشعبين واحد ، فضلا عن رباط الدم والقربى والدين والأصل فاتحاد سورية ومصر أذن عمليا وتاريخيا ونظريا حقيقة لا بد منها .

أما الفترة الماضية التي ابتعدت فيها سورية عن مصر فلم تكن إلا مرحلة استثنائية فرضها الاستعمار على الشعبين ضمن خطته الكبرى التي أرد بها تمزيق أوصال الأمة العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي .

بدأت هذه المرحلة بعزل مصر عن الجناحين وهما المغرب العربي وسورية وبلاد المشرق العربي .

وتولت فرنسا أمر عزل المغرب العربي من جهتها بعد أن عزلت إنجلترا مصر ثم قسم المشرق العربي بين إنجلترا وفرنسا بعد الحرب الأولى على النحو الذي ذكرته في صدر هذا المقال .

واليوم بعد أن زال الاستعمار من مصر ومن سورية بعد تلك المرحلة الاستثنائية في تاريخ الشعبين يصبح من الطبيعي أن يعودا كما كانا .

ويصبح من الطبيعي أيضا ونحن نرى الاستعمار يترنح في بقية أقطار العروبة أن نرى الأمة العربية تعود بالتدرج إلى سابق مجدها أمة واحدة ووحدة متماسكة ستجتمع أقطارها بحكم التطور حين تتخلص هذه الأقطار من استبداد الاستعمار الذي يعزلها عن بعضها .

لقد أقام الاستعمار إسرائيل في قلب أرض العرب لأن الأمة العربية كانت ممزقة من داخلها وكان حكام العرب يخضعون للاستعمار وليس لنداء الشعوب .

واليوم تشكل إسرائيل خطرا داهما على بيت كل عربي وعلى رزقه وأرضه وسمائه .

ولا سبيل للأمة العربية اليوم أمام هذا الخطر إلا نفس السبيل الطبيعي الذي سلكه صلاح الدين يوم أن وحد الكلمة ولقن الأعداء درسا خالدا في الدفاع عن وطن العروبة وأرض الأجداد .

فمن أجل شرف العروبة تتحد سورية ومصر .

ومن أجل مقدسات العروبة تتحد سورية ومصر .

ومن أجل وحدة العروبة تتحد سورية ومصر .

اتحادا يعيد لنا مجدنا الذي أندثر .

اتحادا يجبر كل قرصان أجنبي على أن يجثو أمام قبر صلاح

الدين .

ويومها سيهتف العرب وحدهم من أقصى الغرب إلى أقصى

الشرق .

لقد عدنا يا صلاح الدين .

عدنا نحن أبناءك إلى طريقك وهديك ومجدك وخطواتك .

التفرقة . . سلاح الاستعمار

اكتوينا نحن العرب بأساليب مدرسة الاستعمار قرونا طويلة ،
وعرفنا من قاموسهم اصطلاحات طبقوها علينا فمزقوا أوطاننا
وشنتوا شملنا .

وعلى رأس هذه الاصطلاحات اصطلاح " فرق تسد "

وكانت مصيبتنا نحن العرب مصيبتين

الأولى حين فرقوا بين الشعوب

والثانية حين فرقوا بين أبناء الشعب الواحد

أما الأولى فقد نتج عنها أن تقطعت أوصال الأمة العربية ،
ففرنسا تعزل تونس والجزائر ومراكش عن جسم الأمة العربية ،
ولا تكتفى فرنسا بذلك بل بدأت على الفور حملة مدبرة منظمة لكي
تقضى على اللغة العربية فجعلتها لغة فرعية وجعلت اللغة الفرنسية
في وطن عربي هي اللغة الأصلية !

وحاربت فرنسا الدين ، واغتصبت أوقاف المسلمين فاقتطعتها
للمستعمرين الفرنسيين .

وإنجلترا تعزل مصر وفلسطين والأردن والعراق والخليج

العربي كل على حدة .

قالت إنجلترا لمصر أنتم لستم عربا وإنما أنتم فراعنة .

وسلمت إنجلترا فلسطين لليهود لكي يقيموا دولتهم على أرض

العرب وجماعم العرب .

وحاولت إنجلترا - ولا تزال تحاول - تحريض الأردن والعراق لكي ينفصلا عن المجموعة العربية ويدخلا تحت سيطرة أحلافها الاستعمارية .

وباعدت بين أمراء الخليج العربي بتلك الاتفاقيات التي عقدها معهم على أساس أن تتولى حمايتهم ضد بعضهم وهم أهل وعرب .
فماذا جنت هذه الفرقة على العرب ؟

أن أول نتيجة مروعة لهذه الفرقة كانت مأساة فلسطين ، لقد أقطع من قلب الأمة العربية جزء أعطى للصهيونيين ، اقتطع هذا الجزء جهارا نهارا وبمساعدة إنجلترا وأمريكا وتأييدهما في السر والعلن و . . .

وأصبحنا نواجه كارثة تهدد أوطان الأمة العربية جمعاء لأن اليهود يطالبون بالنيل والفرات ، وأرض المدينة المنورة على السواء .

وكانت النتيجة الثانية أن إنجلترا استطاعت أن تنفرد بكل شعب على حدة وفي هدوء بعد أن فرضت ستارا حديديا بين هذه الشعوب فتحكمت وسيطرت واستنزفت مواردنا وعطلت تقدمنا وفرضت علينا أردادتها ضد مصلحتنا بعد أن عرت وجوعت شعوبنا .

ولو أننا كنا جسما واحدا كما هو مفروض أن نعيش لما استطاعت بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا إن تتسلل إلينا ثم لم تلبث أن طالبت بالسيطرة علينا . . .

وكانت النتيجة الثالثة أن عشنا في الماضي وكل منا يحمل الشكوك التي بذرها المستعمرون في نفوسنا بعضنا ضد بعض

وكانت المصيبة الثانية مكملة للأولى حين تفرق أبناء البلد الواحد على أنفسهم .

واليوم ونحن نواجه الاستعمار وقد برئنا من كل هذه العلل أو أكثرها ، علينا أن نستعد لكي نواجه حملة أخرى من حملات فرق تسد .

علينا نحن العرب حكاما وشعبا أن ننتيقظ وأن نكون على حذر .

فعقلية الاستعمار لم تتغير وأساليب الاستعمار سوف لا تتغير . والاستعمار يريدنا أن نعود شعبا متنافرة ، وحكاما متحاسدين حتى يستطيع أن ينفرد بكل منا كما كان على حدة والاستعمار سيسعى بكل طاقتة لكي يزرع الشكوك والمخاوف وقد بدأها فعلا بذلك الحديث الخرافي الذي يردده عن إمبراطورية جمال عبد الناصر ، لأن جمال عبد الناصر يطلب الحرية لكل شعب عربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي والاستعمار سيعمل ليل نهار لكي يشكك في نوايا بعضنا لبعض .

سنواجه يا أهلى يا عرب أخطر حملة للتفرقة والتشكيك وسيستعمل الاستعمار فيها كل أسلحته من الكذب إلى الخداع إلى التضليل إلى المساومة .

فكونوا على حذر يا أهلى يا عرب .

اذكروا تاريخ الثورة العربية ودور إنجلترا فيه الذى أسفر عن

قيام إسرائيل .

واذكروا اعتداءات إسرائيل على قبيلة ودير ياسين .

اذكروا أحلام إسرائيل فى مصر والعراق وفى السعودية .

وقد قامت أمريكا وإنجلترا إسرائيل وما زالت أمريكا وإنجلترا تشجعان
إسرائيل .

اذكروا السلاح الذى هو حلال لإسرائيل وحرام على العرب ، اذكروا
قتلاكم وشهداءكم فى الجزائر وفى مصر وفى دمشق وفى لبنان وفى
البوريمى وعلى حدود اليمن وفى عمان وفى الأردن وفى العراق .

واذكروا يا أهلى يا عرب حكاما وشعوبا أننا لا نطالب بغير حريتنا فى
أوطاننا وسيادتنا على أرضنا .

واحذروا المكيدة .

واحذروا الدسيسة .

واحذروا الفقرة لكى لا يسود ثانية مستعمر على أرضكم .

الفصل الخامس

الجبهة المسلحة

يا عرب

الله أكبر ، ولك يارب الحمد من العرب .

الله أكبر ، ولك يارب الشكر من العرب .

أن الجبهة العربية ، حلم العرب من قديم الزمن أصبحت اليوم حقيقة واقعة .

الجبهة المسلحة الموحدة المصالح والأهداف ، والمستعدة من هذه اللحظة – لسحق العدوان ، والمتحفزة – من هذه اللحظة – لمواجهة الافتتات على الحقوق ، والصامدة – من هذه اللحظة – أمام السيطرة والتدخل الأجنبي ، والزاحفة – من هذه اللحظة – نحو أهداف الشعوب ، لا أهداف أعداء الشعوب الشعوب العربية التي كانت – قبل ظهور الجبهة الجديدة – فريسة لصهيون وحلفاء صهيون ، ومطية لكل أفاق مغامر ، متسلل إلى أرض العرب من هذه اللحظة سيتغير التاريخ .

من هذه اللحظة ستكتب صفحات جديدة لكفاحنا المقدس الذي مارسناه طوال عشرات السنين ، ودفعنا ثمنه آلاف الشهداء ، في فلسطين وغير فلسطين ن في معارك الاستقلال وتقرير المصير .

فمن هذه اللحظة ، سنقرر – نحن العرب – مصيرنا ، أما الذين تركوا مصيرهم ، في أيدي الأجنبي ، فهؤلاء أيضا لن نتخلى عنهم ، لأنهم عرب من دمنا ولحمنا ، يشتركون معنا ، رغم كل شئ في المصلحة والهدف والمصير

هؤلاء الذين أغراهم المستعمر ، بالبعد عن الجبهة العربية الجديدة ، سنظل دائما بجانبهم ، نحميهم من أنفسهم ، ومن الشيطان الذى يدفعهم إلى الهاوية . . . هم وشعوبهم !

يا عرب لم يعد الزمن عدو لكم ، بل أصبح نصيرا وحليفا ، فكل دقيقة تمر – منذ الآن – ستحمل لكم القوة والمهابة والاحترام. لن نعيش بعد اليوم ، كما عشنا من قبل جامدين صاغرين مستسلمين ، ينهش فينا الظلم والعدوان والذل ، فلقد ولدت الجبهة المسلحة !

ولدت الجبهة التى ستحمينا ، ولدت الجبهة التى ستترد العدوان بالعدوان !

لن نعطي خدنا الأيسر لأحد ، ولا الأيمن أيضا ، بعد أن وقع سعود والقوتلى وجمال ، وثيقة تحرير العرب فاصبحنا قادرين على رد الصفعات ، بالنار والحديد ، فى هذه المرة !

يا عرب ، يا شعوبا شربت كؤوس المر على الدوام ، ويا شعوبا نكبت بالخونة والعملاء وبالظالمين ، ويا شعوبا ساقوها فى الماضى إلى حتفها ، ويا شعوبا جردوها على الدوام من حقوقها ، ويا شعوبا منعت من تقرير مصيرها .

اليوم يفتح لكم التاريخ بابه الكبير لتصلوا إلى الحق ، ولتتعموا بالعدل ومن أمامكم جبهتكم المسلحة ، تضرب فى الحال وبلا هوادة أو مراوغة ، العدو أن حاول غلق الباب !

نحن لا نهدد مصير أحد ، ولا نريد اغتصاب حقوق الغير ، نحن العرب نريد الحرية ، نريد العدل ، نريد احترام حقوق الإنسان ، نريد كما قال سعود والقوتلى وجمال ، فى بيانهم التاريخى العظيم ،

العمل للسلام ، وتحقيقه والمحافظة عليه بالتعاون الصادق بين الدول على أساس الاستقلال والمساواة التامة .

نريد كما قال سعود والقوتلى وجمال فى بيانهم المشترك ، تنفيذ قرارات باندونج ، وتجنب الأمة العربية مزار الحرب الباردة ، وحفظ كيان الأمة العربية ، والدفاع عنها ضد أخطار العدوان الصهيونى ، والسيطرة الأجنبية !

نريد كما قال الثلاثة الكبار ، الدفاع عن الدول العربية كلها ، على هدى أمنها الحقيقى ، وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية ، تلك الأحلاف التى تستخدمها الدول الكبرى لخدمة مصالحها الذاتية ، مضحية فى سبيل ذلك ، بقضايانا وأمانينا ، وحقوقنا نحن العرب ! أن أردتنا - نحن الشعوب العربية - هى التى أوجدت الجبهة العربية المسلحة ، هى التى جعلتها أمرا محتوما .

استمعوا إلى الثلاثة الكبار ، وهم يقولون :

" لقد شد من عزمنا ، وقوى روحنا ، ما لاحظناه بارتياح ، من زيادة الوعى الوطنى فى الأمة العربية ، وأنا لننظر فى أعجاب واطمئنان ، إلى الدور العظيم ، الذى اصبح الرأى العام العربى ، يقوم به ، فى توجيه الحوادث ، بيقظة مستنيرة ، وشجاعة حكيمة ، واستطعنا بذلك ، أن نجمع أردتنا على خطة كاملة ، نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت .

يا عرب ، نحن الشعوب العربية ، ولا أحد غيرنا ، الذين نوجه الحوادث ، وذلك هو دورنا العظيم .

لم يعد هناك من يستطيع فرض أرادته علينا .

لم تعد وحدتنا مزيفة ، أنها اليوم حقيقة ، لأن الرأي العام العربى ،
النابض بمصالح العرب ، هو الذى صنع الجبهة العربية الجديدة
المسلحة .

صنعها وحدد خططها وبرنامجها فى العمل ، كما حدد أهدافها .
أن إرادة الشعوب اليوم ، هى التى تحدد كل الطرق أمام الحكام
والقادة .

أما الذين لا يؤمنون بهذه الإرادة ، ولا يحترمونها ، فخططهم
وبرامجهم وأهدافهم ، لا يمكن بأى حال ، أن تخرج عن نطاق
الورق ، والحفلات والمآدب والخطب الرنانة !

مثل جبهة بغداد - تركيا - إيران - باكستان - بريطانيا ، التى
تزداد مقاومة شعوب تلك البلاد لها ، وتتحين الفرص لكى تهدمها ،
وسوف تهدمها بلا جدال !

يا عرب يا شعوبا انتظرت آلاف السنين ، يومها فى العدل ، ويومها
فى الحق ، وساعتها فى تقرير المصير ، نحن اليوم لا ننتظر ، بل
نتقدم ، والذى سيعترض الطريق ، صهيونيا كان أم حليفا
للصهيونية فسيرى شيئا جديدا ، لم يخطر أبدا على باله ، سيرى
الجبهة الجديدة المسلحة ، التى ستضرب فى الحال ، لأنها من صنع
الشعوب وليست من صنع أعداء الشعوب !

الله أكبر ، والحمد لك يا رب العرب .

أرادة شعب

سبحان الذى يغير ولا يتغير

أنا نذكر ولا نستطيع أن ننسى

أنا نذكر تلك الأيام الخالية التى تبدو الآن بعيدة جدا لأعين الناظرين ، رغم أنه لا يفصل وبيننا وبينها سوى عدد قليل جدا من السنين .

أنا نذكر أياما سوداء حالكة السواد ، لم تضى عليها سوى سنوات تعد على أصابع اليد ، كانت مصر فيها بلد النفوذ الأجنبى – رغم المعاهدة والاستقلال ورغم الأحزاب والبرلمان فكانت الكلمة الأولى فى تسليح الجيش كلمة الأجنبى وكانت الكلمة الفاصلة فى سياستنا الداخلية للأجنبى وكانت المشورة النافذة فى سياستنا الخارجية للأجنبى .

إذا أرادت مصر زيادة عدد الجيش المصرى وسلاحه صدرت الأوامر لإحدى المدمرات بالتحرك من مالطة إلى الإسكندرية ، فترتعد فرائص العرش والوزارة والبرلمان ، ويصبح مشروع التجنيد والتسليح طعما للنيران أو على الأقل للنسيان .

وإذا عرض للبحث قانون يتعلق بالأمن العام ، زادت عيون المستعمر احمرارا ، فازدادت وجوه الحكام المصريين اصفرارا ، وطويت صفحة القانون إلى أجل غير معلوم .

وغذا أطبقت جيوش مصر والعرب على الصهيونيين فى تل أبيب ، صاح الأمريكيون والفرنسيون ، والبريطانيون ، صيحة الفرع

والجزع لمصير ربيبتهم إسرائيل ، فلا يلبث حكام مصر من أكبر كبير فيه إلى أصغر صغير ، أن يصدعوا بالأمر ، ويعلنوا الهدنة الآتمة التي لولاها لما كانت لإسرائيل صلة بالحوادث فى هذه الأيام إذ أنقذتها الهدنة المشنومة من حكم الإعدام . . .

وإذا احتدمت المناورات السياسية ، اهتزت مقاعد الحكم تحت أحدى الوزارات الحربية ، كانت كلمة الأجنبى هى وحدها فصل الخطاب وأصبحت عبارة " لا تغيير " تجرى على أسنة النواب والوزراء بالعبارة الإنجليزية المشهورة No Changa .

هذه أيام لا تزال نذكرها ولا ننساها .

ويبدو أن الإنجليز والأمريكيين أيضا يذكرونها ولا ينسونها ، والفرق بينا وبينهم أننا نعلم أنها أيام ذهبت إلى غير رجعة ، وهم يتصرفون وكأنهم يعيشون فى تلك الأيام !

وعلى ضوء هذا الفارق الجسيم نستطيع تفسير الضجة المرذولة التى جلجت فى عواصم الدول الغربية حول صفقة السلاح المصرية التشيكوسلوفاكية .

كأنما تعيش مصر اليوم كما عاشت بالأمس تابعة ذليلة لمشينة الأجنبى ، وتدخله فى أخص شئونها وأقدس حقوقها كدولة مستقلة ذات سيادة وكرامة.

ولو أدرك الفرسان الصاخبون الحائقون إن مصر تعيش فى عهد الثورة والاستقلال لا فى عهد الانحلال والاضمحلال لكانوا فى غنى عن تدبير هذه المظاهرة الشائنة التى لا تقدم ولا تؤخر ، بل تزيد مصر تمسكا باستقلالها وتزيد المصريين حرصا عليه لا يعدله إلا حرصهم على الدماء التى تجرى فى عروقهم .

ألا فليعلم فرسان العالم الحر أن مصر المستقلة فى عهد الثورة أصبحت حرة مطلقه الحرية تفعل ما تشاء ، وتعقد من الاتفاقات والصفقات ما تشاء ، ، وتبحث عن مصالحها قبل كل مصلحة أخرى فى عالم أصبحت مصالح الشعوب فيه مقدمة على كل شئ .

ألا فليعلموا أن الدنيا أصبحت غير الدنيا ، وأن مصر الحرة المعتزة بحريتها واستقلالها وكرامتها لا تقبل وصاية من أحد ، ولا تسمح لأحد أن يضعها تحت رحمته أو يفرض عليها أرادته .

وهى قد اتخذت موقفا لا سبيل إلى زحزحتها عنه ولا جدوى من محاولة التأثير عليها ، بالتهديد والوعيد .

أن مصر فى عهد الثورة لا تأتمر إلا بإرادة شعبها وقد ذهبت أيام الحكومات الحزبية التى كانت تنحنى لإرادة الأجنبي وترتعد فرائصها أمام التهديد والوعيد ، وأصبحت مصر حكومة تحكم حقا باسم الشعب ، بواسطة حكام من صميم الشعب لا يعترفون إلا بإرادة الشعب التى ليس بعدها ولا فوقها إرادة .

لماذا رفضت مصر المعونة العسكرية الأمريكية

* فى 29 إبريل سنة 1952 وقبل قيام الثورة بحوالى ثلاثة أشهر عقد اتفاق خاص بين الحكومة المصرية والحكومة الأمريكية لشراء الأسلحة من الحكومة الأخيرة نتيجة لحوادث 26 يناير سنة 1952 لأمداد مصر بالأسلحة الخاصة بأغراض الأمن الداخلى فقط .

* بعد قيام الثورة طلبنا من الحكومة الأمريكية أسلحة للجيش بناء على هذا الاتفاق ، وقد أبدت الحكومة الأمريكية فى ديسمبر 1952 استعدادها لامداد مصر بالأسلحة على أساس الدفع نقدا . . . ولكن * بعد مفاوضات طويلة ومباحثات لا تنتهى - على الطريقة الأمريكية - رفضت الحكومة الأمريكية طلب مصر بحجة أنها لا يمكنها تزويد مصر بالسلاح طالما لم تحل مشكلة قناة السويس ، وقطعت المباحثات من جانب الحكومة الأمريكية فى فبراير سنة 1953 .

* ثم تجددت فى أغسطس سنة 1954 حينما عرضت الولايات المتحدة مشروع اتفاق المعونة العسكرية . . . وقد رفض هذا الاتفاق من جانب مصر .

* لأنه يفرض قيودا وسيطرة اقتصادية وعسكرية وسياسية على مصر واستقلالها وكرامتها .

* أما القيود العسكرية فتتمثل فى إرسال بعثات عسكرية أمريكية للإشراف على التدريب وصيانة الأسلحة ، وبالتالي لفرض النفوذ

داخل القوات المسلحة المصرية ، وعهدنا بالبعث البريطانية المشهورة قريب .

* وأما القيود الاقتصادية فتمثل فى أن تتعهد مصر بعدم بيع أية مواد استراتيجية للكتلة الشيوعية ، ونظرا لأن قائمة المواد الاستراتيجية المحظور على مصر تصديرها إذا وقعت مثل هذا الاتفاق تشمل محاصيل مصرية يقوم عليها الاقتصاد القومى فأن نتيجة ذلك التوقيع تصبح سيطرة أمريكا وتحكمها بموجب الاتفاق فى كيان البلاد الاقتصادى .

* وما من شك فى أنه إذا تمكنت الحكومة الأمريكية من السيطرة على قواتنا المسلحة من خلال الخبراء والبعثة وتمكنت من فرض سيطرتها على سياستنا الاقتصادية بتحكمها فى كيان البلاد الاقتصادى ، فأن النتيجة الحتمية لذلك هى السيطرة السياسية على مصر أيضا .

لهذه الأسباب رفضت مصر عقد هذا الاتفاق ، وطلبت أن لا توضع أية شروط لتسليح الجيش المصرى .
بل أكثر من ذلك .

تنازلت مصر عن هذه المنح وطلبنا بأن نشترى السلاح بحر مالنا دون التزامات وعلى أسس تجارية بحتة .
والآن يطيب لى أن أسجل على البيان الذى أصدرته السفارة الأمريكية ما يأتى :

* أعترف البيان بأن طلب مصر شراء الأسلحة من أمريكا دون عقد اتفاق عسكرى قد قوبل باهتمام من أمريكا بعد تسوية مشكلة قناة السويس .

ولقد سويت المشكلة منذ سنة ، فهل لى أن أتساءل عما إذا كان هذا الاهتمام جديا ؟

وإذا كان كذلك ، هل تستدعى دراسة هذا الموضوع كل هذه المدة والحكومة الأمريكية تقول أنها كانت معنية به ؟ أم أن الأمر هو التسويف المتعمد !

* ذكر البيان أيضا أن سياسة الحكومة الأمريكية بنيت على ما جاء فى الميثاق الثلاثى عام 1950 وأن أمريكا تبيع الأسلحة لمصر ولإسرائيل وفقا لهذه السياسة .

والله صحيح ؟

فأن أمريكا لم تورد لمصر أية قطعة من السلاح ، ومعنى ذلك أن البيع كله لإسرائيل ، ولإسرائيل فقط .

والسؤال الآن :

ماذا أريد بهذا البيان ؟

هل هو الدفاع عن السياسة الأمريكية ؟

أم هو التأييد المطلق لموقف مصر ، وصرخة جمال ، وثورة العرب على هذا الخداع ؟

قصة السيطرة والتحكم

أننى أعتبر بحق أن صفقة الأسلحة المصرية نقطة تحول خطير فى مستقبل هذا الجزء من العالم وأخطر ضربة وجهت للاستعمار وسياسة مناطق النفوذ التى طبقتها الدول الكبرى منذ أكثر من قرن مضى .

ولعل هذا هو السر فى انفلات أعصاب ساسة الغرب وصحافتهم على نحو بلغ حد الهذيان أول الأمر ، ثم لم يلبثوا أن خانتهم أعصابهم فاعترفوا صراحة ولأول مرة علنا أمام العالم بحقيقة نواياهم التى طالما ضللوا عنها الشعوب وقت أن كانت أقدامهم راسخة وكلمتهم هى العليا فى هذه المنطقة ، ومناطق أخرى كثيرة من العالم .

ومنذ أن أذاع جمال خطابه التاريخيين فى معرض القوات المسلحة ثم فى الكلية الحربية والعالم يشهد افتضاح أكبر مؤامرة عرفها التاريخ منذ عهد ما بعد الميلاد على لسان أطراف هذه المؤامرة . بدأت هذه الفضيحة عندما قامت قيامة السياسيين الغربيين وصحفهم غداة خطاب جمال عبد الناصر الأول لتنادى بأن المسألة هى مسألة التوازن الذى سيضيع والذى تعهد به الفرسان الثلاثة وكانوا أول من خرقوه كما قالت المستندات .

ولكن جمال قال :

— هراء . . . أن الأمر أمر السيطرة والتحكم وفرض النفوذ

وهاجوا وماجوا لما أن أنفضح أمر التوازن الذى يساؤون فيه بين واحد وبين ثمانيين .

وتنبه الساسة والصحافة فجأة إلى حجة جديدة لعلها تكسب هذه المرة فقالوا أن الخطر الدايم هو فى سباق التسلح . . . لأن مصر تريد أن تؤمن نفسها وحدودها ضد العدوان .

ومرة أخرى قال جمال :

— هراء أيضا ، أن الأمر أمر السيطرة والتحكم وفرض النفوذ . فلما يئسوا من هذا الخداع راحو يضربون على نعمة جديدة هى البقاء على السلام الذى أصبح مهددا لأن مصر يجب أن لا تسلح جيشها ليرد العدوان بل يجب أن تستسلم لاعتداءات إسرائيل ، وتفوق إسرائيل الذى كانوا يباهون به علنا وفى غير حياء بالمقالات وبالرسوم .

السلام الذى يحققونه فى شمال أفريقيا بقوات حلف الأطنطلى ، وبدماء شعوب عزل من كل شئ إلا الأيمان .

والسلام الذى تريده إسرائيل اعتداء كل يوم وتوسعا فى كل اتجاه . ولكن جمال صمم قائلا :

— هراء ، أن الأمر أمر ليس أمر السلام وإنما هو أمر السيطرة والتحكم وفرض النفوذ .

وظل جمال صلبا ثابتا

وبدأ القوم فى الانهيار

لتظهر الحقيقة

لقد تحولت النعمة إلى :

* عويل لأن الفنيين الروس سيقدّمون مع السلاح وسيسيطرون على القوات المصرية أو على أقل القليل سيتعاملون مع مصر .
* وفي المرحلة التالية هذا معناه تسرب الشيوعية والنفوذ الشيوعي إلى مصر البريئة التي يريدون لها الخير طول عمرهم !
* ثم " قطع الغيار " وكيفية استخدام السلاح أن كل هذا يتطلب اتصالاً وثيقاً بين مصر وبين الكتلة الشيوعية وظل جمال صلباً ثابتاً على رأيه وموقفه .

إلى أن أنكشف كل شيء
أنهم اليوم يقولون علنا أن هذه الصفقة لطمة لنفوذ الغرب في هذه المنطقة واستمع معي إلى جريدة التيمس الإنجليزية الوقورة تقول في عددها الصادر في 12 أكتوبر سنة 1955 ما يأتي بالحرف الواحد :

" كانت الدول العربية إلى الآن بمثابة الأوصياء الوحيديين في تلك المنطقة والسلطة التي كان يباشرها في الأراضي العربية بل الحاكم الأوحده في الشرق الأوسط .

" أن حاجات الغرب الاستراتيجية وثروة الزيت التي يملكها منذ فترة الحرب العالمية الأولى ، وعناية الغرب بأن يحافظ على التوازن المضطرب بين إسرائيل والعرب ، كل هذا مجتمعا جعل الدول العربية تنظر إلى الشرق الأوسط بوصفه منطقة نفوذها .
وقالت النيويورك تيمس :

" من السخف أن يتمسك المصريون بقولهم أنه ليس من شأن أي أحد سواهم أمر الحصول على الأسلحة سواء من الجهة أو النوع الذي يريدون "

أذن فالقضية ليست قضية التوازن ولا سباق التسلح ، ولا السلام ،
ولا الفنيين الروس ولا قطع الغيار وكيفية استخدام السلاح .
وأما القصة هي كما صمم عليها جمال من أول يوم إلى أن اعترفوا
بها صراحة اليوم .
قصة السيطرة والتحكم وفرض النفوذ .
لقد كان السلاح هو الثر الباقي من آثار السيطرة الغربية في هذه
المنطقة ، وعن طريق التحكم في السلاح استطاع الغرب أن يعقد
حلفه مع نوري السعيد ، الذي يبرره نوري السعيد إلى اليوم بشيء
واحد فقط هو أنه كان الوسيلة الوحيدة للحصول على السلاح .

على حساب مصر

. . . وقال جمال للسفير الأمريكى

— هل تعلمون فى أمريكا حقيقة نوايا إسرائيل التى عبرت عنها
خطب زعمائها فى معركة الانتخابات ؟
" أن مناحم بيجين ينادى بالتوسع حتى تشمل إسرائيل الأرض التى
وعدوا بها منذ ألفى سنة أو يزيد تمتد من النيل إلى الفرات .
" وبن جوريون ، أنه الآخر يقول هذا متوعدا العرب بالعقاب
والتأديب "

كان هذا الحديث يدور بين جمال والسفير الأمريكى أيام الانتخابات
التي كانت تجرى فى إسرائيل ، وكان جمال يوضح فى كل كلمة منه
الخطر الذى يهدد مصر والذى ظهر واضحا فى هذه النوايا
العدوانية التى أعلنت وقت المعركة الانتخابية ، والتي تعمل إسرائيل
على تحقيقها عن طريق التسليح والاستعداد الذى يجرى على قدم
وساق .

ثم قال جمال :

— أن إسرائيل تحاول أن تسليح جيشها بصورة تشعرنا بالخطر ، فى
الوقت الذى تشعر فيه الصحف الأمريكية جميعا بالتباهى بأن جيش
إسرائيل بلغ المائتين والخمسين ألف جندي ، وأن لديه من العدة
والعتاد ما يمكنه من هزيمة الدول العربية مجتمعة .
أنى أطلبكم بالسلاح منذ ثلاثة أعوام ، وأنا اليوم أشعر بالخطر
يهدد بلادى ، وأنا أطلب اليوم طلبين

أولهما : السلاح

وثانيهما : ما هو حقيقة رأى الحكومة الأمريكية فى إمدادنا بالسلاح
كان يدور هذا بخلدى وأنا أقرأ جريدة الواشنطن بوست الأمريكية
فى عددها الصادر فى 18 نوفمبر سنة 1955 .

أن الجريدة تقول :

" أن الأسلحة التى ستستوردها مصر ستستعمل ضد إسرائيل ، وإذا
ما أرادت أمريكا أن تحول بين كسب مصر الحرب ضد إسرائيل
فعلينا أن تقدم أسلحة إلى إسرائيل تفوق ما تستورده مصر من
الكتلة الشرقية .

" وتواجه وزارة الخارجية الأمريكية الموقف الذى يحتم عليها أما
أن تناصر مصر أو تناصر إسرائيل ، ولا يمكن لأمريكا أن تضحى
بإسرائيل فى سبيل كسب رضاء مصر .

" أن إسرائيل لن تموت أبدا ولذلك فإن ازدياد السكان فيها ليس إلا
نتيجة واحدة هى أن توسع حدودها على حساب مصر "

لقد تنبه جمال منذ زمن طويل لهذا الذى أفصحت عنه هذه الجريدة
، بل وواجه به أمريكا .

تنبه جمال إلى أن أمريكا ستضحى بالعرب فى النهاية تحت ضغط
الصهيونية العالمية ، وكان أفصح دليل على ذلك تدفق السلاح على
إسرائيل ومنعه عنا وعن العرب أجمعين .

واليوم حين تقول النيويورك بوست أن أمريكا لا يمكن أن تضحى
بإسرائيل فى سبيل كسب رضاء مصر فإنها لا تقول شيئا جديدا ،
أنها تحقق كل ما أحسنناه وتخيّلناه فى سنة 1948 ونحن نحارب
فى فلسطين .

لقد كنا نحس ونحن نحارب في فلسطين أن هناك مؤامرة كبرى للقضاء على القومية العربية ، تسندها أمريكا ، ويدفع بها النفوذ الصهيوني ، والمال الصهيوني .

وأحسنا أيضا أن إسرائيل لن تقف عند حد .

ونحن نذكر جيدا كيف كانت أمريكا تدفع إسرائيل للقضاء على القومية العربية سنة 1948 .

نحن نذكر ذلك المؤتمر الصحفى الذى عقده السيد ترومان قبل مايو سنة 1948 ليقرر سياسة أمريكا ، وقيل له يومئذ

— وماذا يكون موقفك من العرب إذا عاونت اليهود ؟

فقال ترومان :

— وهل يوجد عربى فى أمريكا ؟ أن فى أمريكا خمسة ملايين صوت يهودى أنا فى حاجة إليها ؟

وهكذا قرر ترومان رئيس أمريكا وقتذاك أن يضحى بالعرب من أجل أصوات اليهود فى الانتخابات !

يا إلهى .

هل بعد كل هذا يتصورون أن نترك مصيرنا ومقدراتنا لكى يضحى بها ترومان يوم أن يعود أو من يشبهه أو يقل أو يشتد تطرفا عنه ؟

لقد كان الغرب يحاول خداعنا دائما بالوعود وسياسية التهدة التى حاول دائما أن يغطى بها لعبته .

ولكننا كنا نحس بالخطر ونلمسه ولذلك طالب جمال بالسلح فى إصرار .

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد حاولوا إغراءنا بالوعود ، فى الوقت الذى ينهال فيه السلاح والهبات والتبرعات على إسرائيل حتى وقف بن جوريون ينادى بخطته التى تهدف إلى تجمع يهود العالم فى إسرائيل ، وأنه سيسكن فى النقب أربعة ملايين يهودى جدد ، وأنه سيعمل على تحويل مياه نهر الأردن لهم .

وتطابقا لهذا الكلام تقول الواشنطن بوست : " أن إسرائيل لن تموت أبدا وأن ازدياد السكان فيها ليس له إلا نتيجة واحدة هى أن توسع حدودها على حساب مصر ، لا أمريكا .

أنا نتسلح اليوم لكى لا نسمح بهذا أو شبيهه وأنت تجهلين يا أمريكا تمام الجهل قوة العرب ونفسية العرب ، فقد نتقبل الإساءة ، ولكن إلى حين .

أذكرى يا أمريكا أن مصر قد حمت أوروبا من التنازل وأن مصر تحت قيادة صلاح الدين هزمت جيوش ريتشارد وأن مصر اليوم رجل واحد ، ومصممة على أن تدافع عن نفسها ضد العدوان الإسرائيلى ، فى كل أشكاله .

وأن مصر تعلم أيضا أنها فى دفاعها هذا تجابه قوى إسرائيل وحلفاء إسرائيل والصهيونية العالمية بنفوذها وأموالها وإغرائها وتهديداتها التى تعرفينها جيدا يا أمريكا .

أن مصر ستتصر يا أمريكا لأنها تؤمن بنفسها . وقد احتلت مكانها بكفاحها لا بالسيطرة والعدوان .

فهلا تعتبرى بعد يا أمريكا بما يحيط بك من كراهية وحقد فى كل مكان .

28 فبراير سنة 1955

من كان يتصور منذ سنين – أى فى فبراير 1955 – أن فى يوم من أيام ذلك الشهر سيبدأ تاريخ جديد للعالم كله ؟
أننى أذكر جيدا ذلك اليوم ولن أنساه ، ويذكره معى كل مصرى وكل عربى وكل إنسان حر فى أية بقعة من بقاع هذا العالم.
أنه يوم 28 فبراير سنة 1955

لقد أعد بن جوريون لذلك اليوم مفاجأة أراد بها أن يفرض الصلح فرضا على العرب وهو الشعار الذى أتخذه لنفسه فى إسرائيل، وكان بن جوريون وزيرا للدفاع ، فأمر قواته بضرب المدنيين فى غزة بنفس أسلوب الجبن الذى تجيده إسرائيل وذلك بأن تصوب المدافع من أرض فلسطين المحتلة إلى مدينة غزة ثم تطلق قذائفها وتهرب من مواقعها لتحتوى داخل إسرائيل وكان بن جوريون يعتقد أنه بهذه الضربة إنما يرهب مصر ويخوفها ، ولم يقدر مطلقا أن هذه الضربة كانت هى نقطة التحول الفاصلة فى الصراع المحتدم على أرض العرب .

ففى مصر لم يخف أحد ، ولم يرتعب أحد وإنما بدأت تنكشف لنا حقيقة ما يراد بالعرب وأرض العرب واستقلال العرب .
كان أول هذه الحقائق هو تعمد منع السلاح عن مصر وإعطائه لإسرائيل.

ومصر لم تطلب فى يوم من الأيام هبة من أحد ولا معونة من أحد ، وإنما كانت مصر تطلب شراء السلاح بحر مالها ، طلبته

مصر من بريطانيا فسوفت وماطلت برغم أنها كانت قد قبضت الثمن مقدما ، وطلبته من أمريكا فتظاهرت بالموافقة ولكنها كانت تصطنع الحجة تلو الحجة لكي لا ترسل السلاح من جهة ولا ترفض من جهة أخرى .

احتجت أول الأمر بالنزاع الذي كان قائما بين مصر وبريطانيا قبل الجلاء ، ولكنها حين وجدت أن اتفاقية الجلاء قد أمضيت عادت فأحتجت بمختلف الحجج إلى أن كان اعتداء 28 فبراير المشهور . وكان ثانيا هذه الحقائق هو أن عملية بيع السلاح أصبحت عملية مساومة سياسية بدلا من أن تكون تجارة حرة شريفة .

فقد كان الغرب يتوهم أنه الوحيد الذي يملك السلاح وأنه هو المتعهد الوحيد لبيعه في هذه المنطقة ، بل كان يتوهم أكثر من ذلك أن العرب في سبيل حصولهم على السلاح منه سيدفعون أن آجلا أو عاجلا ثمنا آخر إلى جانب الجنيهاات .

ثمنا من استقلالهم ، وثمنا من حريتهم ما دام المتعهد الوحيد يصر على ذلك ، وما دام تهديد إسرائيل قائما .

أما ثالث هذه الحقائق فهو أن الغرب نشط فجأة في المنطقة وبدأ ينفذ خطة السيطرة الفعلية عليها عن طريق تكوين حلف بغداد لقد تكون هذا الحلف في شهر يناير سنة 1955 واعتدت إسرائيل في الشهر التالي أي فبراير سنة 1955 ، ولم تكن هناك حاجة إلى ذكاء أو مهارة لكي يستطيع الإنسان أن يحسب الحسبة .

ففي الوقت الذي ترفض فيه بريطانيا وأمريكا بيع السلاح لمصر بيعا شريفا على أساس تجارى بعد أن عرفت أننا سندفع ثمنه بالجنيهاات فقط لا بالاستقلال ولا بالسيادة ، راحت هاتان الدولتان

تبحثان عن يقبل أن يأخذ السلاح ويدفع الاستقلال ويضحى
بالسيادة .

أما رابع هذه الحقائق فهي أن الغرب الذي أقام إسرائيل على
حساب أرض العرب وعلى حساب مشرديهم ، يصر على أن يجعل
منها قاعدة لاستعمارها وفرض سيطرته .

فقد كانت النظرية التي يبرر بها الغرب قيام حلف بغداد هي
وجود خطر خارجي يهدد المنطقة من ناحية روسيا ، وعلى هذا
الأساس توهم الغرب أن العرب سيتوجهون بكليتهم إلى مجابهة
الخطر الروسي ويتركون الخطر الحقيقي الذي يقوم في قلب بلادهم
وهو إسرائيل، وعندئذ تستطيع إسرائيل أن تتوسع كما تشاء وأن
تفعل ما تشاء لأن حلفاءها هم حلفاء العرب ، والذين أقاموها هم
الذين يسطيرون على المنطقة بموافقة أهلها وبمضى الوقت طبعاً -
حسب خطة الغرب - وكان لا بد أن تنتهي المسألة بفرض الصلح
مع إسرائيل على العرب بغض النظر عن اللاجئين وعن حقوق
عرب فلسطين وعن ضياع فلسطين ذاتها وأجزاء أخرى من أرض
العرب .

كانت هذه هي أهم الحقائق التي أفصح عنها بن جوريون
باعتدائه يوم 28 فبراير سنة 1955 .

ومنذ ذلك التاريخ والحوادث تثبت صدق ما حدثناه .
فحين حطم جمال عبد الناصر أسطورة احتكار بيع السلاح
واشترى لمصر أحدث الأسلحة من غير قيد ولا شرط ، ثارت
بريطانيا وعصفت الهستريا بأمريكا .

وحيث كشفت مصر حقيقة حلف بغداد ثار الغرب ووصف مصر بأنها تمهد للشيوعية .

وحيث قالت مصر أن إسرائيل قاعدة للاستعمار وكشفت حقيقة الدور الذي أعدت له إسرائيل، هجمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في مؤامرة يائسة على مصر لكي يقضوا نهائيا على كل ما يعرقل خططهم ويكشف نواياهم ، ويحفظ عليهم قاعدتهم من أجل عدوان جديد .

ولا يزال الغرب يصر على عقليته وأخطائه .

ولا زلنا وسنظل نحارب من أجل سيادتنا واستقلالنا .

فلن نؤمن بخطر وهمى من خارج المنطقة والخطر الحقيقى جاثم فى داخلها .

ولن نسمح لقاعدة الاستعمار أن تحقق ما يريد من هنا الاستعمار .

أنها ذكرى 28 فبراير سنة 1955 .

الفصل السادس

العرب وإسرائيل

دروس فى التاريخ

أن إسرائيل ولدت فى حجر أمريكا
وبريطانيا وهيئة الأمم ، رغم تهرب الجميع
من أبوة هذا الوليد المشوه العرييد

عندما حضر جورج ألن مساعد وزير الخارجية الأمريكية إلى
مصر كانت مهمة الرئيس جمال هى أن يدرس الجغرافيا لفرسان
العالم الحر ، وأن يضع فى رؤوسهم حقيقة جغرافية ، يجب ألا
ينسوها وهى أن عاصمة مصر هى القاهرة لا واشنطن ولا لندن ولا
باريس ولا موسكو .

فالقاهرة ، والقاهرة وحدها هى التى ترسم وهى التى نفذ
السياسة الكفيلة بتقوية جيشها وضمان سلامتها دون حاجة إلى
مشورة أو تدخل أو رقابة أو وصاية من أية دولة أجنبية فى الشرق
أو الغرب .

ولكن يبدو أن ساسة الغرب ليسوا ضعفاء فى علم الجغرافيا
وحده ، بل هم أشد ضعفا فى التاريخ !

فقد جاء فى تصريح لمستتر ألن أن تبعة إنشاء دولة إسرائيل
تقع على عاتق نزعة العداة للسامية عند هتلر ، وسياسة الإبادة
الشاملة التى اتبعها الدكتاتور النازى مع اليهود .

هذه هى النظرية العجيبة التى يسوقها مساعد وزير خارجية
أمريكا ، لتبرير فاجعة فلسطين التى يتضاعل بجانبها كل ما ينسبه
الصهيونيون لهتلر من مظالم واضطهادات .

وقد يكون من العسير أن يطالب أحد ساسة أمريكا المشغولين بالدولار والقنبلة الذرية أن يعودوا إلى المراجع التاريخية ليستذكروا أدوار الحركة الصهيونية ، وأساليبها الجهنمية لتحقيق أهدافها القائمة على التعصب والتآمر والعدوان .

ولكن إحدى المجالات الأمريكية ذات النزعة الصهيونية المعروفة - كتسعة أعشار زميلاتها الواقعة في برائن الأخطبوط الصهيوني - قد أغنتنا ، وأغنت المستر (ألن وشركاه) عن مشقة الرجوع للكتب والوثائق ، في آخر أعدادها وهو المؤرخ بتاريخ 24 أكتوبر 1955 إحصائية عنوانها (الطريق الطويل إلى الوطن اليهودي ، ومن هذه الإحصائية ، البليغة الغنية عن التعليق : يتبين أن أول مؤتمر صهيوني عقد في سويسرا سنة 1897 - أي قبل أن يتولى هتلر حكم ألمانيا بنحو ست وثلاثين سنة !
أما بقية الإحصائية فتقول :

سنة 1917 : تصريح بلفور بأن بريطانيا تنظر " بعين العطف لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين "
سنة 1920 : عصبة الأمم تعهد إلى بريطانيا بالوصاية لتنفيذ وعد بلفور (اعتبارا من سنة 1923)
سنة 1922 : الكونجرس الأمريكي يوافق بالإجماع على وعد بلفور .
سنة 1937 : اللجنة المؤلفة لتحقيق حوادث العنف توصي بتقسيم فلسطين .

سنة 1939 : بريطانيا العظمى تعرض الاستقلال فى عشر سنوات ، على أن يشترك اليهود والعرب فى تأليف الحكومة ، رفض المشروع ، قيام الحرب العالمية الثانية .

28 ابريل سنة 1947 : هيئة الأمم تؤلف لجنة لبحث المشكلة

29 نوفمبر سنة 1947 : هيئة الأمم تقرر التقسيم ، العرب يقاومون ، بدء المناقشات .

14 مايو سنة 1948 : إعلان قيام حكومة إسرائيل ، الولايات المتحدة تعترف بها (فى اليوم نفسه)

15 مايو سنة 1949 : إبرام الهدنة طبقا لشروط هيئة الأمم

11 مايو 1949: قبول إسرائيل فى هيئة الأمم

سنة 1950 : توازن التسلح فى الشرق الأوسط

هذه هى التواريخ التى أثبتتها المجلة الأمريكية ، نقلتها دون تعديل أو تبديل ، بما فيها الإشارة الأخيرة إلى ضمان " توازن التسلح فى الشرق الأوسط " ، وهو الضمان الذى يحاولون الاستناد إليه فى الحجر على حرية مصر والدول العربية فى تقوية جيوشها ليتم التوازن بمعناه الصحيح بين المليون ونصف المليون أفراق الذين يغتصبون قطعة من فلسطين ، وبين العرب الذين يبلغ تعدادهم - بما فيهم عرب شمال أفريقيا - نحو الثمانين مليوناً !

و غاية الرجاء هو ألا تحول مشاغل مستر ألن ومستر دالاس وزملائه فرسان العالم الحر ، دون مطالعة هذه الإحصائية الصحفية التاريخية ، ليعلموا الحقيقة التى يتصلون منه ويحاولون الاختفاء وراء هتلر ومظالمه واضطهاداته التى يتحدثون عنها ، ويعاقبون

العرب عليها ، وهى ان إسرائيل ولدت فى حجر أمريكا وبريطانيا
وهيئة الأمم ، رغم تهرب الجميع من أبوه هذا الوليد العرييد
وبعد

فان فرسان العالم الحر يحتاجون إلى دروس فى الجغرافيا
ويحتاجون إلى دروس فى الجغرافيا ويحتاجون إلى دروس فى
التاريخ

فماذا تعلموا ؟ وبأى حق يريدون من العالم أن يقر سياسة
قوامها الجهل ، والهوى ، والعناد ؟

حكاء صهيون

الذى يقرأ تصريحات موسى ديان قائد الجيش الإسرائيلى بعد التسلح المصرى لابد يبكى معه على إسرائيل الطيبة المسكينة أنه يقرر فى أول حديثه أن فرص إسرائيل لتكسب حربا ضد الدول العربية أو حتى ضد مصر وحدها تتضاءل شهرا بعد شهر كلما تلقت مصر أسلحة ثقيلة من تشيكوسلوفاكيا ودربت جنودها على استخدامها

ثم يتابع حديثه فى ذلت ومسكنه ، فيقول : " لا نمتلك الدبابات السنطوريون البريطانية ولا الباتون الأمريكية ولا الدبابات الروسية الثقيلة . هذه هى خير دبابات العالم " ويستمر فى استعراض مختلف الأسلحة التى لا يملكها جيش إسرائيل على صورة تشعرك بأن جيش إسرائيل يستحق منك الرثاء والعون

هذا هو اللون الجديد من ألوان الدعاية الصهيونية التى تتلون وتتشكل بهدف واحد ، هو استجداء العطف والنقود من كل مكان كنت أقرأ هذه التصريحات وأمامى دوسيه يحوى ضمن ما يحوى بروتوكولات حكاء صهيون

وقصة هؤلاء الحكماء مشهورة ، فقد وضعوا للصهيونيين مبادئ يسيرون عليها ، لها عندهم قداسة الكتب المقدسة عندنا ، ولكن ما تحويه أمر فظيع وخطير لا يكاد يصدق العقل ولن أستطيع أن أورد فى هذا المكان نصوصها لضيق الحيز ، إلا أننى سأوحد أن

أتناول مبادئ منها تلقى ضوعاً على سلوك إسرائيل وسياسة
إسرائيل

لقد بنى الحكماء وصاياهم على مبادئ وصفوها بأنها نزلت
من عند الرب ، ولذلك فلن تقبل النافشة بل هي واجبة التنفيذ ،
ورتبوا عليها الوسائل لتحقيق هذه المبادئ على الأرض ...
فهم يقولون مثلاً : " أن الصهيونى من طينة الله ، وأن جميع
ما على هذه الأرض من كنوز وأرزاق هو ملك له ، وأن (الأسمى)
— وهو تعبير يطلق على المسلم والمسيحى وكل من ليس يهودياً
— لا حقوق له على هذه الأرض ، بل أنه خلق ليكون فى خدمة
الصهيونى ، وعلى ذلك فهم يقررون أن دم الأسمى حلال بل أن
الصهيونى ينال مثوبة عند الله إذا قتل الأسمى . . . "

وهذا هو أعجب ما يمكن أن ينصح به رجل دين ، الناس الذين
يتبعون هذا الدين .

فإن السماء لم ترسل الرسل والأنبياء والأديان إلا للعمران
والمحبة والسلام عن طريق تنظيم العلاقات بين الناس . . . وأكثر
من ذلك فإن هؤلاء الحكام يوصون الصهيونيين بأنهم قد لا
يستطيعون فى وقت من الأوقات أن يسيطروا على ملك هذا العالم
وأرزاقه وكنوزه ولذلك فهم ينصحونهم أن لا يياسوا بل عليهم أن
يكافحوا بكل السبل فى سبيل الوصول إلى أغراضهم وقالوا ونصوا
صراحة على أن الرشوة والخمر والنساء وسائل مشروعة ، بل
واجبة فى سبيل الوصول إلى هذه الأغراض .

ثم ينصحون بالتغلغل فى كيان الدول والسيطرة على موارد
المال فيها لأنهم بهذه الطريقة يسيطرون على اقتصاديات هذه الدول

إلى أن تأتي الساعة المناسبة فينقضوا عليها أو ينفذوا ما يريدون
فيها من السيطرة .

أرأيت أشنع من هذه الخطط المدمرة التى تصطبغ بصبغة
الدين والتعصب .

أننا نستطيع اليوم أن نلمس هذه الخطط التى تنفذ بكل دقة منذ
مئات السنين ، بل نلمس ثمارها فى كل أنحاء العالم على شكل
جاليات ومؤسسات صهيونية تؤثر وتتغلغل فى كيان كل دولة يعيش
فيها صهيونى واحد من غير استثناء . . .

لعل هذا يلقي ضوءا على المعركة التى تنشب اليوم بين الحق
والباطل ، وبين شريعة السماء وشرائع الغاب . . .

قصة معارك الحدود

أن المعارك التي نشبت على حدودنا الشرقية – صغيرة كانت أم كبيرة – هي في الواقع امتداد لكفاح هذا الشعب الباسل ضد أعدائه. أن ضباطنا وجنودنا الذين قاتلوا على الحدود لا يحاربون من أجل الدفاع عن تلك الحدود فحسب ، وإنما هم يدافعون اليوم عن حق هذا الشعب في الخلاص من السيطرة الأجنبية ومن الضغط ومن التحكم الذي طالما فرضته قوى الاستعمار .

فالذين استشهدوا وهم يقاتلون المستعمر بقيادة عرابي ، والذين لفظوا أنفاسهم برصاص الجنود الإنجليز في شوارع القاهرة ، وفي المدن ، وفي الحقول ، ثم بعد ذلك في القتال مع أم صابر ، والطفل نبيل منصور ، كل أولئك قد كتبوا بدمائهم سطورا في كتاب القضية المصرية وهو نفس الكتاب الذي يملكه جنودنا وضباطنا على الحدود المصرية وضد إسرائيل .

أن المعركة ليست معركة حدود ، وإنما هي معركة البقاء لهذا الشعب الطيب الذي تتآمر عليه قوى كثيرة من خارجه تدفع بعدوان إسرائيل على الحدود ، بعد أن فشلت في التآمر عليه من داخل الحدود .

فكيف انتقلت أذن معركة الشعب المصري ضد الاستعمار من

كفاح داخل الحدود إلى كفاح وراء الحدود ؟

اسمعوا القصة كلها وكيف بدأت

اسمعوا سر معارك الحدود

وكان أول فصل من فصول القصة يوم أن تقدمت دول الغرب إلى مصر بمشروعات الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط قبل توقيع اتفاقية الجلاء على أساس أن تكون حلا سعيدا موفقا لإنهاء الاحتلال البريطاني وبدءا لعهد جديد تنهال فيه المساعدات العسكرية والاقتصادية ويعم الخير مصر .. و .. و .. و .. و .. ورفض جمال مشروعات الدفاع والأحلاف هذه قبل اتفاقية الجلاء على أساس أن الشعب المصرى قال رأيه فيها منذ سنة 1951 ، ومن جهة أخرى قال للغرب بصراحة :

" أن مشاريع الدفاع والأحلاف هذه ما هى إلا صورة أبشع من صور الاحتلال والسيطرة التى سنقاتل إذا اقتضى الأمر للتخلص منها فهل تريدون منى أن أستبدل احتلالا بما هو أشنع مزن الاحتلال ؟ ماذا أقول للشعب ؟ "

وأسدل الستار على هذا الفصل وطلب الغرب أن يكون لهم رجعة إذا ما انتهت مشكلة القتال ووقع الاتفاق .

ثم كان اتفاق الجلاء .

وقال الغرب أنه بعد توقيع اتفاقية الجلاء أصبح الأمر أمر صداقة بعد عداوة وأنهم على استعداد لبحث طلبات الأسلحة التى كان جمال قد تقدم بها منذ الشهور الأولى لمولد الثورة ولكن هل صحيح كانوا يؤمنون بما يقولون ؟

أن الحوادث أثبتت بعد ذلك بجلاء عكس ذلك على طول الخط لقد تيقن القوم بعد توقيع اتفاقية الجلاء أن نفوذهم فى مصر أصبح وشيك الزوال أن لم يكن قد زال فعلا فعولوا على أن يلعبوا بالكارتر الوحيد الباقى وهو السلاح

نعم لم يبق في مصر أحزاب تتسابق لإرضائهم كما كان في الماضي على طريقة المزايدات التي كانوا يربحون فيها دائما ولم يبق في مصر ملك يفنى في سبيل إرضائهم أيا كان الثمن .
والعملاء ، لقد أحسوا كيف ضربت الثورة على أيدي عملائهم بحزم وشدة .

أذن لم يبق إلا الكارت الأخير وهو السلاح .
وكانوا قد تعلقوا طوال السنوات الثلاث الماضية بمختلف التعليلات لكي يسلحوا الجيش المصري .
وكانوا في نفس الوقت يغدقون السلاح على إسرائيل لكي تتم فصول المسرحية .

أن القوم – في سبيل إبقاء سيطرتهم على مصر – لم يباليوا بشيء على الإطلاق ، منعوا السلاح عن مصر وأعطوه لإسرائيل وشجعوا إسرائيل .

وآخذت صحفهم تشيد بقوة إسرائيل وتفوقها وضعف مصر والعرب وقصورهم في كل شيء .
وبدأت المساومة

وفي هذه المرة تقدموا إلى جمال بمشروع الأمن المتبادل فأذا ما وقعه فأن السلاح سيأتي من غير ثمن ولم يكن جمال ليرفض أبدا سلاحا لجيش مصر ولكن

رفض جمال العرض في غير تردد ولا هوادة ، فأن هذا العرض يحمل معه بشكل واضح التدخل والسيطرة عن طريق البعثة العسكرية الأمريكية التي هي شرط أساسي من شروط هذا العرض .

وما هو عمل البعثة ؟

أن عملها بالنص الصريح هو الإشراف على الأغراض التى
سيستعمل فيها السلاح ، وعلى التدريب .
وعلى قوات مصر المسلحة بالكامل !
" وكأنك يا أبو زيد ما غزيت "
رفض جمال لى لا يضع جيش مصر فى خدمة أحد غير مصر
ومصالح مصر .

ثم كان اعتداء 28 فبراير سنة 1955

وجمع جمال واحد زائد واحد ثم قدر . . . ؟ وصمم

أن زعماء الغرب وأصحاب التصريح الثلاثى لم يحركوا ساكنا
بعد ذلك الاعتداء المشهور برغم أن مجلس وزراء إسرائيل اعترف
به رسميا .

وطلب جمال السلاح هذه المرة ، ولكن بمنطق آخر

أن السلاح هو الأداة الوحيدة الباقية فى أيدي الغرب لفرض
النفوذ .

وهم لم يتورعوا أن يحرّموا مصر منه ويساوموا عليه فى
الوقت الذى لا يعنيه أن يموت هذا الشعب بأكمله أو يصبح أمة من
اللاجئين ، ولتتكرر اعتداء 28 فبراير على أشد صورة ، أن
دماء هذا الشعب وأرزاقه وأرضه ومقدراته لا تعنيهم وما داموا
يحرّموننا السلاح فأننا لا بد سنجتو على ركبنا نطلب منهم الحماية

وسندفع لهم أبدا ثمن هذه الحماية .

ومرة ثالثة ارتفع الستار على هذيان الغرب الجنونى الذى ملأ العالم يوم أن اكتشفوا أن " نقيبهم كان على شونة " وأن جمال حصل على السلاح الذى يريد بالشروط التى يريد .

فشل الغرب أذن فى كل حسابه . . .

وتلاشى إلى الأبد نفوذهم وسيطرتهم

وتكتلت الأمة العربية من أقصاها إلى أدناها وهى تحس

بالمرارة والحقد على الغرب ونفوذ الغرب وسياسة الغرب .د

وكان لابد لهم من مخرج . . . ماذا يفعلون ؟

. . . وأعلن عن سفر جورج ألن فجأة ليقابل الرئيس جمال

وصحب هذا الإعلان حملة من حرب الأعصاب التى تعود

الغرب أثارها على الشعوب الصغيرة بغية تفتيت مقاومتها وإثارة

الانقسام فيها لى يمهد عملاؤهم السبيل أمام طلبات الغرب فتنفذ

على الفور .

وكان خطأ فاحشا

لقد نسى القوم أن من فى مصر ثوار ليسوا حكاما ، ونسوا

أيضا أننا لا نعترف بنفوذ لأحد هنا سوى مصلحة مصر وحياة مصر

ونسوا أيضا أن سياسة التهديد لا تخيفنا بل تحفزا وتلهب

دماعنا .

لقد كان تهديدهم غرورا أجوفه قابلته مصر وصحافة مصر

بالتحقير والازدراء .

وسأكشف هنا عن موقف لجمال حقيق بأن يعرفه الناس اليوم

ففى هذه الأثناء كان يوجد فى مصر أحد الرسميين الكبار ،
فلما أعلن عن قدوم جورج بتلك الطريقة المسرحية المغرورة طلب
هذا الكبير الأمريكى مقابلة جمال وقال :

" لقد سمعتم اليوم عن سفر جورج ألن وأنا قادم إليك لأرجوك
أن لا تنفعل حينما يقابلك جورج ألن برسالة قد يكون فيها ما تعتبره
خروجاً على العرف أو تدخلاً ، فالقوم لا يعرفون حقيقة الموقف ولم
يسمعوا ما سمعته أنا منك

" أننى أرجوك وأناشدك أن تعطينا فرصة لأصلاح هذا الخطأ "

ونظر إليه جمال نظرة طويلة على طريقته الهادئة وقال :

" ليكن معلوماً أننى لن اسمح لكائن من كان أن يخرج عن
حدوده وسيكون ردى قاطعاً جازماً وعليكم أنتم أن تتحملوا التبعة "

وخرج الرسمى من عند جمال

وجاء ألن

وحينما قابل جمال لم يكن يحمل تهديداً ولا وعيداً بل بادر فور
وصوله مصر إلى تكذيب هذه الشائعات .

وفشلت حرب الأعصاب المغرورة الكاذبة .

وأستمع جورج ألن إلى جمال ، وذهل مما سمعه من بيانات

لقد أطلعه جمال على بيان دقيق عن كل ما شحن إلى إسرائيل
من معدات وسلاح من أمريكا وإنجلترا وفرنسا فى الوقت الذى منع
فيه هذا السلاح عن مصر عمداً وأعطونا بدلاً منه الوعود والأمانى
الكاذبة خلال ثلاث سنوات .

وسمع جورج ألن أكثر وأكثر

لقد كان جمال واضحا وصريحا ، وكان السفير الأمريكى فى مصر يؤمن على كل كلمة قالها جمال .
وعاد ألن إلى واشنطن ، وقبل عودته زار فى طريقه لبنان وقابل وزير خارجيتها فى ذلك الوقت السيد سليم لحود وقال له بالحرف الواحد :

" أننى بعد مقابلتى للرئيس جمال أقرر وأنا مطمئن تمام الاطمئنان إلى أن هذا الرجل لا يقول إلا الحقيقة ولن يقول فى أى يوم إلا الحقيقة ولكن الخبراء . . .
والحقيقة أنها ليست الخبراء ، ولكنه النفوذ الذى ضاع والكارت الأخير الذى حرق واصبح لا يجدى وهو المساومة على السلاح .

وبداً فصل جديد من فصول هذه المسرحية الحرب الوقائية

الحرب الوقائية التى تهدد بها إسرائيل ويخشى منها الغرب — المخلص جدا — على مصر وعلى العرب وعلى السلام الذى يريدون ومرة أخرى أوقعهم غرورهم فى خطأ أشد فحشا
فأن هذا الشعب من وراء جمال لن يقبل أن يطلب حماية الغرب من الحرب الوقائية التى يخوفون بها مهما كانت النتائج ومهما كان الثمن .

لقد ضنوا أن جمال سيهرع إليهم طالبا النجدة لتبدأ المساومة من جديد ، ولكن جمال صمد على موقفه ومن ورائه شعب وجيش على أتم استعداد ، ومن حوله العرب جميعا يهتفون هتافا واحداً أن

لا أحلاف ولا سيطرة ولا عدوان بعد اليوم وأن سحقاً للغرب
وأساليب الغرب وتهديد الغرب .

وعقد الميثاقان السوري والمصري والسعودي والمصري

ولم يبق أمام الغرب إلا الكارت الأخير إسرائيل

وإسرائيل كأين آوى تنتظر اللقمة من منشئها وباعثها وسيدها

وتحركت إسرائيل

فماذا تريد إسرائيل ، وما هي نوايا إسرائيل ، وما هو

المستقبل مع إسرائيل ؟

أخذت إسرائيل تستعد لتحقيق أطماعها بتأييد الغرب وبسلاح

الغرب وشعار مشاريع الغرب .

لقد اتحدت مصالح وأهداف إسرائيل مع مصالح وأهداف

الغرب الذي فرضها فرضاً بالقوة والعدوان ، والغدر ، فرضها

الغرب مليوناً بين خمسين مليوناً لتكون هي ساعده اليمن وتكون

سيدة هؤلاء الملايين الخمسين التعساء .

وفي المعركة الانتخابية الأخيرة في إسرائيل وقف مناحم بيجن

يقول بأعلى صوته :

— أن إسرائيل الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات

وتقدم بن جوربون رئيس وزراء إسرائيل الحالي ببرنامج

الذي أوصله إلى كرسي رئاسة الوزراء وأعلنه صراحة في كلمات

موجزة مفيدة قائلاً :

" سنفرض الصلح على العرب بالقوة "

حدث هذا في الوقت الذي كان جمال يطلب فيه السلاح من

الغرب

وفى مقابلة بين الرئيس جمال والسفير الأمريكى سأله جمال
عما إذا كانت أمريكا لا تعلم حقيقة مشاريع إسرائيل ونوايا إسرائيل
بعد الذى قاله زعمائها فى المعركة الانتخابية ونالوا عليه الثقة ؟
ولكن جمال لم يحصل على رد أمريكا ، وهو لن يحصل أبدا
على هذا الرد كما كان الحال فى مسألة السلاح .

أن إسرائيل لم تضيع لحظة واحدة فى تجهيز نفسها للتوسع
وتحقيق أطماعها التى ينادى بها زعمائها ويؤمن بها شعبها .
فالسلاح حصلت عليه من الغرب ، من أمريكا ومن إنجلترا
ومن فرنسا باعترافهم جميعا وضمنت التفوق فيه بتأييد الغرب الذى
منعه عن العرب .

وفى السياسة قامت إسرائيل على يد الغرب ومن صنعه ، فبعد
أن اطمأنت إلى تفوقها فى السلاح أخذت تنتظر أن يفرغ الغرب من
إكمال حلقات خلقها بإرغام الدول العربية على الاعتراف بها بل
والاشتراك معها على قدم المساواة فى مشاريعه فى الشرق الأوسط
وبذلك تتم المؤامرة .

وإسرائيل حشدت وأستعدت

كانت خطتها قد بنيت على أساس أن تعالج أمورها مع الدول
العربية واحدة واحدة .

ولقد عبر سفير دولة من الغرب فى سورية عن هذه الخطة
حينما قال فى حديث له :

" أن العرب كالأرانب ، وستصطاد هم إسرائيل واحدا واحدا "

وبدأ صيد الأرانب

ففى سنة 1953 تركزت اعتداءات إسرائيل كلها ضد الأردن .

وفى سنة 1954 تركزت اعتداءات إسرائيل كلها ضد سورية.
وفى سنة 1955 تركزت اعتداءات إسرائيل كلها ضد مصر .
بهدف واحد فى كل هذه السنين هذا الهدف هو ارض العرب
من النيل إلى الفرات وقرى العرب من النيل إلى الفرات .
وظنت إسرائيل أن تأييد أسياها سيجعل المهمة سهلة ، من
أجل ذلك تحركت الأفاعى على الحدود .
ومن أجل ذلك نادى جمال فى العرب حتى بح صوته أن
اتحدوا يا عرب لكى لا تؤكلوا واحدا واحدا .
ومن أجل ذلك أيضا نادى جمال لكى يقف العرب رجلا واحدا
بقيادة موحدة تجاه تلك القيادة الموحدة التى سبق لها أن تغلبت
على سبع قيادات .
لقد كانت مصر تعرف هدف الافاعى التى على الحدود وإلى
أى أهداف تهدف .
من أجل ذلك أعدت مصر جيشها واشترى جمال السلاح كما
يريد من غير قيد أو شرط .
اشترى جمال السلاح بعد أن وضحت نيات الغرب ونيات
إسرائيل فى تحقيق حلم الصهيونية الضخم فى إنشاء دولة تمتد من
النيل إلى الفرات .
لقد خلقت إسرائيل فى كنف العدوان والاعتصاب والشر خلقت
بأسم الظلم والقهر وسيادة الدول الكبرى على الصغرى ، فأى سلام
هذا الذى ينادون به .
أنهم فى تل أبيب يجتروا الكلب منذ وطئت أقدامهم أرض
العرب ، فبالكذب جاءوا وبالكذب يعيشون .

ونوايا إسرائيل وأهدافها أصبحت واضحة للعيان قولاً وعدواناً ، فالذين يغتصبون أرضاً ويطردون أصحاب الأرض ثم يجدون من يقف خلفهم يبارك ويؤيد كل هذا ، ماذا يكون هدفهم ؟ أياكون الأمن والسلام أو الشرف والفتاة ؟

أبدا

فكما اغتصبوا أرض فلسطين في حمى الدول الكبرى ، فإنهم تمتلئ رعوسهم بمشاريع أخرى تمتد من النيل إلى الفرات كما يعلنون .

ولقد تساءلت في غير هذا المكان عما سوف يكون عليه المستقبل مع إسرائيل على ضوء نوايا إسرائيل .

واليوم أقول أن السلام في الشرق الأوسط قد مزق وسيمزق على الدوام طالما أن حلم الصهيونية الضخم لم يتحقق بعد .

وسيظل السلام ممزقا لأن هذا الحلم لن يتحقق أبدا .
أن دون تحقيق هذا الحلم اليوم سلاح وعتاد ليس فاسادا هذه المرة .

ودون تحقيق هذا الحلم قيادات عربية مؤمنة موحدة يقف من خلفها شعوب متماسكة لا يستطيع خائن أو عميل أن يطعنهما من الخلف ، وفي هذه الحالة سيتحقق حلم آخر يملأ رؤوس العرب لا رؤوس بنى صهيون ومن يقفون من خلف بنى صهيون أن نوايا إسرائيل قد أيقظت العرب على حقيقة المأساة الدامية .

وتأييد الغرب المفزوح قد فتح عيون العرب على ما يهدد أوطانهم وكل ما يملكون .

أن مصر والعرب اليوم فى طريقهم إلى القوة ، القوة التى لم
تعد عقبة من تلك العقبات التى كانت تملأ الطريق فقد تحررنا من
السيطرة الأجنبية إلى الأبد .
وعرفنا كيف يتحقق الأمن وكيف يتحقق السلام .

الحرب الوقائية

أن لمذبحة كفر قاسم مغزى اخطر وأعمق من كل ما سمعه العالم من تفاصيل بشعة لهذه المأساة .

فقد وقعت هذه المذبحة فى نفس اليوم الذى هجمت فيه إسرائيل على مصر أى يوم 29 أكتوبر 1956 ، وفى نفس اليوم الذى بدأت فيه مؤامرة فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ضد مصر والعرب .

والواضح تماما أن هذه المذبحة كانت مقدمة لمذابح أخرى ستقع فى مصر وفى دنيا العرب إذا كان قد قدر لهذه المؤامرة الدنيئة أن تنجح ، ويظهر أن إسرائيل كانت واثقة تماما من نجاح هذه المؤامرة بعد أن اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وعتاد حلف الأطنطى ، لذلك بادرت بتطبيق سياستها الثابتة نحو العرب فى كفر قاسم فقتلت النساء والأطفال وبقرت بطونهم وشوهت جثثهم .

ولقد ظل أمر هذه المذبحة مطويا إلى أن فشلت المؤامرة الثلاثية وأحس بن جوريون أنه لا بد أن يقدم فى يوم من الأيام الحساب ، لذلك رأينا أن بن جوريون يقف فى برلمان إسرائيل لكى يعتذر بل أكثر من ذلك يأمر بصرف تعويضات حتى يحاول تغطية الجرم الذى ارتكبه حكومة إسرائيل ، والعجيب أن بن جوريون لم يعتذر عما حدث فى قبية ولا عما حدث فى دير ياسين ولا عما حدث فى تحالين ، ولكنه بادر هذه المرة إلى الاعتذار والإعلان عن دفع تعويضات ، فما هو تفسير ذلك ؟

أن التفسير المعقول الوحيد هو أن بن جوريون أسقط في يده يوم أن عرف أن المؤامرة الثلاثية قد فشلت ولذلك لن يستطيع أن يخفى إجرامه وراء ستار النصر الذي كان يحلم به والذي كان سيمكنه من فرض شروطه على العرب إلى البد وبذلك تكون مجزرة كفر قاسم في ذمة التاريخ .

وسياسة ذبح النساء وتقتيل الأطفال وبقر البطون وذبح الرجال جزء من مبادئ دولة إسرائيل لأنها في عرفهم من تعاليم التوراة دستور إسرائيل .

بل أنهم يؤمنون في إسرائيل أن لا بقاء لهم إلا إذا طبقوا شريعتهم كما فعل يوشع بن نون تلميذ موسى عندما أغار على أربد ، وحين دخل المدينة أمر فقتلت النساء والأطفال والرجال وشوهت جثثهم ولم يبق في المدينة إلا نفر من النسوة الساقطات لكي ينعم اليهود ويسعدوا ويحتفلوا بنصرهم على الجثث والأشلاء وبين أحضان النسوة الساقطات ومن يراجع حديث المدعو إسرائيل الدد وهو زعيم من زعماء الجمعيات التي كانت تنادى بالحرب الوقائية في إسرائيل منذ شهور إلى جريدة هاعولام " العالم " الإسرائيلية سيجد حقائق عن شريعة اليهود وثورتهم ابشع من كل ما ذكرت .

وها هي الحرب الوقائية قد وقعت ، وأنضم لإسرائيل فيها دولتان هما بريطانيا وفرنسا .

لذلك بادرت إسرائيل بتنفيذ وصايا توارتهم في نفس اليوم الذي بدأت فيه هذه الحرب في كفر قاسم ، ثم فعلوا مثل ذلك في رفح وفي خان يونس وفي غزة والعريش .

ولقد نفذت فرنسا وبريطانيا وصايا يوشع بن نون مع إسرائيل .

وبريطانيا وفرنسا يحملان مع إسرائيل اليوم تبعه ما حدث في كفر
قاسم وفي غزة وفي بقية المدن .
والنار الذي نطالب به نحن العرب لقتلنا وشهدائنا لم يعد مقصورا
على إسرائيل ، فإسرائيل كلها لابد أن تكون الثمن مهما طال الزمن .
وأما نحن سنظل نثار من بريطانيا وفرنسا إلى يوم القيامة
سيكون ثأرنا في هدوء وتصميم .
سيكون ثأرنا هو شغلنا بالليل وهمنا بالنهار
سيكون ثأرنا نارا تحرق مصالح بريطانيا وفرنسا وتأتي على كل ما
يمت لبريطانيا وفرنسا
لقد فشلت الحرب الوقائية وقضت بفشلها على بريطانيا وفرنسا
وقررت مصير إسرائيل .
وسياتى دورنا في الحرب الوقائية .
فلا بد أن يوقى العالم من شرور شريعة الغاب التي تبقر البطون
وتقتل النساء وتفتك بالأطفال .

حلم بن جوريون

دخل بن جوريون المؤامرة مع بريطانيا وفرنسا ضد مصر وهو مؤمن تمام الأيمان بأنه قد حقق حلم حياته . فالذى لا يعرفه الكثيرون هو أن بن جوريون ينام ويصحو على أمل واحد هو أن يرغم العرب تعلق الاعتراف بإسرائيل كدولة ، وكثيرا ما تحدث إلى من حوله من الناس بخوفه من أن يموت قبل أن يحقق هذا الحلم .

وفى سبيل تحقيق أمنيته ، يستخدم كل الأساليب مهما كانت ، خاصة وأن فى تعاليم حكماء صهيون – التى هى فى نظر اليهود مقدسة ككلام السماء تماما – متسع لكل ما هو قدر وخبيث ودنى .

فهذه التعاليم تحض اليهود صراحة على أن يقوضوا أركان كل أيمان ، وأن يعبتوا بكل القيم التى تقوم عليها المجتمعات ، ولهم أن يستخدموا فى سبيل ذلك حتى الخمر والنساء لى يسيطروا على المجتمعات التى يعيشون فيها كخطوة أولى للسيطرة على هذا العالم الذى يقولون أن الله قد جعله لهم دون البشر .

وفى التلمود أيضا نص صريح على أن قتل (الجويم) أى غير اليهودى حلال لليهودى وتقرب إلى الله .

وفى التلمود أيضا :

" كل مكان تطؤه أقدامكم يكون لكم ، كل الأماكن التى تحتلونها فأنها لكم فأنكم سترثون الجويم (أى غير اليهودى) المستكبرين فى الأرض ، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض إسرائيل التى يجب إلا تكون

نجسة تحت أقدام الجويم ، أنكم بعد أن تحتلوا أرض إسرائيل يحق لكم أن تحتلوا غيرها" .

فأرض إسرائيل التي يريدها اليهود هي من النيل إلى الفرات فما بالك (بغيرها) هذه التي وردت في التلمود .

من هذا نخرج بفكرة عما كان يراود أحلام بن جوريون حين دخل المؤامرة لكي يحققها قبل أن يموت .

ولقد كانت وسائل بن جوريون مطابقة تماما لشريعة إسرائيل في كل المراحل .

قتل النساء والأطفال ، وبقر البطون وهدم البيوت والاستيلاء على أرض الغير واملاكهم ومقدراتهم .

حدث كل هذا ويحدث منذ أن سمحت الدولة العثمانية لليهود بسكنى فلسطين .

وقبل سنة 1948 كانت وسائل اليهود وحكومتهم هي الخمر والنساء ، اغتصبوا عن طريقها بعض الأرض .

وبعد سنة 1948 أصبحت وسائل اليهود وشريعة حكومتهم العدوان والقتل والاستعانة بالغرب المسيحي على العرب من مسلمين ومسيحيين .

ومنذ اللحظة الأولى لقيام إسرائيل وجدت التشجيع المادى والأدبى .

فالمستر ترومان رئيس أمريكا السابق يعترف بقيامها قبل أن تعلن تل أبيب ، ويأخذون له صورة هو ووايزمان وبينهما علم إسرائيل .

وبريطانيا وفرنسا وأمريكا تغدق السلاح بيعا ومعونة على إسرائيل وتمنعه عن العرب .

ومئات الملايين من الدولارات تتدفق سنويا على إسرائيل من أمريكا لكي تبني إسرائيل اقتصادها ومقوماتها وتعيش كدولة وقصة التعويضات الألمانية التي تدفعها أمريكا عن طريق ألمانيا كل هذا ولم يقتنع بن جوريون بل أراد أن يتوج كل جرائم إسرائيل بالقضاء على مصر مع بريطانيا وفرنسا وفرض إرادته على العرب أجمعين ، فلما فشل هذا العدوان وقضى على المؤامرة نراه - اليوم - بتأييد نفس الذين أيده من قبل يريد أن يحقق مكاسب من هذا العدوان .

والعجيب أن الذين أقاموا إسرائيل ليتخذوا منها قاعدة للاستعمار والعدوان لا زالوا بعد أن أنكشف لعبتهم يروجون لما تسميه إسرائيل ضمانات مع أنها هي المعتدية وهي الآثمة منذ أول لحظة قامت . وهي المعتدية على سورية ، وهي المعتدية على الأردن ، وهي المعتدية على مصر .

إسرائيل هي المعتدية في قبية حين ذبحت النساء والأطفال ، وإسرائيل هي التي بقرت البطون وبعثرت الأشلاء في دير ياسين وإسرائيل هي التي اعتدت على سورية من الحولة ، وعلى مصر في خان يونس والكونتلا والصبحة ، وعلى الأردن في قلقيلية ، وأخيرا إسرائيل هي التي اعتدت على سيناء وغزة بمساعدة بريطانيا وفرنسا .

ومع ذلك لا يريد الغرب أن يفهم أو يعقل ، بل يتحدثون عن الهدنة واحترامها ، وعن الضمانات التي تعطي لإسرائيل لكي تحقق احلامها التي أوصى بها حكماء صهيون والتلمود !

فليطمئن بن جوريون هو وحلفاؤه وليمت مستريحا إلى أن إسرائيل لن تكون أبدا دولة .

فستدفع إسرائيل ثمن عدوانها كله من قبل أن تقوم ومن بعد أن قامت .

ولن يستطيع حلفاء إسرائيل أن ينفذوها .

ولن تستطيع كل تعاليم التلمود وحكام صهيون أن تنفذها هي الأخرى .

لقد حكمت إسرائيل على نفسها بالفناء .

ولم نعد نحن العرب وحدنا الذين لا نعترف بقيام هذه الدولة المجرمة أن معنا أصدقاء أقوىاء

وفى نفوسنا بركان من الغل والثورة والانتقام .

مشكلة الشرق الأوسط

والحلول غير المدروسة أو التي تراعى فيها مصالح معينة بقصد حل مشاكل الشرق الأوسط لن تزيد هذه المشاكل إلا تعقيدا وتأزما . ومشاكل الشرق الأوسط واضحة لا يحتاج المرء فى فهمها إلى بحث أو تنقيب .

وأكثر من ذلك ، فإن العدوان الفرنسى البريطانى الإسرائيلى الأخير على مصر قد ألقى كل الضوء على هذه المشاكل . فالشرق الأوسط مضطرب وفى حالة غليان ، ولكن لا يكفى أن نقول هذا لكى نبرر أى حل لا يقضى على هذا الاضطراب أو يعالج ذلك الغليان .

ولنستقصى أسباب ذلك الاضطراب والغليان .

أن أول هذه الأسباب هو إسرائيل .

ولست أقول هذا القول اليوم فقط ولكننا قلناه منذ زمن طويل قبل العدوان الأخير ودللنا عليه بآلاف الأدلة الحية لأمريكا وبريطانيا . فبسبب إسرائيل تشرّد أكثر من مليون عربى من ديارهم ومنازلهم ولا لشيء إلا لأن بعض الدول الكبرى كانت ولا تزال تريد قيام دولة تسمى إسرائيل حتى ولو كان هذا على حساب أرض الآخرين وأملاك الآخرين .

ولعل النقطة السوداء القاتمة فى السياسة أمريكية بعد الحرب هى إقامة إسرائيل ومبادرة ترومان رئيس أمريكا السابق إلى الاعتراف بها قبل أن تقوم !

وجر قيام إسرائيل مئات من المشاكل التي أصبحت جرحا قوميا للعرب لن يلتئم إلا بزوال هذا السرطان وبتره إلى الأبد .

لقد فرضت إسرائيل على أرض العرب وفي أملاك العرب وفي دنيا العرب بالقوة وضد مشيئة أصحاب الأرض رغما عنهم هذه حقيقة لن يستطيع الذين فرضوا إسرائيل أن يخفوها أو يتجاهلوها .

ومنذ ذلك التاريخ تراكمت الأخطاء بعضها فوق بعض من جانب أولئك الذين فرضوا إسرائيل ضد العرب بقصد حماية إسرائيل ودوام قيامها ، ويأملون أن ينسى العرب أو يسلموا بالأمر الواقع .

وكانت هذه السياسة من جانب الذين أقاموا إسرائيل هي النار التي تشعل نفوس العرب بل تلهبها كل يوم بوقود جديد وعزم جديد .

فلكى يحافظ الذين فرضوا إسرائيل على قيامه زودوها بالسلاح والمال وتركوها ترتكب المذابح كل يوم في سورية وفي الأردن وفي مصر .

وحين طلبت هذه الدول أن تشتري السلاح بحر مالها لكي تدفع عن نفسها العدوان رفض الذين أقاموا إسرائيل وبدأوا يساومون على الاستقلال تارة وتارة أخرى على الاعتراف بإسرائيل ومذابح إسرائيل وما تريده إسرائيل .

وحين اشترت مصر وسورية السلاح من الكتلة الشرقية من غير مساومة ولا قيود وبحر مالها ، قامت قيامة أولئك الذين أقاموا إسرائيل واتهموا مصر وسورية بالباطل والبهتان ظنا منهم أن ذلك يخوف أو يرهب ، وهم في الواقع يركبون الأخطاء فوق الأخطاء .

ولقد اصدر الذين أقاموا إسرائيل بيانا في مايو سنة 1950 كان القصد منه هو منع العدوان في الشرق الأوسط .

ويشاء القدر إلا يكون هذا البيان هو أكبر سخرية عرفها التاريخ ،
فقد اشتركت في إصداره ثلاث دول هي أمريكا وبريطانيا وفرنسا لم
تلبث دولتان منهما هما فرنسا وبريطانيا أن ارتكبتا علنا العدوان
بالاشتراك مع إسرائيل في الشرق الأوسط بدلا من أن تدفعا هذا
العدوان .

وكان اشتراك الدولتان الآتيتين مدبرا وعن إصرار وعمد يوم أن
استخدمتا حق الفيتو لكي تجعلوا من عدوان إسرائيل عملا مشروعا لم
تلبثا أن انضمتا إليه .

وبالرغم من أن إنجلترا وفرنسا تعلمان أن أمريكا تشترك معهما في
ذلك التصريح فأنهما لم تقيما أي وزن لذلك بل استمرتتا في عدوانهما
من يوم 31 أكتوبر إلى يوم 7 نوفمبر سنة 1956 برغم صدور قرار
هيئة الأمم المتحدة في 2 نوفمبر من السنة ذاتها .

هذا هو الوضع الذي كان يجب أن يلقي عناية من أمريكا إذا كانت
شئون الشرق الأوسط واضطرابه وغلتيانه يراد لها أن تستقيم .
أن الشرق الأوسط في اضطراب وغلتيان بل في حرب فعلا فمن
المسئول ؟

من الذي تآمر على سلامة واستقلال مصر ونفذ مؤامراته واستخدم
أسلحة وعتاد حلف الإططنطي ؟

من الذي يثير الفتن والمؤامرات والدسائس ضد سورية ؟
من الذي يحاول بلبلة الأفكار في الأردن وجره إلى حلف بغداد
العدواني ضد أرادة أهله وشعبه ؟

من الذي يبذر الشقاق والخلاف والدعايات بين البلاد العربية ؟

من الذى يريد أن يقلب حلف بغداد الفاشل إلى حلف إسلامى لكى
يغرر بالشعوب ويخضعها لأطماعه واستعمار ه ؟
أن الذى يفعل كل هذا هو المسئول عن اضطراب وغليان ومشاكل
الشرق الأوسط .

وكل من يغفل هذه الحقائق يكون كالنعامة يدفن رأسه فى الرمال .
فالشرق الأوسط مهدد والذى يهدده هو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .
والشرق الأوسط فى حرب أعلنتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .
فكيف يطلب منا أن نلغى عقولنا ونصدق بخطر وهمى يأتى من الدول
التي تسيطر عليها الشيوعية الدولية فى الوقت الذى نحارب فيه نحن
فعلا ضد عدوان بريطانيا وفرنسا وإسرائيل الذى دمغه العالم ، وفى
الوقت الذى مات فيه أبناؤنا ونساؤنا وأطفالنا تحت أنقاض بيوتهم
التي دمرتها قنابل بريطانيا وفرنسا ، وفى الوقت الذى تبقر فيه
بطون أهلينا فى كفر قاسم وغزة وسيناء على يد إسرائيل !

الفصل السابع

حكاية الفراغ

ومشروع ايزنهاور

الأسطورة الجديدة

الأسطورة الجديدة هي حكاية الفراغ

وتقول صحف الغرب الغيورة أن فراغا نشأ فى الشرق الأوسط نتيجة لانهيار نفوذ بريطانيا وفرنسا فى المنطقة وأن على الولايات المتحدة أن تتقدم لملء هذا الفراغ قبل أن يتقدم الاتحاد السوفيتى .

وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا !

وكأن كفاح أربع سنوات ونصف سنة منذ أن قامت الثورة إلى اليوم بما فيه الغزو لم يقتع الغرب إن مصر ترفض حكاية الفراغ وترفض نظرية مناطق النفوذ سواء للشرق أو للغرب أى سواء لروسيا أو لأمريكا .

ولماذا إذن كانت مصر تجثم نفسها كل هذا الكفاح ضد النفوذ البريطانى إذا كان سيأتى بدله نفوذ روسى أو نفوذ أمريكى ؟ أن منطق مناطق النفوذ وحكاية الفراغ مرفوضة من أساسها جملة وتفصيلا .

فالفراغ كان فى وجود بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط لأنها جعلت من المنطقة بركانا يغلى بدسائسها التى كانت تبذرهما بين أمم المنطقة وشعوبها ولا تزال .

والفراغ كان فى محاولة تضليل بريطانيا لشعوب المنطقة بايهامها أن الخطر يأتى من الشمال ، فى الوقت الذى كانت بريطانيا تغرس فى قلب العرب خنجرا مسموما هو إسرائيل ، لم تلبث بريطانيا أن

استخدمته للقضاء على هذه الشعوب علنا وعلى مرأى ومسمع من العالم كله .

والفراغ كان فى جشع بريطانيا الجنون الذى دفعها إلى عمل يائس محموم قتل فيه النساء والأطفال وهدمت البيوت على العزل الأمنيين لا لشيء إلا لمحاولة فرض إرادتها واغتصاب أرض الغير وأرزاقه ومقدراته .

والفراغ كان فى بقاء إنجلترا ونفوذ إنجلترا ، فبالرغم من أنه كان يربطها بدول هذه المنطقة اتفاقات صداقة ، فأنها لم تتورع عن أن تدفع إسرائيل لتعتدى على مصر ثم شنت هجوما غادرا وضعيفا لتؤيد إسرائيل ضد ميثاق الأمم المتحدة ، وضد كل ما تعارف عليه البشر من قيم وخلق تمثلت فى حقوق الإنسان .

ولا أدري أى فراغ هذا الذى تريد صحف الغرب من أمريكا أن تملأه؟ فالفراغ الوحيد فى هذه المنطقة كان هو إنجلترا ، وقد امتلأ والله الحمد بانتهيارها وإفلاسها وخروجها من المعركة ضعيفة هزيلة .

والفراغ سيعود من جديد إلى هذه المنطقة إذا ما فكرت دولة كبرى مرة ثانية فى دخولها أيا كانت هذه الدولة .

فنحن نرحب بكل صداقة شريفة ، ولكننا مصممون على قطع كل يد تمتد لنا بالسيطرة أو فرض الإرادة .

نحن نرحب بالتجارة الشريفة ، ولكننا سنسحق ذلك اللون من التجارة الذى يجلب معه النفوذ والسياسة .

ولن نرضى بغير المساواة التامة .

فسياسة مناطق النفوذ تعنى بالنسبة لنا الحرب والكفاح وعبثا يتخيل أحد أنه يستطيع أن يقرر مصيرنا بغير إرادتنا ، فلم تعد لندن

وباريس تصلحان لتقرير مصير إنجلترا وفرنسا لأنهما فى حاجة إلى من يعينهما ويدافع عنهما .

أما نحن فسنقرر دائما مصيرنا شاءت لندن وباريس أم غضبتا .
ونحن أيضا لسنا فى حاجة إلى حماية أحد ولا إلى التسول من أحد .
أن طريقنا واضح كالشمس

نحن لن نكون ذبيلا لأحد ، ولن ننحاز لأى من المعسكرين ولكننا سنصافح من يصفحنا ونعادي من يعاديننا .

وقد يكون من الخير أن نستجلى بعض النقاط بتوجيه بعض الأسئلة إلى الرئيس أيزنهاور قبل أن يصدر المرء حكمه على ما ورد فى رسالته إلى الكونجرس .

أن الأمر يتعلق بأرضنا نحن ، وأمتنا نحن ، وسلامنا نحن ، كما يتعلق بسلام العالم كله وأمنه ومستقبله .

يقول الرئيس أيزنهاور فى البند الثالث من الأجراء الذى يقترحه ما يأتى :

" وسوف ينطوى فى المقام الثالث على التفويض بأن تشمل هذه المساعدات وهذا التعاون استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة لضمان وحماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسى للمم التى تطلب مثل هذه المساعدة ضد العدوان المسلح المكشوف من أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية .

وهذا الإجراء غامض ويثير بعض الأسئلة
فلنطبق الكلام على الواقع ونسأل

— إذا حدث وتعرضت مصر لعدوان جديد من جانب حلف الاطلنطي و إسرائيل ، تستخدم فيه الأسلحة وعتاد ذلك الحلف وقواعد إسرائيل، فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علما بأن العالم كله شهد مثل هذا العدوان في أكتوبر ونوفمبر سنة 1956 وإذا حدث مثلا واعتدت إسرائيل على الأردن بمساعدة الطائرات ، والطيارين الفرنسيين ، والدبابات ، والمدافع الفرنسية ، وأسلحة وعتاد حلف الاطلنطي كما فعلت في أكتوبر سنة 1956 مع مصر ، ووجد الأردن أن الأمر يدعو إلى الاستنجد بدول العالم لمساعدته ضد مؤامرة مشتركة ليحافظ على استلاله وسيادته الكاملة ، ثم حدث أن خفت إلى نجدة الأردن دولة أو دول من تلك التي وصفها الرئيس أيزنهاور بأنها تسيطر عليها الشيوعية الدولية .

فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علما بأن الرئيس أيزنهاور يقرر في بيانه بالنص :

" أن أمريكا تؤيد دون تحفظ السيادة الكاملة والاستقلال لكل دولة من دول الشرق الأوسط "

وعلما بأن الأردن سيكون في حالة دفاع شرعي وطلب النجدة الذي سيطلبه من العالم سيكون من حكومته الشرعية ؟

هذا موقف

وهناك موقف آخر أخطر من هذا لأن مثله حدث فعلا

فإذا حدث مثلا أن وجهت بريطانيا إنذارا لى سورية قائلة أنه أما أن تسمح سورية لبريطانيا باحتلال خط أنابيب البترول ومحطات تكريره في ظرف اثنتى عشر ساعة وأما أن تحتلها بريطانيا بالقوة ثم رفضت سورية هذا الإنذار وبدأت بريطانيا الهجوم على سورية

مستخدمة أسلحة حلف الاطلنطي وطائراته ودباباته وأساطيله ،
وعندئذ وجدت سوريا أن من حقها الشرعى ، أن تستجد بدول العالم
لصد هذا العدوان ، واستنجدت فعلا وكان أول من خف إلى نجدتها
دولة أو دول من تلك التى وصفها الرئيس ايزنهاور بأنها تسيطر
عليها الشيوعية الدولية ، فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟
علما بأن مثل هذا الأمر محتمل وقوعه بين لحظة وأخرى وحدث فعلا
من قبل فى مصر .

وتحدث الرئيس ايزنهاور أيضا عن التصريح الثلاثى الذى صدر فى
25 مايو سنة 1950

والتعرض لهذا التصريح يجعلنا نسأل :

لماذا لم يطبق هذا التصريح الذى ينص على التدخل المسلح من
جانب أمريكا إلى جانب الدولة المعتدى عليها فى أكتوبر سنة 1956
حين الاعتداء على مصر ؟

هل لأن العدوان كان على العرب مثلا ؟

أن الأمر ما زال يكتنفه الغموض

وقد يكون الإجابة على هذه الأسئلة جلاء لبض هذا الغموض .

مشروع ايزنهاور وهذا العدوان

أن النساء والأطفال ماتت في اليمن بفعل قنابل بريطانيا والمنازل دكت وهدمت في اليمن بفعل قنابل بريطانيا .
أن عدوانا وقع على اليمن تعرضت فيه حياة الآلاف من البشر للقتل والدمار .

واليمن في الشرق الأوسط

فما هو رأى أمريكا ، وما هو رأى المشروع الأمريكى الجديد ؟

أليس الشرق الأوسط اليوم يتعرض للعدوان ؟

أليس استقلال اليمن وسيادتها يتعرضان للعدوان ؟

أليس هجوم بريطانيا بالطائرات والدبابات على المدن اليمنية عدوانا على بلد من بلدان الشرق الأوسط ؟

وهكذا يتعرض المشروع الأمريكى من أول لحظة لأقسى امتحان .

ومن قبل قلنا أن الشرق الأوسط لا تهدده دولة من تلك التى وصفها البيان الأمريكى بأنها تخضع للشيوعية الدولية وإنما هددته ولا تزال تهدده دول من الكتلة الغربية هى بريطانيا وفرنسا وربيبة الغرب إسرائيل .

ولقد أغفل البيان الأمريكى تماما كل إشارة إلى العدوان الذى وقع على الشرق الأوسط فى مصر واعتبر العدوان لا يأتى إلا من دول تسيطر عليها الشيوعية الدولية ، وطبيعى اذن أن يكون العدوان الذى وقع على اليمن من بريطانيا ، حسب منطق البيان الأمريكى ، شئ لا قيمة له ولا يعتبر عدوانا على الشرق الأوسط برغم أرواح

النساء والأطفال التي زهقت وبرغم الدمار الذي ينزل بمدن اليمن
ومرافقه ومقدراته !

وهذا المنطق المقلوب يؤدي أيضا إلى منطق آخر أشد انقلابا حسب
ذلك البيان .

فأن اليمن عليها إلا تستنجد بدول العالم لمساعدتها ضد عدوان
بريطانيا خشية أن تستجيب دولة تخضع للشيوعية الدولية إلى نجدة
اليمن فتعتبر اليمن في نظر أمريكا دولة شيوعية ويصبح من المحتم
حسب البيان الأمريكي هجوم أمريكا على اليمن !

وحسب البيان الأمريكي أيضا فإن على كل دولة من دول الشرق
الأوسط حين تتعرض لعدوان بريطانيا أو فرنسا أو إسرائيل أو الثلاث
مجتمعة أن تترك نساءها وأطفالها يقتلون وبيوتها تهدم لأن ذلك
ليس عدوانا في نظر أمريكا وإنما أمريكا تتحمس فقط عندما تهجم
على الشرق الأوسط دولة من الدول التي تخضع للشيوعية الدولية .
ثم تأتي مسألة العدوان غير المباشر أيضا التي وردت في البيان
الأمريكي .

ويظهر أن أمريكا تريد أن ترث بريطانيا حتى في طريقة الصياغة
اللوية للألفاظ لكي يمكن أن تحمل من المعاني والتخريجات ما يلائم
كل الظروف .

فما هو العدوان غير المباشر ؟

وماذا يطلق على المؤامرات التي تحكيها بريطانيا اليوم لشعوب الأمة
العربية ؟

وماذا يطلق على تمويل فرنسا لإسرائيل بالسلاح ؟

وماذا يطلق على تمويل بريطانيا للمؤامرة ضد سورية ؟

وماذا سيكون موقف الولايات المتحدة إذا عقدت فرنسا محالفة مع إسرائيل ؟

هل يكون على العرب أن يحمداوا الله على أن العدوان لم يأت من دولة تخضع للشيوعية الدولية وإنما أتى ويأتى كل يوم من دول الكتلة الغربية ؟

أن أمريكا لم تحدد موقفها من العدوان الذى يقع على اليمن التى هى دولة من دول الشرق الأوسط وتتمتع بكامل السيادة والاستقلال أننا لا نستطيع أن نفهم البيان الأمريكى إزاء هذا الموقف .

وإذا صدقنا ما ورد فى البيان الأمريكى فان العدوان البريطانى الفرنسى الأخير على مصر وعلى الشرق الأوسط يصبح عملا مشروعاً لا عدواناً مجرماً ، ويصبح مبدأ حل المشكلات الدولية بالعمل الفردى عن طريق استخدام القوة أيضاً عملاً مشروعاً بعد أن استنكره العالم كله لأنه تطبيق لشريعة الغاب .

أن هناك حقائق ثابتة من العبث أن تتجاهلها أمريكا . إحداهما هى أن العدوان الوحيد الذى وقع فى منطقة الشرق الأوسط حتى الآن جاء من جانب فرنسا وبريطانيا وإسرائيل اثنتان منهما هما فرنسا وبريطانيا حليفتان تقليديتان لأمريكا فيما يسمى بالحلف الغربى ، بل هما شريكتان لأمريكا فى قيادة ما يسمى بعالم الغرب ، أما الثالثة ، وهى إسرائيل ، ففى تلك الدولة التى سعى ترومان رئيس أمريكا السابق إلى الاعتراف بها قبل أن تولد ، ثم تولت أمريكا السابق إلى الاعتراف بها قبل أن تولد ، ثم تولت أمريكا أعاشتها

حتى اليوم بالإعانات والهبات التي تزيد عن الستمائة مليون دولار سنويا هذا بخلاف السلاح والعتاد

ولا أظن أبدا ان أمريكا تجهل الحقيقة

فلماذا اذن تحاول أمريكا خلق عدوان وهي مما أسمته دولا تخضع للشيوعية الدولية ضد الشرق الأوسط في الوقت الذي لم يقع فيه على الشرق الأوسط الا عدوان واحد هو عدوان حلفاء أمريكا وشركائها فرنسا وبريطانيا والربيبة إسرائيل ؟ وكيف يستطيع المرء أن يوفق بين استنكار أمريكا بالأمس للعدوان الفرنسي البريطاني الإسرائيلي وبين موقفها مما تعلنه اليوم ، ويعنى انها تستعد لكي ترتكب في الغد عملا كالذي ارتكبه حلفاؤها بالأمس ؟

ان التفسير الوحيد لهذا التناقض لن يكون الا أمرا واحدا ، هو أن أمريكا تريد ان تحتل نفس الوضع ونفس المكانة التي كانت لبريطانيا وفرنسا في هذه المنطقة ضد إرادة شعوب المنطقة وأهلها

ولن يكون هذا التفسير إلا أن أمريكا تريد أن تكمل المعركة التي بدأتها فرنسا وبريطانيا ولم تستطعا أن تصمدا فيها معركة مناطق النفوذ وفرض إرادة الدول الكبرى على الدول الصغرى بالقوة وضد إرادة الشعوب

ولن يكون هذا التفسير إلا أن أمريكا تريد أن تقول لشعوب هذه المنطقة أنها أقوى من روسيا ، لاعت طريق استخدام القوة وحدها وانما أيضا عن طريق الرشوة والدولار ؟

لماذا تلجأ أمريكا ألي هذه التصرفات التي ستنهى بها على مر الأيام إلى ما انتهت أليه بريطانيا وفرنسا فى هذه المنطقة ؟
وأين الحديث عن هيئة الأمم المتحدة وتأييد أمريكا لها ونداء وأمريكا أثناء عدوان حلفائها على مصر بأن هذه الهيئة هى المرجع الوحيد لحل مشاكل العالم ؟ ان معنى المشروع الأمريكي أن تنفرد أمريكا بتحديد معنى السلم والحرب ، وان تنفرد أمريكا بتحديد معنى العدوان المباشر على الشرق الأوسط مما أسمته دولا تخضع للشيوعية الدولية ، فى الشرق الأوسط مما أسمته دولا تخضع للشيوعية الدولية ، فى الوقت الذى لم يعتد فيه على الشرق الأوسط عدوانا مباشرا الا حلفاء أمريكا ، وفى الوقت الذى يصر فيه أيضا حلفاء أمريكا على اثاره الفتن والتفرقة والدسائس فى هذه المنطقة مما يقع تحت اسم العدوان غير المباشر

ولم يذكر لنا هذا المشروع شيئا لا عن عدوان حلفائها المباشر ولا غير المباشر بل أكثر من ذلك يتجاهل كل شئ بالنسبة لأى عدوان يأتى فى المستقل من جانب هؤلاء الحلفاء ومعنى المشروع الأمريكي أيضا أن تتناول دول هذه المنطقة عن سيادتها لقاء الدولار ومعنى المشروع الأمريكي أيضا أن ما يسمى اعتداء هو ذلك الذى يأتى من دولة من دول الكتلة الشيوعية التي لا ترض عنها أمريكا ، أما اذا جاء عدوان من دولة من دول الغرب على الشرق الأوسط كما حدث من بريطانيا وفرنسا فانه لا يصح أن يسمى عدوانا

وانما يصبح عملا عاديا تعود فيه أمريكا إلى الأمم المتحدة
وإجراءاتها كما صرح بذلك دالاس في بعض تصريحاته
ان أمريكا ستفقد في لمح البصر كل ما كسبته في موقفها
الأخير ، وقد كان المنتظر أن تنتهج أمريكا بعد هذا الموقف سياسة
أمريكية عادلة فحاء هذا المشروع مؤذنا بسياسة أنكى من كل ما
تؤمن به السياسة البريطانية الاستعمارية .

أبو جهل

وحسب مشروع ايزنهاور الجديد أن أمن الشرق الأوسط وسلامته يجب أن يضحى بهما من أجل أمن الولايات المتحدة فأمريكا تريد بمشروعها الجديد أن تحمي إسرائيل التي شنت الحرب في 29 أكتوبر 1956 على مصر وجعلت من أرضها قاعدة لفرنسا وبريطانيا لكي يفرضا سيطرتهما الاستعمارية على هذه المنطقة بالقوة وضد أرادت شعوب هذه المنطقة .

ومعنى هذا المشروع الأمريكي يحمى العدوان من جديد . وأمريكا تريد بمشروعها الجديد أن تجعل من الرشوة فضيلة والرشوة في الأرض وفي السماء رذيلة .

فأمريكا تعلم أن هذه المنطقة في حاجة إلى مساعدات اقتصادية ، ولكنها تغفل عن عمد أن سبب فقر هذه المنطقة هم أولئك الذين يصرون على إفقارها ولو بإعلان الحرب وتدمير المدن وقتل الأبرياء باستعمال أسلحة أمريكا ، هم بريطانيا وفرنسا حلفاء أمريكا التي تريد بمشروعها الجديد أن تحمي عدوانهما الماضي والمستقبل أيضا.

ويجب أن تعلم أمريكا أن الشعوب ترفض هذا اللون من التفضل والاستعلاء في إعطاء المساعدات .

وأمريكا تضحك على نفسها اذا ما اعتقدت أن قبول حاكم من الحكام لمساعدتها يعني قبول الشعوب .

وفي كلام المستر دالاس يقول ردا على سؤال وجه إليه أن أمريكا لم تفكر في إعطاء مساعدات لمصر وأن هذا يتوقف على مسلكها . أي أن واهب الأرزاق دالاس جل جلاله سوف يتكرم على

مصر بالمساعدات إذا ما أدت واجبات العبادة والركوع لسياسته السنوية .

أو بمعنى آخر على مصر أن تثبت أنها جديرة برضاء قدس الأقداس دالاس لكي يمنحها دولاراته المباركة .

يقول دالاس هذا وهو يعلم أن مصر أعلنت رسميا أنها لم تطلب ولن تطلب مساعدة من أمريكا .

ويقول دالاس هذا وهو يعلم أن لمصر خمسين مليوناً من الدولارات مالا حلالاً مصرياً جمده أمريكا إرضاء لبريطانيا وفرنسا اللتين اعتدتا على مصر واللتين اعترف دالاس أنهما كانتا تعدان خطط العدوان منذ وقت طويل قبل حدوثه وأنه علم بذلك .

ويقول دالاس هذا وأمريكا ترفض بيع القمح لمصر ، والقمح هو غذاء للشعب في الوقت الذي يعلن فيه بن جوريون أن صفقة الطائرات الفرنسية التي اشترتها إسرائيل كانت بعلم أمريكا وتأييدها وبركاتها .

أي تخبط هذا ، وأي غرور هذا الذي يكمن وراء هذا المنطق وتلك التصرفات ؟

أن دولارات أمريكا كلها لا تكفي لشراء قطرة واحدة من سيادتنا ، والمستر دالاس واهم أشد الوهم إذا كان يعتقد أن الضغط الاقتصادي سيحقق له ما لم تحققه أسلحة حلف الاطنطى على يد بريطانيا وفرنسا .

ففى العالم أصدقاء شرفاء يحترمون الاستقلال ويتعاملون بنظرية التعايش السلمى مع مصر ، وهم بحمد الله لا يتألهون عندما يتعاملون مع الشعوب الصغيرة .

وهم أيضا لا يحمون العدوان .
ولا يعترفون بسياسة مناطق النفوذ .
فخير للمسترد دالاس أن يفتح عينيه على الحقائق بدلا من أن
يعيش فى الأوهام التى عاشت فيها بريطانيا وفرنسا ولم تصيبا إلا
الخبية والخسران .

وكلما أضاف المسترد دالاس تفسيرا جديدا إلى مشروع
ايزنهاور ، أزداد ذلك المشروع غموضا وتعقيدا وغمراة .
والمسترد دالاس يفسر الحرب بعد الجهد بالحرب .
أن آخر هذه التفسيرات هو ذلك الذى صدر عن المسترد دالاس
من أن ذلك المشروع لا يعتبر وجود متطوعين من دولة من دول
الكتلة الشيوعية فى أى بلد من بلدان الشرق الأوسط عدوانا طالما
أن السلطة الشرعية فى ذلك البلد هى التى استدعتهم للدفاع عن
استقلال ذلك البلد .

وغلى هنا كان يمكن أن يكون الكلام معقول ، ولكن المسترد
دالاس صاحب الألغاز والأحاجى يتم تفسيره فىقول :
- على أن يكون ذلك مشروطا بأن يكون البلد الذى طلب
المتطوعين قد وقع عليه عدوان فعلا ، وأن لا يتعدى هؤلاء
المتطوعون حدود البلد الذى يساعده فى الدفاع عن استقلاله وإلا
كان ذلك عدوانا يستوجب تدخل أمريكا المسلح .

ومعنى هذا الكلام وتلك الشروط هو ما يأتى :

1 - أن أمريكا نصبت من نفسها ولها ووصيا على دول الشرق
الأوسط وتريد أن تفرض على هذه الدول الطريقة التى تعيش بها

وتأكل بها ، لدرجة أنها حتى فى حالة وقوع عدوان على بلد من المنطقة فأنها ترشده كيف يطلب المعونة وبأية شروط وإلا فأنها ستهاجمه هى الأخرى .

2 - وحسب الشرط الأول ليس لبد عربى اذا جاء إنذار فاجر قدر كالإنذار البريطانى الفرنسى أن يطلب معونة العالم بل على هذا البلد أن ينتظر حتى يقع العدوان فعلا وتغير عليه طائرات حلف الأطلنطى وتضرب مدنه أساطيل حلف الاطلنطى وتموت نسائه وأطفاله تحت أنقاض البيوت ، ثم يكون له بعد ذلك أن يطلب المعونة المشروطة .

3 - وحسب الشرط الثانى فأن هذا البلد العربى المسكين الذى يكون قد تعرض لكل هذا الخراب والدمار بفعل أساطيل وجيوش وطائرات حلف الاطلنطى ، وطلب المعونة وسارعت إلى معونته بالمتطوعين دولة من الذين يطلق عليهم أنهم يخضعون للشيوعية الدولية ، فأن على هذا البلد بعد كل النكبات أن لا يسمح للمتطوعين بأن يدفعوا معه العدوان فى قواعده ، بل داخل البلد المعتدى عليه فقط ، وبمعنى آخر إذا ما اتخذت بريطانيا وفرنسا إسرائيل قاعدة للعدوان على مصر كما حدث فى أكتوبر سنة 1956 ، وسارع المتطوعون من الدول الصديقة إلى مصر لنجدها ضد بريطانيا وفرنسا ، فأن على مصر أن لا تتعرض للقواعد البريطانية الفرنسية التى ترسل إلى مصر بالطائرات والأساطيل وإلا فأن أمريكا تتدخل بالسلاح مع المعتدين وضد مصر المعتدى عليها !

والأعجب من هذا كله هو أن المستر دالاس بهذا التفسير قد أقر بمشروعية العدوان على دول الشرق الأوسط فأذا كان

هذا العدوان من الكتلة الغربية فأن المستر دالاس لا يتعرض له وإنما يضع للدولة المعتدى عليها شروطا تطلب النجدة بمقتضاها وإلا هاجمتها أمريكا بالإضافة إلى الذين يهاجمونها من حلفاء الغرب !

أليس هذا التفسير سخريّة أيّة سخريّة !

أن الشرق الأوسط يعرف أعداءه يا مستر دالاس وهم ليس من الكتلة الشرقية بل هم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل حلفاء وشركاء أمريكا فى الغرب والاطنطى ، وفرسان مؤامرة أكتوبر سنة 1956.

أن الذين يبيعون للشعب المصرى القمح ليس هم أعداءه يا مستر دالاس .

والذين يقفون إلى جانب العرب وقت المحنة ليسوا هم أعداء

العرب يا مستر دالاس .

والذين لا يجمدون أموال الشعب المصرى بل يبيعونه السلاح

لكى يدافعوا عن أوطانهم ليسوا هم أعداء العرب ولا أعداء مصر يا

مستر دالاس .

ولن تخيف مظاهرات القوة أحدا يا مستر دالاس .

ولن تفيد الحرب الباردة مع أحرار صمموا على الحرية يا

مستر دالاس .

وقد نشرت جريدة " هيرالد تريبيون " تعليقا للمعلق السياسى

"دافيد لورنس " روى فيه حديث المستر دالاس فى الجلسة السرية

أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس .

وحين تحدث المستر دالاس عن أمريكا وشئون أمريكا فى

جلسة سرية أو علنية ، فأن هذا أمر يخصه ويخص بلاده .

أما إذا تحدث المستر دالاس عن مصر فى جلسة سرية أو علنية ، أمام أية هيئة فى بلاده أو خارجها ، فإن هذا أمر يخصنا نحن فى مصر ويحق لنا أن نصح للمستر دالاس معلوماته التى تحتاج دائما إلى التصحيح .

لقد تحدث المستر دالاس أول ما تحدث فى الجلسة السرية عن مشروع تقديم المساعدات المالية لمصر ، فقال :

" ليس هناك أى مشروع لتقديم مساعدات مالية لمصر فى الوقت الحاضر ، ولكننا نأمل أن تتحرر مصر من النفوذ الشيوعى خلال عام أو عامين ، ومن ثم تصبح مصر أهلا للمساعدة ! "

وأول ما نرد به على موزع الأرزاق دالاس ، هو سؤال بسيط :

— لماذا أختار لكلامه جلسة سرية بدلا من جلسة علنية ؟

كنت أريد من المستر دالاس أن يكون شجاعا فيدلى بآرائه فى العلن بدلا من أن يستتر وراء الجدران .

فمصر لم تطلب مساعدة من أمريكا ، ولن تطلب مساعدة من أمريكا ، هذا كلام صدر فى بلاغ رسمى مصرى من قبل أن يدلى المستر دالاس بآرائه خلف الجدران .

فلماذا يصر المستر دالاس على التفكير فى حال مصر وأهليتها وعدم أهليتها للمساعدة ، إذا كان كل حجر فى مصر يرفض بل يستنكر مثل هذا التهجم على مصر بأسم المساعدات ؟

ثم ، ما هذا الجهل الذى لا يفتأ يردده المستر دالاس عن النفوذ الشيوعى فى مصر ؟

لقد كان الأجدر بالمستر دالاس أن يتكلم علنا لكى يرد عليه العالم كله معنا .

الآن مصر اشترت بحر مالها سلاحا من الكتلة الشرقية من غير قيود بل عن طريق تجارة حرة شريفة لكي تدافع عن نفسها ضد عدوان ربيبة الغرب إسرائيل ، تصبح مصر خاضعة للنفوذ الشيوعى ويحرض عليها المستر دالاس قواته بعد أن فشلت قوات حلفائه ؟
أم أن مصر لكي لا تكون خاضعة للنفوذ الشيوعى فى نظر الإله دالاس جل جلاله كان يجب عليها أن تبيع استقلالها وسيادتها لأمريكا وبريطانيا ، فتسلم لهما أرضها وتدخل أحلافهما وتسلم لإسرائيل صنيعتهم وتركع أمام عدوانها المسلح بأسلحتهم ؟
والشعب المصرى الذى يتحدث عنه المستر دالاس
أليس هذا الشعب هو الذى عاقبه المستر دالاس فى يوليو سنة 1956 بالانسحاب من تمويل السد العالى الذى سيجلب له الرخاء ؟
أليس هذا الشعب الذى عاقبه المستر دالاس بتجميد أرصده مجاملة لفرنسا وبريطانيا المعتديتين المجرمتين ولا زال يجاملهما على حسابه حتى اليوم ؟
أليس هذا الشعب هو الذى عاقبه المستر دالاس بتجويعه فرفض أن يبيع له القمح أخيرا ؟
مالك وللشعب المصرى يا مستر دالاس ؟
ولماذا يخيفك جمال عبد الناصر فتفقد وعيك وصوابك ؟
أننى مشفق عليك يا مستر دالاس من مصير ابن عمك الراحل
ايدن .

ولقد كانت لايدن على الأقل جرأة فى وقاحة
أما أنت فأنتك تختفى وراء الجدران وأنت تتحدى الرجال .

الفراغ . . وحكايتان

" والفراغ " تعبير استعماري كرهه تلجأ إليه بعض الدول لكى تخفى نواياها فى السيطرة وفرض الإرادة .

ولقد التقيت بهذا التعبير مرتين ، المرة الأولى حين كنت أتصفح محاضر جلسات المفاوضات المتعددة التى عقدت بين مصر وبريطانيا فى مختلف العهود .

كانت بريطانيا تحتج دائما بكلمة الفراغ لكى تظل قواتها تحتل مصر ، ولو سلمنا نحن بهذه النظرية لظلت جنود بريطانيا إلى يوم القيامة تحتل أرض مصر .

وكان تحليل بريطانيا لهذه الكلمة وقتها هو أن جلاء الجيوش البريطانية عن أرض مصر يستلزم أن يكون لدى مصر جيوش تماثلها قوة وعتاد لكى تأخذ مكان الجيش البريطانى وإلا حدث "فراغ" بعد الجلاء .

وفى نفس الوقت الذى يقولون فيه ذلك يمنعون عن جيش مصر السلاح بمختلف الحجج لكى يظل ضعيفا وبذلك تكمل الحلقة المفرغة ، أى لا جلاء الا بعد أن يتقوى الجيش المصرى وهم لن يسمحوا بتقويته أبدا لأن التسليح فى يدهم فتظل الجنود البريطانية إلى الأبد تحتل أرض مصر !

أما المرة الثانية التى التقيت فيها بهذا التعبير فكانت يوم 26 يوليو سنة 1952 .

وفى هذه المرة سمعت نفس الكلمة لمعنى آخر ولكنه معنى
استعماري خبيث .

فأنه بعد أن عرفت الإسكندرية فى حوالى الساعة الحادية
عشرة من صباح ذلك اليوم أن فاروق قد أمضى وثيقة التنازل عن
العرش ، بدأت وفود المهنيين تتقاطر على القيادة العامة فى مصطفى
باشا .

وفوجئنا بالسفير البريطانى بالنيابة يطلب الزيارة ، ثم جاء هو
والملقب العسكرى البريطانى ، وما أن جلس حتى أخرج من جيبه
ورقة أخذ يقرأ محتوياتها علينا .

بدأت هذه الورقة بالتهنئة طبعاً ثم تلا ذلك قراءة بعض النصائح
التي توجب الصداقة بين البلدين على بريطانيا أن تقدمها لمصر فى
هذه الظروف كنص تعبير السفير البريطانى بالنيابة !
وكانت هذه النصائح عبارة عن الآتى :

1 - أن يفرض حظر التجول فى الإسكندرية خوفاً على حياة
الأجانب .

2 - أن يشكل مجلس وصاية على العرش حتى لا يكون هناك
"فراغ" .

3 - أن يحترم حق أسرة محمد على فى ولاية العرش .
اذكر أننا ظللنا فى ذلك اليوم نضيق الخناق على السفير
البريطانى بالنيابة بعد أن رفضنا هذه الطلبات جملة وتفصيلاً لأنها
من الأمور الداخلية لمصر حتى اضطر السفير البريطانى بالنيابة أن
يعتذر ويعلن أن الحكومة البريطانية لم تكلفه بهذه الرسالة على
الإطلاق وأن ما دفعه إلى تقديم هذه النصيحة هو الصداقة فقط ،

وأخيرا طلب منا أن ننسى هذا الموضوع كلية وانسحب مشيعا بالاحتقار .

أعود إلى تعبير " الفراغ " فإنه فى البند الثانى من نصائح بريطانيا يومها كانت نصيحة تشكيل مجلس وصاية لكى لا يحدث " فراغ " .

ولم يتضح يومها هدف بريطانيا الحقيقى من هذا الطلب وقتنا أنهم يخشون من إقامة الجمهورية فى مصر . إلا أنه حدث بعد ذلك بشهر وبعد أن وصل السفير البريطانى من أجازته أن أفصح عن نية بريطانيا .

لقد كانت بريطانيا تريد تنصيب الأمير السابق محمد على أبى توفيق الخائن وعميل الإنجليز رئيسا لمجلس الوصاية أو وصيا وحده على العرش .

ومعنى هذا أن يكون رأس الدولة تحت سيطرتهم وعميالا من عملاتهم .

وهذا لون آخر من ألوان استعمال كلمة " الفراغ " ! واليوم أخشى أن تقع أمريكا فى نفس أخطاء بريطانيا التى نسفتها وقذفت بها إلى أسفل سافلين .

فيجب أن تعرف أمريكا وتحدد معنى كلمة الفراغ بدلا من أن تستعير تعارف بريطانيا لهذه الكلمة .

فالفراغ الوحيد الذى كان فى الشرق الأوسط هو الدس والمؤامرات التى كانت تحكيها بريطانيا للإيقاع بين شعوبه وبين أبناء البلد الواحد .

والفراغ الوحيد الذى كان فى الأردن مثلا هو جلوب والمعاهدة
وقد ذهبنا ، وأمتلئ الفراغ بأبناء الأردن وبالأسلحة العربية غير
المقيدة بشروط .

والفراغ الوحيد الذى كان فى مصر هو الاتفاقية المصرية
البريطانية التى جلبت على مدننا القنابل البريطانية وقتلت نساءنا
وأطفالنا باسم الصداقة وقد ذهبت هذه الاتفاقية إلى الجحيم وأنسد
الفراغ إلى الأبد .

والفراغ الوحيد الذى كان فى سورية هو المؤامرة التى
تصنعها بريطانيا وعملاؤها لتمزيق الوطن السورى وتوزيعه على
إسرائيل وتركيا ، وقد قضت سورية على هذه المؤامرة فى مهدها
وهى على أتم استعداد للقضاء على الجديد منها .

لقد ظلت بريطانيا تتوسل بنظرية الفراغ حتى دمرت مصالحها
ومركزها نهائيا فى الشرق الأوسط .

وبريطانيا اليوم تحبك المؤامرات فى محاولة يائسة لكى
تستعيد سمعتها ومركزها ولكنها على العكس من ذلك تتردى فى
الفشل والفضيحة والعار كل يوم . . .

وليس عندنا فراغ فى الشرق الأوسط بعد أن أنسد بدفن النفوذ
البريطانى المتآمر إلى الأبد .

والذى عندنا اليوم فى هذه المنطقة هى أرادتنا وتصميمنا على
التحرر والمحافظة على سيادتنا كاملة .

لدينا اليوم صداقة فقط ، من يريدنا يجب أن يكون شريفا
ومن يحاول التلاعب بها فلينتظر مصير بريطانيا وبئس المصير .

الفصل الثامن

ماذا يريد العرب ؟

على هامش البيان

كتبت مقالات هذا الفصل بمناسبة البيان الذى أصدره المؤتمر العربى المنعقد من الملك سعود ، وفخامة شكرى القوتلى ، والرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين الذى عقد فى فبراير سنة 1957 ، وأعلنوا فيه التمسك بالوحدة العربية ، وحقوق العرب فى فلسطين ، وسيادتهم على أراضيهم ومياهم والتمسك بسياسة الحياد الإيجابى محافظة على مصالحها القومية ، ونبدأ بنشر هذا البيان :

نص البيان المشترك

عقد فى القاهرة فى الفترة ما بين 25 رجب عام 1376 الموافق 25 فبراير سنة 1957 و27 من رجب سنة 1376 الموافق 27 فبراير سنة 1957 اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وجلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم ، وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التى يعقدونها بين آونة وأخرى لدراسة الموقف الدولى والتباحث فى القضايا التى تمس الأمة العربية وتؤثر فى مجرى حياتها ونهوضها وتقديمها وحفظ كيانها .

جهود الملك سعود فى أمريكا

ولقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التى بذلها صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية وما أوضحه جلالتة للمسؤولين فيها من وجهات النظر العربية حول مشاكل الشرق الأوسط ومتناوله البحث من أمور .

سيادة مصر على القناة وعواقب عدم الانسحاب

كما أوضح جلالتة للرئيس الأمريكى بصورة خاصة حقوق العرب وقضاياهم بما فى ذلك العدوان الأخير على مصر ونتائجه ، وحق مصر فى سيادتها على قناة السويس ، وخطورة ما ينتج عن تمرد إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة التى تنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطاع غزة وخليج العقبة إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وذلك دون تحقيق أى مكاسب لإسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثى .

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها فى المجتمع الدولى وأن تساهم بنصيبها فى إرساء العلاقات الدولية على أسس تنجو بها نحو السلام والعدالة والرخاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها .

أن الدول العربية المجتمعة وقد ازدادت قوة بوعى شعوبها ، وازدادت أيماناً بسلامة أهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكد ما سبق أن

أعلنته من عزمها على تجنب الأمة العربية مزار الحرب الباردة والبعث عن منازعتها ، والتزام سياسة الحياد الايجابي محافظة بذلك على مصالحها القومية ، وكذلك تؤكد أن الدفاع عن العالم العربي يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقي وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية .

ويرى المجتمعون أنه رغم قرارات الأمم المتحدة وأجماع الرأي العام العالمي بضرورة انسحاب إسرائيل إلى ما وراء خطوط الهدنة فإن العدوان الثلاثي ضد مصر لا زال قائما بجميع آثاره ومظاهره طالما لم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب دون قيد أو شرط .

6 قرارات

- كما يرى المجتمعون أنه مما يهدد الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالي قطاع غزة على يد إسرائيل من أشد ألوان التنكيل والتعذيب ، ولذلك قرر المجتمعون :
- 1 - العمل على انسحاب إسرائيل فورا إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط .
 - 2 - التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياهم الإقليمية .
 - 3 - وجوب تعويض مصر من قبل الدول المعتدية عن جميع الأضرار والخسائر التي لحقت بها من جراء العدوان .
 - 4 - رفض جميع المحاولات التي تتجه لانتقاص من سيادة مصر وحقوقها في قناة السويس إذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من

مصر وسيادتها عليها كاملة ، وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقا
لأحكام اتفاقية القسطنطينية سنة 1888 .

5 - استنكار العدوان البريطاني على أراضى اليمن والتضامن معها
فى صد هذا العدوان .

6 - التأييد المطلق لحق عرب الجزائر فى الحرية والاستقلال
وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار .

ويرى المجتمعون أن سياستهم التحررية المنبعثة عن أيمانهم بحق
أمتهم فى أن تحيا حرة مستقلة ، والمستندة إلى قوميتهم العربية
التي برهنت للعالم أنها حقيقة قائمة ، لتزيدهم تضامنا فيما بينهم
لبلوغ أهداف الأمة العربية فى الحرية والوحدة والتقدم .

لقد صيغت كل كلمة وكل جملة فى بيان الكبار بحيث تعبر عن
مشاعر وأحاسيس العرب فى كل مكان وبحيث تعلن الدنيا كلها أين
تقف القومية العربية المتحررة .

ففى عبارة رصينة واضحة يقرر البيان أن العرب يرحبون بكل
يد تمتد لمصافحتهم ، فالعرب لا ينتصرون لمعسكر على معسكر ،
وأما يريد العرب الحرية والسيادة لأوطانهم والسلام والأمن للعالم
أجمع .

وحين يتمسك الكبار بأسم شعوبهم بمبدأ الحياد الإيجابى فأنما
هم يؤكدون رغبة شعوبهم وشعوب كثيرة من هذا العالم فى تجنب
كل ألوان الحرب من باردة إلى ساخنة حتى تتوجه كل الجهود إلى
بناء المجتمعات ورفع مستوى معيشة الفرد من أجل رخاء بنى
الإنسان .

ومن الطبيعي أن لا يفرض على أى إنسان الطريقة التى يحمى بها بيته ، لذلك كان البيان موفقا أروع التوفيق حين قرر أن الدفاع عن العرب يجب أن ينبثق من داخل العرب لا أن يفرض عليهم من الخارج على صورة أحلاف أو موثيق فكل عربى يهمله أمر الدفاع عن بيته وأهله ودياره ، وتاريخ العرب فى هذا الشأن كله بطولة وشجاعة وتضحية وأباء ، لذلك فأن المنطق يحتم أن يكون أمر هذا الدفاع منبثقا من كيان صاحب المصلحة فى هذا الدفاع لا أن يفرض عليه فرضا من خارج أهله ودياره وأرضه .

لقد أحاط البيان بجميع المشاكل التى تواجه الأمة العربية وأظهر فيها للعالم الخارجى الخطأ والصواب ، وأظهر أكثر من ذلك أن القومية العربية أصبحت حقيقة لا يمكن تجاهلها وأنها ليست متعنتة ولا صاحبة ولا متجنية وإنما هى تسعى وراء الحقوق الشرعية المقدسة للعرب فى أوطانهم وديارهم من غير عدوان على أحد ولا مساس بحقوق أحد .

ولن يرفض العرب أبدا مصافحة اليد التى تمتد إليهم بالحق والعدالة والمساواة .

ولن يفرط العرب فى حقوقهم ما عاش عربى فى أطراف هذه الأرض .

وكما كان العدوان الثلاثى نقطة تحول فى تاريخ العالم كله فأن بيان أقطاب العرب نقطة تحول فى تاريخ الأمة العربية ومن خلال سطور هذا البيان نستطيع نحن العرب أن نقرأ قصة كفاح الأمة

العربية ومراحل تطورها عبر السنين وهى القصة التى كتبتها ولا تزال نكتبها إلى يومنا هذا بدماء العرب وعزيمة العرب .

وقد أستهل أقطاب العرب البيان بشكر أخيهم الملك سعود على ما قام به من جهود خلال زيارته للولايات المتحدة وما أوضحه جلالته للمسئولين فيها من وجهات النظر العربية .

أما ما تحسه الشعوب العربية نحو سعود فهو شئ أكثر من الشكر وأروع من الامتنان ، أنه الفخر بهذا العاهل العربى الذى حمل الأمانة عن العرب جميعا فأداها ، وناقش وناضل لا من أجل المملكة السعودية وإنما من أجل الأمة العربية جمعاء .

لقد سافر الملك سعود إلى الولايات المتحدة فى ظروف عصبية مشحونة .

فأنه بعد فشل العدوان ، كان لابد أن يعرف المسئولون فى الولايات المتحدة حقيقة وجهة النظر العربية التى شوحتها بريطانيا وفرنسا بمختلف الادعاءات والأباطيل ، وتشوها إسرائيل كل يوم عن طريق النشاط الصهيونى المريب .

وفى الولايات المتحدة أربعة معسكرات تعمل ضد العرب ، المعسكر الأول هو أولئك الذين يعطفون على إنجلترا والمعسكر الثانى هو أولئك الذين يتحيزون لفرنسا ، والمعسكر الثالث هو ذلك الذى ينتصر لإسرائيل .

أما المعسكر الرابع وهو الأهم فهو أولئك الأمريكيون الذين يعتقدون أن مجرد شراء مصر للأسلحة من الكتلة الشرقية معناه أن مصر قد أصبحت عدوة أمريكا ، وأن إصرار العرب على الحياد الإيجابى يضر بمصالح أمريكا .

لذلك جاءت زيارة الملك سعود حاسمة ، فالملك سعود لم يكن يتحدث بأسم السعودية وحدها وانما كان يتحدث بأسم سورية وباسم الأردن وباسم مصر وباسم كل عربي يعرف العزة والكرامة .
وعاد إلينا سعود بعد أن أدى واجبه وأرضى ربه وضميره وأمته ، فقد قال كلمة الحق واضحة عالية فسدنا به نحن العرب ، وقد عرفناه دائما حريصا على العهد ثابتا على المبدأ ، أذا للعرب فى السراء والضراء .

فماذا يريد العرب ؟

وما هى حقيقة المعركة ؟

ماذا يريد العرب؟

وهل يخدم العرب فى مرحلة كفاحهم الحالية روسيا أو الشيوعية ؟

وهل فى التزام العرب لمبدأ الحياد الايجابى ما يهدد أمن أمريكا أو غيرها من الدول ؟

أننى أذكر الأيام القليلة التى تلت إيقاف إطلاق النار فى 7 نوفمبر سنة 1956 ، وأذكر أن بريطانيا وفرنسا لكى تغطيا موقفهما أمام أمريكا لجأتا إلى الترويج لما أسموه وقتذاك المؤامرة الشيوعية الكبرى التى زعموا أن مصر كانت تعد لها مع روسيا لكى يدخل الشرق الأوسط كله تحت سيطرة الشيوعية بمساعدة مصر ، وذهب خيالهم إلى الحد الذى قالوا أنهم عثروا على مستندات تؤيد هذا الزعم ، ثم خرجت إسرائيل على العالم بحكاية استيلائها على ما قيمته خمسون مليوناً من الدولارات من الأسلحة

والعتاد الروسى وردت بريطانيا على الفور هى وفرنسا بأن كميات هائلة من الأسلحة الروسية كانت مخزونة فى مصر وفى انتظار المتطوعين الروس لكى يستخدموها !

واذكر أيضا أن حديث هذه المؤامرة قد أنهار وتوقف فجأة بعد أن أعلنت مصر تحديها لمن يثبت هذه الخرافة الكبيرة ، وطلبها – أى مصر – من هيئة الأمم المتحدة أن تقوم على الفور بالتحقيق . اذكر أيضا أن أيدن صاحب فكرة هذه الخرافة أمسك فجأة عن الخوض فى الحديث عنها بعد أن كان قد لمح لمجلس العموم البريطانى عنها ، بل أكثر من ذلك أنهار وخارت قواه وخرجت زوجته فى حفل قبل سفرهما إلى جمايكا لكى تنفى باسمه حديث تلك الخرافة عن المؤامرة الشيوعية .

نخرج من هذه الرواية بعدة حقائق .

الأولى هى أن بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أرادوا فى محاولة يائسة بعد فشل مؤامرتهم أن يبرروا عملهم العدوانى ضد مصر أمام العالم وأمام أمريكا على وجه الخصوص بعد أن فشلوا فى عدوانهم وفى جعله أمرا واقعا .

والثانية هى أن المتآمرين الثلاثة اختاروا فى هذه المحاولة اليائسة أن يضربوا على الوتر الحساس عند أمريكا وهو الشيوعية لكى ينالوا تأييدها للجولة الثانية .

ثم بدأت بعد ذلك الحملة المضللة ضد سورية واتهامها بأنها تعد للهجوم على تركيا تارة وعلى العراق تارة أخرى بمساعدة روسيا ، وأن أسلحة روسية قد تكدست فيها إلى آخر ما يعرفه كل من عاش أحداث سنة 1956 ، وانتهت هذه الحملة بالفشل أيضا

عندما صمدت مصر وكشفت سورية عن المؤامرة التي كان يراد بها تمزيقها وجعلوا من تلك الحملة تمهيدا لها .

وهدف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل هو تضليل العالم عن حقيقة أهداف كفاح التحرر العربى فى مرحلته الحالية وأقناع أمريكا على وجه الخصوص أن العرب أنما يخدمون فى مرحلة كفاحهم الحالية روسيا والشيوعية !

أما بالنسبة للعالم فأن الخدعة لم تنطل على شعوبه ، وظهر استنكار العالم المرة تلو المرة فى القرارات التى اتخذتها الأمم المتحدة فيما يشبه الإجماع باستنكار العدوان ودمغ المعتدين بالتآمر والتنكر للخلق والمواثيق الدولية .

أما بالنسبة لأمريكا فأنها وأن سايرت الرأى العام العالمى وأيدت قرارات الأمم المتحدة فأن هذه السياسة على ما بدا ليست إلا سياسة أيزنهاور الشخصية وليست سياسة حكومته ولا الكونجرس ولا كثير من ذوى السلطة والنفوذ بأمريكا ، أولئك الذين وصفتهم من قبل بأنهم معسكرات تعطف على بريطانيا واخرى على فرنسا وثالثة على الصهيونية ، ورابعة تعتبر أن فى شراء مصر وسورية السلاح من الكتلة الشرقية وتمسك العرب بمبدأ الحياد الإيجابى ما يهدد أمن ومصالح أمريكا .

وقد يكون من الخير أن نعود فنشرح نحن العرب أهداف كفاحنا التحررى للعالم كله ، ولأمريكا على وجه الخصوص لكى نبرئ ذمتنا فى هذا الوقت الذى يجتاز فيه العالم مرحلة تطور خطيرة لا يجب أن نهمل فيها الحقائق أو نزور الوقائع .

ومحور كفاحنا العربى التحررى اليوم هو الحياد الإيجابى وهو
ليس كلاما حماسيا نقوله ، أو نكرة سياسية نستخدمها للمناورة فى
ميدان السياسة وإنما هو أيمان ينبع من قلب كل عربى وحقيقة
تاريخية يحتمها الكفاح العربى عبر السنين فلقد جربنا نحن العرب
سياسة الانحياز فخرجنا منها ممزقين مستعمرين وضاعت أرضنا
وتشرد أهلنا وذبحت أطفالنا . . .

ولنعد إلى التاريخ

فقبل الحرب العالمية الأولى وفي أثناءها قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين من أجل تحقيق أهداف التحرير العربى، وكانت هذه الثورة منحازة إلى بريطانيا، فما الذى حدث؟ حارب الشريف حسين إلى جانب بريطانيا ضد تركيا وألمانيا، وكانت أعمال البطولة التى قام بها المرحوم الملك فيصل بن الحسين هو وجيشه العربى هى العامل الحاسم فى الانتصارات التى كسبها الحلفاء بقيادة النبى فى فلسطين وسورية ولبنان بتلك السرعة الخاطفة مما أخرج تركيا وهى حليف ألمانيا الرئيسى من الحرب، وترتب على ذلك انتصار الحلفاء فى الغرب كما فى الشرق

وكان جزاء العرب من بريطانيا وفرنسا ليس التجاهل فقط، وإنما بيعت فلسطين لليهود علنا بإصدار وعد بلفور سنة 1917 فى الوقت الذى كان مداد اتفاقاتهم مع الشريف حسين لم يجف، وأغارت فرنسا على سورية بعد النصر وفرضت عليها سيطرتها بالحد يد والنار بعد أن قتلت أبناءها فى ميسلون وضربة شق بالقنابل وقتلت وذبحت الأبرياء تحت اسم الانتداب

وانفردت بريطانيا بفلسطين وأخذت تمهد للصهيونية ولقيام إسرائيل بشنق أهلها من العرب وتجريدهم من السلاح ومن كل ما يدافعون به عن أنفسهم، وبسن القوانين التى تبيح لليهود كل شىء وتحرم العرب أصحاب الأرض والوطن من كل شىء .

وانفردت بريطانيا أيضا بمصر ففرضت عليها حمايتها ثم احتلالها، وبالعراق ففعلت معه المثل، ولا تزال إلى يومنا هذا تفرض سيطرتها عن طريق الأحلاف والعملاء في العراق بعد أن طردت من مصر ثم هزمت في معركة العدوان .

لم تقتصر مكافأة بريطانيا للغرب على انحيازهم لها في الحرب على فلسطين ومصر والعراق فقط وا. ما امتدت إلى الخليج الفارسي وجنوب الجزيرة العربية واليمن على نحو ما كتبتة الصحف وقتذاك.

ونفس الحال ينطبق على فرنسا حليفة بريطانيا التي انحاز لها العرب في الحرب الأولى، فهي التي هدمت دمشق، واستعمرت تونس ومراكش ، ونزعت ملكية الجزائر فادعت انهما أرض فرنسية وان أهلها العرب المسلمين إنما هم من اللاتينيين الفرنسيين كان هذا ثمن الانحياز بعد الحرب الأولى .

أما في الحرب الثانية وحوادثها لا تزال ماثلة في أذهاننا، فان العرب لم يكونوا قد آمنوا بعد بالحديث الذي يقول: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " فانحازوا أيضا إلى جانب الحل نماء، وكان جزاؤهم في هذه المرة أشد وأنكى من جزائهم بعد الحرب الأولى فانه ما ان انتهت هذه الحرب حتى هبت الشعوب تطالب بحريتها واستقلالها حسب مبادئ الأطلنطي المشهورة، بعد أن قامت بواجبها في نصره الحلفاء وسخرت أرضها وبلادها وأقواتها لخدمة قضيتهم.

وها هو ملخص ما جنيناه نحن العرب من سياسة الانحياز: قدمت العراق أرضها وموانئها ومطاراتها وأموالها لبريطانيا وحين

قام الشعب العراقي يطالب، حقه فى الاستقلال بعد النصر كان جزاؤه أن قدمت إليه أولا معاهدة بورتسموث فلما ثار ورفضها. وضعت بريطانيا فى الحكم عميلها الأول، فصادر حريات الشعوب وأقفل الصحف وملا! السجون والمعتقلات بالأحرار والأبرياء وأمضى مع بريطانيا رغما عن إرادة الشعب حلفا أنكى وأبشع من معاهدة بورتسموث، والى يومنا هذا لا يزال شعب العراق يئن ويكافح .

وقدمت مصر أرضها وموانئها ومطاراتها لخدمة بريطانيا وقضية الحفاء، وأقرضت مصر، بريطانيا أربعمئة مليون جنيه استرليني اقتطعتها من أقواتها لكى تطعم جنود بريطانيا وجنود الحفاء، وضربت القاهرة والإسكندرية بقتابل الطليان والألمان وماتت المئات من المصريين لان قواعد بريطانيا كانت على أرضهم حول بيوتهم، ودافع الجيش المصرى عن قناة السويس وشهد له قواد، بريطانيا، وبيع قطن مصر بسعر التراب لبريطانيا لأنها كانت تريد ذلك، وأودع المصريون الأحرار السجون والمعتقلات كما كانت تشاء بريطانيا ، وفرض على مصر حكم إرهابى طيلة فترة الحرب كإرادة بريطانيا .

وجاء النصر .

وذهب رئيسى وزراء مصر بعد انتصار الحفاء سنة 1945

الى السفارة البريطانية فى القاهرة لكى يسلم السفير البريطانى مطالب مصر فى جلاء قوات بريطانيا واستكمال سيادة مصر، فما كان من السفير البريطانى الا أن اعتبر أن هذه المطالب سفه من مصر وجنون ما بعده جنون، وقامت المظاهرات فى مصر تطالب

بالجلاء سنة 1947 فتصدت لها جنود بريطانيا فى ميدان
الإسماعيلية وأطلقت رصاص الإمبراطورية على شباب مصر فقتلته
وفعلت نفس الشئ فى الإسكندرية، ثم وقف تشر شل يطالب مصر
بعد كل الذى أدته لبريطانيا بثمن حماية بريطانيا لمصر!
وكانت خاتمة المطاف ذلك العدوان الغادر الذى دبرته بريطانيا
على مصر وهى لم تزل مدينة لمصر بل إنها إمعانا منها فى حفظ
الجميل لمصر جمدت ما لمصر عليها من دين أخذته وقت شدتها
أقواتا وأموالا .

وفى سورية، ضربت دمشق للمرة الثانية بالقنابل بعد الحرب
الثانية ودمرت دار البرلمان لان سورية قامت تطالب بحقها فى
السيادة والاستقلال بعد أن حمت ظهر فرنسا فى الحرب الثانية .

وفى لبنان اعتقل رئيس جمهوريته ورئيس وزرائه بمعرفة
السلطات الفرنسية علنا وعلى رؤوس الأشهاد وأودعا قلعة أراشيا
لان لبنان كان يطالب فرنسا بالوفاء بالعهد والجلاء عن البلاد .

وفى المغرب، حارب الجنود المغاربة فى صفوف الحلفاء من
أجل قضيتهم ضد المحور، ولا تزال موقعة كاسينو المشهورة فى
إيطاليا تروى قصص البطولة الخالدة للجنود العرب من المغاربة،
وما أن انتهت الحرب حتى كان جزاء مراكش البطش والتقتيل من
قبل فرنسا إلى أن جاء اليوم الذى خلعت فيه فرنسا سلطان مراكش
ونفته لانه تمسك بحقوق شعبه فى الحرية والاستقلال، ولا تزال

فرنسا إلى يومنا هذا تحتل مراكزها حتى بعد أن أمضت معها معاهدة الاستقلال .

وكان جزاء تونس أن راحت الجمعيات السرية الفرنسية تشيع القتل والتخريب في تونس لمجرد إنها قامت تطالب بالاستقلال، ولا تزال تونس تكافح إلى يومنا هذا بقاء الجيوش الفرنسية والموظفين الفرنسيين .

أما الجزائر، فان فرنسا قد كافأتها بمحاولة تأكيد نزع ملكيتها من جديد، وبتجنيد أسلحة وأساطيل حلف الأطنطى لإبادة شعبها وتقتيل نساءها وأطفالها، لا لشيء إلا لأنهم يطالبون بحقهم في الحياة الحرة الكريمة على أرضهم .

وفي اليمن اليوم قتال، وفي جنوب الجزيرة العربية قتال، وفي البحرين نضال، وعلى البوريمي اعتداء، وعلى أمانة عمان اعتداء، وبريطانيا التي وقفنا إلى جانبها في الحرب الثانية هي المعتدية في كل هذه الأماكن العربية التي تبعد عن بريطانيا آلاف الأميال .

وكانت أبشع جريمة ارتكبتها بريطانيا وحلفاؤها بعد الحرب الثانية في حق العرب الذين وقفوا إلى جانب قضية الحلفاء هي مأساة فلسطين العربية .

إن هذه الجريمة ستظل وصمة في جبين الإنسانية ووصمة لأولئك الذين تسببوا فيها لن تمحى من القلوب والأذهان .

شعب يطرد من أرضه ودياره وبيوته ويؤتى بعصابات من قطاع الطرق لتملك الأرض ، وتملك الديار وتسكن البيوت وأصحابها مشردون هائمون، ثم يعترف بتلك العصابات كدولة !

لقد صنعت بريطانيا هذه الجريمة منذ سنة 1917 وأتمها ترومان سنة 1!48 باسم أمريكا حين اعترف بدولة قطاع الطرق. كان هذا هو ثمن انحيازنا نحن العرب فى الحربين الماضيتين، من أجل ذلك كان حتما وضروريا أن يتجه الكفاح التحررى العربى إلى الحياد الإيجابى بعد أن قاسى العرب من سياسة الانحياز كل هذه الكوارث والأهوال .

ولن يعوق هذا الكفاح اليوم أو يعطله اتهام البعض له بأنه يخدم روسيا أو يخدم الشيوعية، فلطالما اتهم الكفاح العربى فى الماضى بأنه يعمل لصالح قوة أجنبية ولكن ذلك الاتهام لم يكن ليعيش أو يعيق زحف القومية العربية، ففى جميع مراحل كفاح الأمة العربية، كان أعداء العرب أو الذين لا يفهمونهم يحاولون اتهام كفاحهم بأنه فى صالح جبهة أجنبية فقبل الحرب العالمية وأثناءها، أشيع أن الحركة الوطنية العربية تخدم مصالح المحور النازى الفاشستى .

واليوم تزعم بعض الجهات إن الحركات الاستقلالية العربية إنما تخدم مصالح روسيا وأنها لذلك تلقى منها التشجيع والتحريض!

وقد أثبت التاريخ أن الكفاح العربي فى جميع مراحلہ أنما كان دائما من أجل العرب، والعرب وحدهم .

فبمجرد انتهاء الحرب الأولى أصبح الكفاح العربى موجها ضد بريطانيا بعد أن استيقظ العرب على حقيقة مريرة مؤلمة هى أن بريطانيا كانت تستغل ثروتهم لصالحها وبدلا من أن تعترف باستقلال البلاد العربية التى انسلخت عن الإمبراطورية العثمانية بادرت بفرضت سيطرتها عليها .

ولو انتصرت دول المحور فى الحرب الثانية وحاولت فرض سيطرتها على البلاد العربية لقاومتها هذه البلاد كما قاومت بريطانيا وفرنسا من أجل الحرية والاستقلال .

كيف يفهمون الحياد؟

نخلص من ذلك إلى أن اتهام الكفاح العربى اليوم بأنه فى خدمة روسيا أو الشيوعية إنما هو سخف يريد به أعداء العرب تشويه نضالهم، وأبسط دليل على ذلك أن الشيوعية محرمة فى معظم البلاد العربية فى الوقت الذى تقوم فيه فى فرنسا وفى بريطانيا وفى أمريكا أحزاب شيوعية رسمية .

إلا أن هناك حقيقة أخرى يجب ألا نغفلها، وهى فهم روسيا للحياد الإيجابى وفهم الغرب للحياد الإيجابى .

فعندما نشأت فكرة الحياد، خشى الاتحاد السوفيتى أن تكون هذه الفكرة معادية له، وأخذ فى مهاجمة الداعين لها، وحين اتضح له إن الحياد يعنى عدم الانحياز إلى كتلة دون أخرى وأن هدفه هو السلام، بادر فغير موقفه من المحايدى وأصبح يحترم سياستهم، وأبلغ مثل على ذلك علاقة الاتحاد السوفيتى بالهند وعلاقته بمصر .

فليست الهند ولا مصر بلادا شيوعية، ومع ذلك تقوم بين البلدين وبين الاتحاد السوفيتى علاقات أساسها الاحترام المتبادل على قدم المساواة ، وعدم التدخل فى شئون الغير وحرية كل بلد فى اختيار النظم التى يختارها، فلم يحدث مثلا أن وضع الاتحاد السوفيتى شروطا لشراء قطننا. ولم يطلب منا الاتحاد السوفيتى إقامة قواعد فى أرضنا. ولا الدخول فى أحلاف ضد أحد ولا فرض علينا بعثة عسكرية ولا حاول من قريب أو بعيد أن يتدخل فى شئوننا.

أما فهم الغرب لفكرة الحياد الإيجابي فما زال بعيدا كل البعد عن
الواقع والصواب .

ففى بريطانيا وفرنسا مثلا يعنى الحياد الإيجابي ضياع
سيطرتها الاستعمارية على دول كانت بالأمس نهبا لهم يتصرفون
فى أرزاقها ومقدرتها .

وفى أمريكا لا تزال الكثرة تعتقد ان الحياد الإيجابي ليس الا
شعار للشيوعية وهم للأسف لا يزالون يقولون بمبدأ: من ليس معنا
فهو علينا .

وهذا خطأ فاحش يقع فيه الغرب اليوم لا بالنسبة للعرب وحدهم
وانما بالنسبة لشعوب كثيرة فى مختلف أنحاء العالم ان الحياد
الإيجابي بغض النظر عن كل اتهامات أصبح ضرورة حتمية يقتضيها
التطور فى هذه المرحلة من مراحل كفاح الأمة العربية ومفهومنا له
نابع من صميم تاريخنا المرير فى الكفاح ومقاومة السيطرة الأجنبية.
فالواقع يحتم علينا ألا ننحاز لكتلة دون أخرى بعد أن عرفنا
على يد بريطانيا وفرنسا كيف يكون جزاء الانحياز.

ونحن لا نريد تدخلا فى شئوننا ولا سيطرة أجنبية تفرض علينا
ونحن نريد أن نتبادل المنفعة مع الجميع على قدم المساواة
ونحن نصر على أن نصادق من يصادقنا وأن نعادي من يعاديننا .

فنحن نرفض أن نكون ذبلا لآحد أو تابعا لآحد أو منطقة نفوذ لآحد .

هذا هو منطق كفاآنا العربى اليوم. فكيف يمكن أن نحققه ؟
انه لا سبيل إلى ذلك إلا الحياد الإيجابى 0 فهو وحده الذى نستطيع أن نحقق من خلاله هذه المثل، وسيصبح أمرا يدعو إلى السخرية أن يدعى البعض أننا ننصر كتلة على كتلة أو فريقا على فريق فى الوقت الذى يحتم علينا فيه كفاآنا أن نقف فى الوسط لكى نعيش .

والحياد الإيجابى ليس سلبية كما يتوهم البعض، فهناك فرق بين الحياد السلبى والحياد الإيجابى .

فالسلبية لا بد أن تخدم اتجاهها من اتجاهات القوى العالمية، أما الإيجابية فأنها تتسم بأنها كفاآ وثبات عند وجهة نظر محددة .

فالحياد الإيجابى والحالة هذه ليس الوقوف بعيدا عن العالم وما يجرى فيه كما يوآى معنى الحياد السلبى وانما هو مسئولية والتزام ذو شقين، الشق الأول وطنى والشق الثانى عالمى .

أما الشق الوطنى فهو يعنى صيانة القومية، وتنميتها والدفاع عن حرية الوطن، وتخليصه من كل سيطرة أجنبية .

أما الشق العالمى فهو يعنى العمل مع المجموعة البشرية من أجل القيم ومن أجل الأمن والسلام حتى يمكن توفير حياة كريمة لآبنا وما سيأتى بعده من آبنا .

والآن وقد انسحبت اسرائيل، فى ضجة وصخب، وبعد طولى
عناد، يجب أن نضع أمامنا هذه الأسئلة :

- فيم كان تلكو إسرائيل فى الانسحاب؟ فيم كان تحديها
لقرارات الأمم المتحدة؟ فيم كان تمرداها على إرادة الرأى العالمى؟
هل كانت تستمد العناد والتحدى، والتمرد، من ذاتها؟

كيف يمكن أن تكون لها هذه القوة التى لا تبالى أمم الشرق ولا
أمم الغرب، ولا الأمم كلها متحدة؟

ان إسرائيل أذكى من أن تقف وحدها، وأضعف من أن تتحدى
أية قوة متجمعة، أو متفرقة، فلماذا اندفعت فى هذا التيار الخطير
الذى عرضها للسخط، والنقمة وأسأل دموع رجلها المسئول، فأعلن
قرار الانسحاب وهو يبكى؟

ان إسرائيل كانت مدفوعة إلى هذا التيار بقوة الاستعمار، كان
مطلوب منها أن تصبر حتى يرى المستعمرون ماذا سيكون من
شأن العرب؟ هل ستفرق كلمتهم؟ وفى هذا الجو لمعت بروق
ساطعة اللعان، بروق تحمل الأغراء، وبروق تحمل التهديد .

وفى هذا الجو العاصف اجتمع أقطاب العرب، فلم يأخذ البريق
أبصارهم، ومضوا فى طريقهم الشائك الوعر، الطريق المؤدى إلى
حرية العرب، والتمسك بحقوق الشعوب، وتأمين السلام العالمى .

وكان هذا امتحانا للقومية العربية، وكانت نتيجة الامتحان
انتصارا عميقا لها، وكان تعجيلا بانسحاب إسرائيل .

أن القرارات التاريخية التي أصدرها أقطاب العرب، قد عبرت عن أرائهم في إصرارهم على أن يعيشوا أحرارا، لا يعادون أحدا، ولا يتبعون أحدا، ولا يسمحون بالعدوان عليهم من أحد، لن يكونوا ذيوالا، ولا أتباعا، ولا يرضون أن يكونوا مخلبا لأى قط، ولا نجما يدور فى أى فلك .

لقد سلك الرب هذا الطريق الشاق المرير من أجل حريرتهم وحقهم وكيانهم، من أجل أن يعيشوا فى سلام ويعيش معهم العالم فى سلام، من أجل أن تحيا بلادهم فلا تصبح وقودا لنار الحرب، ولا ميدانا للقتابل الذرية والهيدروجينية .

من أجلنا نحن. من أجل تراثنا وحضرتنا وقوميتنا. من أجل مبادئنا، من أجل أبنائنا، من أجل ابتسامة أطفالنا قررنا الحياذ الإيجابى والوحدة العربية، والدفاع عن أنفسنا بأنفسنا، خارج نطاق الأحلانف .

الفصل التاسع

شرق وغرب

الشرق شرق والغرب غرب

" الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا "

ان كبلنج على حق

فلن يلتقى الشرق والغرب أبدا ما دامت هذه هي طريقة فهم الغرب للشرق ، وما دامت هذه هي الطريقة التي تتناول بها الصحافة فى الغرب معالجة مثل هذه الأحداث التاريخية وتحليلها للشعوب الأمريكية والإنجليزية والفرنسية .

واشفقت على هذه الشعوب

فالرجال الرسميون فى الغرب وصحافة الغرب كلهم يخفون الحقائق عن شعوبهم عمدا وبطريقة تجعلنا دائما على حذر ، ودائما متيقظين ، فى الوقت الذى تعكس فيه على شعوب الغرب القلق وصنوفا كثيرة مما يسمونه الحرب الباردة .

ومن سخرية القدر أن هذه الحرب الباردة كان مصمموها يريدونها لنا حتى نخاف فنظل داخل الدائرة الاستعمارية الخبيثة ، ويشاء الله ألا تنقلب عليهم بل وتعكسها صحفهم فى كل يوم على شعوبهم .

خوفا من الشرق الذى تحرر

ورعبا من الشرق الذى يريد أن يهلك الغرب

إلى آخر ما تقوله صحافة الغرب كل يوم ومحوره الوحيد هو

أن حرية الشرق خطرا يهدد كيان الغرب

ويظهر أن عقلية هؤلاء القوم قد فسدت نهائيا وأن نفوسهم قد انحطت بها عقدة الاستعمار إلى درك لا يرجى معه فهم أو أقتاع ومرة أخرى يصبح كلينج على حق

فأن الصحافة الأمريكية والصحافة الإنجليزية والصحافة الفرنسية تردد كلها نغما واحدا هو الدعاء لله ألا يسفر اجتماع بريوني - حين تم ذلك الاجتماع - عن كتلة حيادية تصبح كتلة ثالثة في هذا العالم

نفس عقلية الكتل والأحلاف !

ولقد شمر كل كاتب عن ساعده في تلك الصحف وراح يثبت لقرائه أن قيام هذه الكتلة أمر غير ممكن عمليا بينما أنبرى آخر يتكهن بقيام كتلة أخرى تسمى كتلة شرق البحر الأبيض المتوسط ، وتضم يوغسلافيا واليونان ومصر ولبنان وسوريه والأردن .

إلى آخر ما جاء به خيال هؤلاء الموجهين ، ولكن المؤسف أن هذه الصحف في بلاد العرب الثلاث الكبرى تجمع على أن المجتمعين في بريوني يفكرون على طريقة الكتل والأحلاف الغربية .

ومرة ثالثة يصبح كلينج على حق

أنه ما من شك في أن اجتماع بريوني يعتبر أخطر حدث تاريخي في فترة ما بعد الحرب ، ومبعث هذه الخطورة يتمثل في الأمور الآتية :

1 - أنه لم يعد مصير العالم ملكا لدولة أو لدولتين ، ولم تعد مصائر البشرية وسلمها وأمنها من اختصاص ما كان يسمى بالكبار لأن تعبير الكبار قد انتهى أوانه .

2 - أن أوروبا - لأول مرة فى التاريخ - تخرج فى شخص
الزعيم تيتو على تقاليدھا الموروثة فيضع تيتو يده فى يد نهرو زعيم
آسيا وفى يد جمال زعيم أفريقيا من أجل الحرية والسلام والتعايش .
ومغزى هذه المصافحة هو أنها مصافحة شعوب لا مصافحة
حكام .

3 - أنه نداء لكل شعوب الأرض يفتح لها طريق الأحاء
والمحبة .

4 - أنه ضربة فى الصميم لبقايا الاستعمار الذى يترنح اليوم ،
وأمل لكل الدول المستعبدة فى الخلاص والتحرر
وعبث أن يقلق الحكام والكتاب فى الغرب نفوسهم ونفوس
شعوبهم بفكرة الكتلة الثالثة .

فالكثلة الثالثة قد تشكلت فعلا وعملا ولا داعى لأن يوقع الثلاثة
فى بريونى وثيقة هذا التشكيل التى تقلق بال هؤلاء الحكام وأولئك
الكتاب .

أن الكتلة الثالثة اليوم حقيقة قائمة وهى أقوى الكتل على
الإطلاق . . .

أنها كتلة الشعوب التى تريد أن تستثمر مواردها لخير أبنائها
ورفاهية شعوبها .

أنها كتلة الشعوب التى تعترف لكل إنسان بحقه فى الحياة وحقه
فى رزقه وحقه فى أمنه وحقه فى وطنه وحقه فى حياة أفضل
ومستقبل مطمئن فى عالم يؤمن بالقيم وبالحب وبالمساواة .

أنها كتلة الشعوب التي قاست من الاستعمار الذى سلب أموالها
من أجل أن يبني رفاهية فى لندن وباريس ولاهاى وكثير من المدن
الأخرى .

أنها كتلة الشعوب التي تريد السلام للسلام والحرية للحرية ،
فهى لذلك لن تلجأ إلى موائيق كميثاق الأطلنطى تضحك به على
الناس وانما ميثاقها كامن فى صدور ابنائها فى أفريقيا وفى آسيا
وفى يوغسلافيا ، وأرادة هذه الشعوب كقيلة بأملاء هذا الميثاق من
غير أن يكتب ومن غير أن يوقع

فسلام لك يا تيتو يا رجل أوروبا الحر
وسلام لك يا نهرو يا رجل آسيا المكافحة
وسلام لك يا جمال يا فخر شعبك وأصدقائك وزعيم أهلك وزعيم
أفريقيا .

ما هو الشرق وما هو الغرب

أننى أعتبر قرار تأميم قناة السويس ضربة من ضربات القدر
التي تأتي لكى تختم مرحلة معينة من تاريخ البشرية ولتبدأ فى نفس
الوقت مرحلة جديدة بتطور جديد وتاريخ جديد . . .

والذى يقرأ صحف إنجلترا وفرنسا وكثير من دول أوروبا اليوم
ومنذ أن أمتت قناة السويس سيرى أن كلمة غرب وشرق تتردد فى
كل سطر ، وسيسمع نغمة جديدة تحذر الغرب من الشرق تارة ، أو
تعرض الغرب على الشرق تارة أخرى ، وفى هذا التحذير أو ذلك
التحريض تستطيع أن تلمس حقيقة واضحة جلية هى أن هذا العالم
ينقسم إلى شرق وغرب وأن عقلية أهل الغرب قد نشأت وتربت على
فهم الشرق أو التعامل معه من خلال مبدئين فقط أحدهما هو الحذر
والتحذير وثانيهما هو الاعتداء والتحريض .

وحين أقول هنا شرق وغرب فأنا لا أعنى ما أصطاح عليه
اليوم من تعريف لأكبر كتلتين متنازعتين فى العالم حين أطلقوا على
روسيا ومن معها " الشرق " وعلى " أمريكا " ومن معها غرب وإنما
أنا أعود بهذه التسمية إلى أصولها عبر التاريخ ومع ركب الزمان ،
وقد يكون ما عناه شاعر الاستعمار الإنجليزي كبلنج هو التفسير
الأقرب إلى ما أعنيه من هذه التسمية حينما قال فى قصيدته
المشهورة :

الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا .

وحين نريد أن نضع حدودا تفصل بين الشرق والغرب حتى نستطيع أن نتناول كل ناحية بالدرس والتحليل من التاريخ الواقع فأنا سنواجه صعوبات كثيرة .

فهل تكون هذه الحدود جغرافية مثلا ؟

أم تكون هذه الحدود حضارية ، بمعنى أن تكون مميزات الحضارة عبر التاريخ واشتراكها أو انبثاقها من منبع واحد لشعوب مختلفة هي الحد مثلا الذي نجمع به الغرب في ناحية والشرق في ناحية أخرى ؟

أم تكون هذه الحدود على أساس الجنس ، فنقول أن جنسا معيناً أو أجناسا بذاتها تكون الغرب وأجناسا أخرى تكون الشرق ؟

فإذا اتخذنا من الجغرافيا أساسا وقلنا كما قال مفكرون من الغرب في القرن التاسع عشر أن الخط الذي يفصل بين الشرق والغرب يمتد راسيا من الشمال إلى الجنوب عند انتهاء شرق البحر الأبيض المتوسط وكل ما يقع شرق ذلك فهو الشرق وكل ما يقع غرب ذلك فهو الغرب اذا قلنا هذا فأنا سنرتكب خطأ جسيما ، إذ أن مصر وفلسطين وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ستقع كلها جميعا في الغرب في الوقت الذي ترتبط فيه كل هذه البلاد بالشرق بروابط تاريخية وحضارية فضلا عن أن جميع مقومات شعوبها شرقية بحتة ولا تشترك مع الغرب في قليل ولا كثير بل هي أبعد ما تكون عن الغرب ، كذلك سنرتكب نفس الخطأ بالنسبة لأستراليا ونيوزيلندا ، فأنتما بحسب هذا التقسيم هما في الشرق في الوقت الذي لا تربطهما بحضارة الشرق ولا تاريخه ولا مقوماته أية روابط بل هما أبعد ما تكونان عن العقلية الشرقية والبيئة الشرقية .

ولن نستطيع أن نتخذ من الجنس قاعدة أيضا ، فالصين وهى شعب واحد تضم أجناسا متعددة ، كذلك ينطبق الأمر على أمريكا وعلى روسيا .

لذلك فلا مخلص إلا بالحضارة التى تكون العقلية وترتكز فى مقومات تكون هى بذاتها المميزات الخاصة التى تميز الشرق عن الغرب ، وهنا نستطيع أن نحدد الشرق بكل الشعوب التى تكون حضارتها ويكون تاريخها من حضارة وتاريخ الشرق ، ونستطيع أن نحدد الغرب بنفس هذه الطريقة .

وبهذه الطريقة أيضا لن نقع فى الخطأ ، فإن تونس والجزائر ومراكش تقع فى الخريطة ناحية الغرب ولكنها فى الحقيقة من الشرق حضارة وتاريخا ، وكذلك تقع أستراليا ونيوزيلندا على الخريطة فى صميم الشرق ولكنهما فى الحقيقة والواقع من الغرب حضارة وتاريخا .

وقد أكون أطلت عليك أيها القارئ بهذا اللون من البحث ، ولكنه حيوى جدا لنا فى هذه المرحلة من مراحل وجودنا فنتعلم أن نحدد كل شىء ، وكما قلت لك فى الفصول السابقة وكما تسير الحوادث فى العالم اليوم نحن نواجه معركة لا تشترك فيها مصر وحدها وإنما هى معركة بدأت منذ قرون طويلة بين الشرق والغرب ، وهى معركة تحدد مصيرها نهائيا بقرار تأميم قناة السويس لذلك نجد أن صحافة الغرب وحكام الغرب اليوم فى فزع وفى ريب منذ أن أعلن قرار التأميم ، حتى أن هذا الفزع وذلك الرعب اتخذوا شكلا هستيريا فى كل دوائرهم لدرجة أنهم حشدوا الاساطيل وجهزوا الجيوش وأعلنوا سافرا على العالم أجمع أنهم يعدون للحرب

والعدوان بعد أن كانوا يطلقون على أنفسهم العالم الحر الذى يدافع
عن الحرية ويدافع عن العدوان !
وكذلك لم تستطع صحافة الغرب أن تكتفم الحقيقة فصاحت فى
جنون تردد الخوف من الشرق وتحرض على الشرق وتبكي وتتدب
على مصير الغرب إذا لم يخضع هذا الشرق .
وكما قلت لك فى صدر هذا المقال ، فإن نظرة الغرب إلى
الشرق تنحصر فى مبدئين أما أن يكون أحدهما حذرا ولذلك لا بد من
أخذ الحيطة والأعداد المستمر للمؤامرة ضد الشرق وأما أن يكون
المبدأ الثانى وهو التحريض على إخضاع الشرق وكتفم أنفاسه ،
وغرض الحرب فى الحاليتين هو الحصول على موارد الشرق الغنى
لإسعاد المجتمع الغربى وبنائه ، ومنع هذا الشرق من كل تقدم أو
تعليم أو قوة حتى يظل ضعيفا جاهلا متأخرا ويظل الغرب يفرض
حمايته عليه . . .
وكيف تحدد مصير هذه المعركة بقرار تأميم قناة السويس هذا
ما سأسرده فيما يلى .

حقيقة المعركة

قلت فى تعريف الشرق وتعريف الغرب أن نظرة الغرب إلى الشرق تنحصر فى مبدئين أما أن يكون إحداهما حذرا ولذلك لا بد من أخذ الحيطة والأعداد المستمر للمؤامرة ضد الشرق .

وأما أن يكون الآخر وهو التحريض على اخضاع الشرق وكنتم أنفاسه ، وغرض الغرب فى الحالتين هو الحصول على موارد الشرق الغنى لاسعاد المجتمع الغربى وبنائه ، ومنع هذا الشرق من كل تقدم أو تعليم أو قوة حتى يظل ضعيفا جاهلا متأخرا وحتى يظل الغرب يفرض حمايته عليه .

فما هى حقيقة هذه المعركة ؟

أننا لكى نبحت فى حقيقة هذه المعركة لا بد لنا من أن نتناول كل ظاهرة ظهرت من الغرب فى معركة قناة السويس بنفس الاهتمام الذى نتناول به الحقائق التاريخية والحضارية ونحن نتقصى حقيقة هذه المعركة التى هى فى حقيقتها أيضا ختام لمأساة سيطرة الغرب على الشرق .

ولقد بدن من الغرب ظاهرة لها أهمية قصوى فى هذا البحث .
فأن رئيس وزراء فرنسا صرح فى أوج انفعاله من انفعالاته أن على المسلمين أن يثقوا فى معونة فرنسا وأنها تدخر الخير العميم للإسلام والمسلمين .

ثم لم يلبث المسئولين فى إنجلترا أن عقبوا بمثل هذا التعقيب .
إلا أن صحف الغرب كانت أوضح فقد نادى علانية بأن المعركة معركة الإسلام والعرب ضد الغرب المسيحى ، بل نادى صحف أخرى بأن الشرق الإسلامى يريد أن يفتك بالغرب المسيحى .

وهذا تضليل متعمد وقلب للحقائق .

فأن الشرق الذى قام لكى يواجه الغرب متحديا فى معركة قناة السويس ، هذا الشرق يمتد من الصين شرقا إلى المحيط الإطلنطى غربا .

وفى الصين شعب تعداده ستمائة مليون نسمة ، ولكن الصين عن بكرة أبيها شعبا وحكومة وقفت لتتحدى الغرب بالستمائة مليون . وفى الهند ثلاثمائة وثمانون مليوناً ، وقفت على بكرة أبيها شعبا وحكومة لتتحدى الغرب بالثلاثمائة وثمانين مليوناً .

أذن المسألة ليست مسألة الشرق الإسلامى ، وإنما هى مسألة الشرق الذى خدعه الغرب واستعمره واستنزف دماؤه ، هذا الشرق يريد اليوم أن يثأر لنفسه ليس على طريقة الغرب بالعدوان والاختصاب ، وإنما يريد هذا الشرق أن يعيش حرا مستقلا تسيطر كل أمة فيه على مصائرها ، وتستغل كل أمة فيه خيرات أرضها لاسعاد أبنائها ، وتحترم كل أمة فيه استقلال غيرها من أمم الشرق والغرب على السواء .

أن أكثر من ألف وخمسمائة مليون نسمة قامت لتؤيد مصر شعوبا وحكومات من مختلف الديانات والعقائد بعزم واحد وأيمان واحد .

فقول الغرب أذن أن الشرق الإسلامى يريد أن يفتك بالغرب المسيحى قول يحمل المغالطة بل التهجم على الواقع . ولكنه كما قلت ظاهرة من ظواهر هذه المعركة التى كان لا بد أن تقع بين الشرق والغرب لكى ينتهى تاريخ ويبدأ تاريخ .

ولو أن النزاع على قناة السويس كان بين الهند والغرب مثلا
لسمعنا أيضا من يقو فى صحف الغرب أن الشرق الهندوسى يريد أن
يفتك بالغرب المسيحى .

أو لو أن النزاع على قناة السويس كان بين بورما والغرب مثلا
لسمعنا أيضا من يقول فى صحف الغرب أن الشرق البوذى يريد أن
يفتك بالغرب المسيحى .

وما أريد أن أستخلصه من هذه الحقيقة هو أن المعركة بين
الشرق والغرب موجودة وقديمة قدم حضارة الشرق وسطحية الغرب.
وأن هذه المعركة موجودة طالما كان الشرق غنيا بالموارد
والكنوز التى تخرج من باطن أرضه وخصب تربته ووفرة محصوله
من كل ألوان الثمار .

ان هذه المعركة ستستمر ما دام فهم الغرب للشرق مبنيا على
اسس كلها خاطئة وجائرة وتتنافى مع كل شرائع الأرض والسماء .
فما هى هذه الأسس الخاطئة الجائرة ، وكيف نشأت وتولدت
وصارت إلى ما صارت إليه فى معركة قناة السويس من تهديد لأمن
البشر وتنكر لما هو حق وعدل وخير ؟

كيف يحاول الغرب أن يستغل الأديان فى نشر العداوة والبغضاء
وهى كلها تأمر بالمحبة والسلام ؟
هذا ما سأسرده فى الفصول القادمة .

الأسس الخاطئة

وقع فى يدى مقال لجريدة سويسرية هى جريدة " جورنال دى جنيف " نشرت الجريدة فى يومى 11 ، 12 من شهر يولية سنة 1956 تحت عنوان " أن الجزاء الحق من جنس العمل " وهذا العنوان هو عبارة عن كلمة قالها كليمنصو السياسى الفرنسى وهو يحتضر ، والمقال عبارة عن تحسر على مصير إنجلترا وفرنسا العظيمنتين فى نظر كاتبه وتحريض لهما من ناحية أخرى ، إلا أن استهلال المقال ونهايته هما اللذان لهما أكبر الاهتمام فى نظرى أذ أنهما يكونان حلقة من حلقات هذا البحث " الأسس الخاطئة " .

قال الكاتب وهو يستهل مقاله :

" وضعت مصر يدها على قناة السويس ، وكان عملها هذا

تهديدا مباشرا لأوروبا

واختتم الكاتب مقاله قائلا :

" ورحنا نشاهد بلادا كاليونان التى كانت حتى الأمس القريب

موالية لأوروبا بل أكثر من ذلك موالية لإنجلترا تؤيد سياسة ناصر

" كما أننا نشاهد دولا أخرى ترفض تحديد موقفها من مسألة

قناة السويس بينما يقوم من أعماق آسيا ملايين من الرجال الذين

يرزحون تحت عبء سوء التغذية والفقر والذين تجيش فى

صدورهم ارادة جامحة فى نيل استقلالهم بالهجوم على المدنية

الأوربية .

" ها نحن نواجه التحدى فهل يكون فى وسعنا قبوله والدفاع

عن تراث المبادئ الإنسانية والمبادئ المسيحية التى لم نعرف كيف

نحترمها روحا ونصا ؟ "

وفى الفصل السابق قلت :

" وما أريد أن استخلصه من هذه الحقيقة هو أن المعركة بين الشرق والغرب موجودة وقديمة قدم حضارة الشرق وسطحية الغرب وأن هذه المعركة ستستمر ما دام فهم الغرب للشرق مبنيا على أسس كلها خاطئة وجائرة وتتنافى مع كل شرائع الأرض والسماء " وتساءلت فى نهاية المقال :

" فما هى هذه الأسس الخاطئة الجائرة ، وكيف نشأت وتولدت وصارت إلى ما صارت إليه فى معركة قناة السويس من تهديد لأمن البشر وتنكر لكل ما هو حق وعدل وخير ؟

" وكيف يحاول الغرب أن يستغل الأديان فى نشر العداوة والبغضاء وهى كلها تأمر بالمحبة والسلام ؟ "

وهكذا نرى أن مقال الجريدة السويسرية يلقى أضواء صريحة على حقيقة المعركة الدائرة اليوم فاسترداد مصر لقناة السويس فى نظر الكاتب السويسرى تهديد مباشر لأوروبا

ثم يهاجم - وهذا هو لب المعركة - آسيا بملايينها الهائلة وهو ينعى على اليونان عدم ولائها لأوروبا وينعى عليهم أنهم أيدوا مصر فى ممارسة سيادتها ، ويعتبر أن تصميم هذه الملايين على نيل استقلالهم هجوم على المدنية الأوربية.

ثم يختتم الكاتب مقاله باعتبار كل ذلك تحديا للمبادئ الإنسانية والمبادئ المسيحية .

وقد تطوع الكاتب السويسرى الأوربى بالرد على تساؤلى فى وضوح وجلاء

فطريقة فهم الغرب للشرق لا تتعدى اعتبار هذا الشرق ملايين من الهوام الجائعة العارية الجاهلة وأن على الغرب أن يتولى أمر الوصاية عليها باسم المبادئ الإنسانية وباسم مبادئ الديانة المسيحية وباسم المدنية الأوروبية .

وفى هذا أيضا تهجم على الحقيقة وعلى التاريخ وعلى كل القيم البشرية .

فأما أن للغرب الولاية على رسالة المسيحية وتفسيرها هذا التفسير الذى يتنافى مع مبادئها وأصولها ثم أقامها فى هذه الدعوى الاستعمارية التى تقوم على البغضاء وبث الكراهية بين بنى البشر فأمر لا نقبله نحن فى الشرق لأننا نعرف المسيحية ومبادئها ، ولأن منا المسيحيين وأرضنا هى مهدها ومن أرضنا خرجت هذه الرسالة إلى أوربا الجاحدة .

نحن فى الشرق على اختلاف ديانتنا وعقائدنا نعرف المسيحية ونحترمها وننزهها عما يريد الغرب أن يلصقه بها .

فالبوذى والهندوكى والمسلم والكونفوشى ومسيحيو الشرق وأقباطه يعرفون المسيحية كما لم يعرفها الغرب أو يريد أن يعرفها .

والغرب فى تطفله على المسيحية ينسى أن هؤلاء الملايين الذين يصفهم بالعبادة الجوع فى الشرق هم أصحاب الحضارات يوم لم تكن لأوربا حضارة ، وهم أصحاب الديانات يوم لم تكن لأوربا ديانة وهم أصحاب الحكمة يوم كانت أوربا تتيه فى ظلمات الجهل وتعيش على السحر والخرافات . . .

والشرق مهد المسيحية يعرف أن المسيحية قامت على مبادئ أولهما هو الإيمان وثانيهما هو المحبة .

فأين هذه المبادئ مما يريد الغرب أن يتوسل به بأسم
المسيحية ؟

والشرق مهد المسيحية يعرف ويعلم أن المعلم الأكبر لم يكن
يفرق بين أبناء البشر بل أن رسالته تنادى إلى يومنا وإلى يوم قيام
الساعة بالمحبة بين سائر أبناء البشر .

ولو أن رجلا ذا بشرة سوداء أو صفراء تقدم للمسيح لكي
يشفيه من مرضه أو عنته للقى من المسيح ما يلقاه الأبيض على
السواء .

فهل يفهم الغرب رسالة المسيح كما نفهمها نحن في الشرق ؟
لا ، أنهم في غمرة المدنية المادية التي أحاطت بكل مبادئهم
تتكروا للمسيحية روحا ونصا .

وهم الذين ابتدعوا رسالة الرجل الأبيض وفرضوها على بقية
العالمين الذين سموهم ملونين .

وهم الذين يستحلون قتل الأبرياء إذا طلبوا بحق تقرير
مصيرهم في بلادهم .

وهم الذين جعلوا من القرصنة شجاعة
وهم الذين يعتبرون استنزاف خيرات الناس وقهرهم حقوقا
مشروعة .

وهذه نقطة أساسية في الخلاف بين الشرق والغرب
فنحن في الشرق نعتبر الأديان ملجأ روحيا تصفو فيه نفوسنا
من أكار هذه الحياة .

وهم في الغرب يريدون أن يستغلوا الدين في أساليبهم لقهر
الناس وفرض أرائهم وسيطرتهم .

ونحن فى الشرق نعتبر المسيحية رسالة عالمية سمحة لا
تختلف فى مبادئها عن سائر دياناتنا ومعتقداتنا لأنها كلها تحض
على المحبة والإخاء والسلام .
وهم فى الغرب يعتبرون أنفسهم أولياء على المسيحية
ويعتبرون كل ما عداها جهالة وخرافة وبربرية .
وهكذا يتورطون فى الغرب وهم يقحمون المبادئ المسيحية
فى أطماعهم الدنيوية ونسوا أننا فى الشرق مهد المسيحية وأصل
الأديان .

مدنية الغرب

لقد كانت معركة قناة السويس ميدانا التقى فيه الشرق والغرب لأول مرة منذ قرون كان الغرب فيها يستعبد الشرق ، وظن الغرب أن لا قائمة ستقوم للشرق ، لذلك رأينا أن الغرب يفقد أعصابه لأول مرة فى تاريخه الحديث على صورة وصفها معلق أمريكي ابلغ وصف حين قال :

" أن بريطانيا تتصرف لأول مرة كدولة لا تثق فى نفسها "

وكان مشهورا عن بريطانيا طوال قرون الاستعمار السابقة أنها تعتمد على هيبة كانت تحكم بها الملايين وترهبهم من غير أن ترسل جنديا بريطانيا واحداً "

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أرتفعت الصيحات فى أوروبا تنادى بأن الحضارة الغربية فى خطر وأن زعماء الغرب وهم الحراس الأمناء على هذا التراث الإنسانى يجب أن يحافظوا على هذه الحضارة وذلك التراث الذى يهدده الشرق اليوم فى صحوته التحريرية .

وكان حضارة الغرب وتراثها الذى تخاف عليه أوروبا وأمريكا لا تعيش إلا على أشلاء الشرق ، ولا تزدهر إلا إذا امتصت دماء الشرق .

ولكنها هى الحقيقة المخجلة

فحضارة الغرب اليوم ليست بمعناها العلمى أو النظرى وإنما

هى مدنية

وفرق كبير بين الحضارة والمدنية

فالحضارة تقوم على مقومات معنوية وروحية قبل أن يكون لها مقومات مادية ، لذلك نرى أن طابعها لا يكتفى بالمظهر وإنما يعتمد أول ما يعتمد على الجوهر .

والمدينة لا تعرف المقومات المعنوية أو الروحية على الإطلاق ، وإنما هي تتناول جوانب المادية البحتة فى حياة الفرد والمجتمع التى لا تعدو أن تكون مظهرا ، كأن تحيل حياته كلها ميكانيكية مثلا بالأزرار والآلات ، وهى لذلك لا تقيم وزنا بل لا تعرف الجوهر فى حياة الإنسان .

من أجل ذلك كانت الحضارة ولا تزال تعنى أول ما تعنى بالقيم الإنسانية العليا .

أما المدينة فإنها تعتبر القيم الإنسانية من مقومات تقدم البشرية

وعلى هذا القياس ، ومما نراه اليوم نستطيع أن نعرف الفرق بين الحضارة والمدينة ونستطيع أن نعرف ما يسمونه حضارة الغرب بمدينة الغرب .

وهنا يتضح خلاف آخر بين عقليتي الشرق والغرب .

فالغرب يعتقد أن مدنيته الحالية أن هى إلا حضارة هو الولي عليها ، وأن من أخص رسالاته أن يقهر الشعوب فى الشرق على قبول هذه الحضارة الغربية فى أشكال يحدد هو مفهومها .

فالغرب حين يدخل مثلا نظامه الديمقراطي فى شعب من شعوب الشرق فإنه لا يدخل ما يطبقه هو فى بلاده وإنما يفرض على هذه الشعوب النظام الذى يريد لكى يحقق له السيطرة والتحكم .

ثم يلصق بهذا النظام اسم الديمقراطية وينسبه إلى الحضارة الغربية الجديدة .

والغرب حين يدخل العلوم إلى بلد من بلدان الشرق يكون قد ابتلى باستعمار غربي فأن هذه العلوم لا تتعدى مراحل ساذجة أولية لأن مفهوم الحضارة الغربية عند الغرب هو أن لا يتعلم الشرق من علوم الغرب إلا قشورها لكي تظل للرجل الأبيض السيادة والهيمنة عن طريق العلم .

ولا زالت شعوب كثيرة من التي ابتليت بالاستعمار تئن إلى اليوم لأنه لا يوجد فيها طبيب أو مهندس فهذه المهن في عرف الحضارة الغربية مقصورة على الرجل الأبيض الممتاز وهي سبيله إلى السيطرة والسيادة .

وهناك مثل آخر على ذلك

فأن بريطانيا تستقدم بعثات عسكرية من دول كثيرة في الشرق والغرب ، وتصادف أن كان بعض الضباط المصريين في بعثة من هذه البعثات سنة 1950 وعندما عادوا كانوا يرون أن محاضرات بذاتها كانت محرمة عليهم وبعثات بقية البلاد الشرقية لأن هذه المحاضرات أسرار لا يجوز لغير الإنجليز والأوربيين أن يعرفوها .

أى الرجل الأبيض مرة أخرى

هذا هو مثل من مفهوم الحضارة أو على الأصح المدنية عند الغرب .

أما مفهوم الحضارة عند الشرق فإنه يختلف عن ذلك تمام الاختلاف .

فالشرق يعتز بأن أولى الحضارات التي عرفت البشرية كانت
فى أرضه .

الحضارة الصينية التى أخرجت الحكمة والنور .
والحضارة الفرعونية التى أدهشت وتدهش العالم إلى اليوم بهذا
التفوق فى العلوم والفنون .

والحضارة الهندية التى تعمقت منذ القدم فى أغوار الروح
والمادة وأخرجت للناس حكمة وعلوما وفنونا لا تزال تراثا مجيدا
إلى يومنا وإلى يوم الساعة .

والشرق يفهم الحضارة على أنها قيم قبل أن تكون مادة ، فقد
رأينا أن الحضارة الصينية والمصرية والهندية أخرجت سلوكا وآدابا
وقدست السرة ونظمت علاقة أفرادها ببعض وبالمجتمع وبالحاكم
وتفوقت الحضارة الصينية فى تعريف الحكومة وواجبها والرعية وما
يجب أن تكون عليه آدابها .

ولكن هذه الحضارات لم تسفر عن قيم إنسانية فقط ن وإنما
أسفرت أيضا عن علوم وفنون وهندسة وبنائات لا زالت إلى اليوم
شاهدا على أصلة هذه الحضارات وتفوقها منذ آلاف السنين .

والشرق يفهم الحضارة على أنها بناء وتعايش بين الجميع
لخير الجميع .

لذلك فالشرق يعتز بحضارته ويرفض مدنية الغرب
ولذلك أيضا صحا الشرق صحوه جبارة حين نفض عن نفسه
غبار الاستعمار والسيطرة الغربية يريد أن يعوض ما فاتته من تأخر
لأن جذوة الحضارة جزء من دمانه وكيانه وهى أن كانت قد خبت

بعض الوقت إلا أنها كانت مشتتة في الداخل لأنها حضارة أصيلة ذات جذور لا يمكن أن تموت .

ولذلك أيضا فزرع الغرب لأن صحوة الشرق كانت قوية ورهيبة وهو الذى اعتقد أنه قد استحوذ على الشرق ماديا ومعنويا . وفزرع الغرب أيضا لأنه وجد أنه يواجه مئات الملايين فجأة من الشرق الذى استفاق وليست بينه وبين هذه الملايين التى تفوق الألف والخمسمائة مليون من ذكريات إلا المرارة والحقد والألم والشكوك .

وفزرع الغرب أيضا لأنه وجد نفسه بمدنيته التى قامت على الحديد والنار والقرصنة والقوة الباغية يواجه شعوبا ذات حضارة أصيلة لا مدنية زائفة .

شعوب صممت على أن تعيش كريمة وعلى أن تأخذ من المدنية الغربية ما يحفظ قوتها المعنوية .

وستبقى المعركة قائمة بين الشرق والغرب حتى تنتصر الحضارة على المدنية

أى حتى تنتصر القيم العليا على أساليب القهر المادية .

أخى فى الشرق

فى الهند وفى الصين
وإندونيسيا
وفى بورما والملايو
وفى سيلان والأفغان
وإيران وباكستان
اكتب لك هذه الكلمات يا أخى وأنا جالس على ضفة القناة
وقد قدمت لهذا المكان لأنشد الراحة
أننى اليوم فى إجازة
أنه مكان حبيب إلى قلبك بقدر ما هو حبيب إلى قلبى
والسلام يرفرف هنا
على ضفاف القناة
أخى فى الشرق
أن مصر كلها تحرس اليوم القناة
فهى الطريق إليك يا أخى
أننى أحمل السلاح وأنا فى الإجازة
لكى أو من الطريق إليك يا أخى
ولكى يظل السلام
يرفرف على ضفاف القناة
وهم يريدون الحرب
لقد عرفتهم يا أخى
وعرفتهم أرضك المقدسة فى الصين
أشرا وأنجاسا
وعرفتهم جبالك ووديانك السمحة فى أندونيسيا
لصوص الأرض والمال
وخبرتهم أرضك الطيبة الوادعة فى الهند
وكم سلبوك من مال
وقاتلتهم جبالك وفرسانك فى الأفغان
زهاء القرن شجعانا
وضاقت بهم الدنيا وأنهارك والأدغال فى بورما
وقد سرقوك أجيالا
أخى فى الشرق
فى مصر عرفناهم
بلوناهم
طردناهم
وأن عادوا شفيينا الغليل

للأحرار في الهند
وللأحرار في الصين
وللأحرار في بورما
وللأحرار في البونشاك
سنسقيهم بسقياهم
وسنؤدب شقواهم
لكي نؤمن الطريق إليك يا أخي
ولكي يظل السلام
يرفرف على ضفاف القناة

" من على ضفاف القناة "

فهرس

صفحة	
7	مقدمة :
11	الفصل الأول : الوطنية المصرية والقومية العربية
43	الفصل الثانى : الوحدة المظلومة
68	الفصل الثالث : حكاية الزعامة المزعومة
83	الفصل الرابع : وحدة العرب والاستعمار
118	الفصل الخامس : الجبهة المسلحة
141	الفصل السادس : العرب وإسرائيل
172	الفصل السابع : حكاية الفراغ ومشروع أيزنهاور
195	الفصل الثامن : ماذا يريد العرب ؟
218	الفصل التاسع : شرق وغرب

www.anwarsadat.org